د. عـزة عزت

صورة العـرب والمسلمين فى العالم





صورة العرب والمسلمين
فى العالم



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة.
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشره وتوزيعه .
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

مركز الحضارة العربية

٤ ش العلمين - عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات - القاهرة

تليفاكس : ٣٤٤٨٣٦٨

E-mail: Arab_civilization_center @yahoo. co. uk

د. عزة عزت

صورة العرب والمسلمين في العالم



الكتاب : صورة العرب والمسلمين
في العالم

الكاتب : د. عـــزة عـــزت

الناشر : مركز الحضــارة العربيــة

الطبعة العربية الثانية : القاهرة ٢٠٠٢
طبعة مزيدة ومنقحة

رقم الإيداع : ١٥٨١٩/ ٢٠٠٢

الترقيم الدولي : I.S.B.N.977-291-409-3

الغلاف
فكرة الغلاف : للفنان فكري أمـــين
جرافيــــك : نـاهــد عبــد الفتـاح

الجمع والصف الإلكتروني :
وحدة الكمبيوتر بالمركز
تنفيذ : ســــيد حـــزاوي
تصحيح : زكــــريـا منتصر

الإهداء

إلى كل من يؤمنون بالعروبة باعتبارها مفهومًا إنسانيًا، ويؤمنون بضرورة تكاتف الجهود الفردية، والجماعية، لصيانة الوجه الإنسانى للعروبة من أى تشويه.

د. عزة عزت

مقدمة الطبعة الثانية

اعتدنا ـ باعتبارنا عربًا ـ أن نطرح بين حين وآخر قضية: «صورة العرب والمسلمين في الغرب»، ونكثِّف النشر حولها لفترة، ثم ما نلبث أن يخبو حماسنا لمناقشتها، وتفتر همتنا حيال وضع حلول لتحسين هذه الصورة، ومناقشة أسباب ودوافع تشويهها، فهذه هي عادتنا، أو آفتنا، نحن العرب: «موسمية الطرح».

هذا ورغم وجود العديد من المقالات والكتب والدراسات الجادة والرسائل الأكاديمية التي تناولت صورة العرب، وفندت ملامحها وسماتها، ووضعت توصيات، وخططًا مبدئية لتصحيحها.. فإننا مازلنا محلك سر في هذا الخصوص.. الصورة مشوهة ومغلوطة، والهجمة شرسة، وازدادت شراسة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام ٢٠٠١ في الولايات المتحدة، وما تلاها من إجراءات، اتخذت على ضوء هذه الصورة المشوهة، ومازلنا نحن ندير حوارًا بينيًا أشبه.. وسامحوني إذ أقول: إنه أشبه «بحوار الطرشان»!!

والحقيقة أن قضية صورة العرب المشوهة في الغرب.. لا بل وفي صحف ووسائل إعلام بعض الدول الصديقة، أصبحت الآن موضع بحث الكثير ونقاشهم، من صحفيين، وإعلاميين، ومثقفين.. بل موضع اهتمام العامة من الناس أيضًا.. لكن هذا الكتاب في طبعته الأولى لم يكن مجرد دقة على طبول ما نشهده الآن من احتفال بالقضية.. كما أنه لن يكون كذلك في طبعته الثانية؛ فقد قدم الكتاب قبل خمسة أعوام ـ وتحديدًا حين صدر عام ١٩٩٧م ـ قدم تصورًا شبه كامل لملامح حقبة الثمانينيات، والنصف الأول من التسعينيات، واقترح في فصله

الأخير إستراتيجية إعلامية عربية؛ لتحسين صورة العرب والمسلمين في العالم، تنقسم إلى خطتين: إحداهما داخلية، والأخرى خارجية؛ كخطوة لقبول الآخر لنا باعتبارنا شعوباً؛ توطئة لتفهّم ما نطالب به من حقوق، ولتقبل قضايانا العادلة بقدر من الموضوعية والحيدة.. إن لم نقل المناصرة.. لكن ما حوته دفتا هذا الكتاب في طبعته الأولى لم يحظ بالاهتمام المرجو من المعنيين بالقضية؛ لمناقشة ما طرحه، وتطويره، وتنفيذ ما جاء في هذه الخطة من خطوات كان بالإمكان أن تحقق قدراً من التحسن في الصورة.. لو بُدئ في تنفيذها منذ ذلك الحين.. لكنها آفتنا الأخرى: «الفجوة والانفصال التام بين ما يطرحه الأكاديميون والباحثون من توصيات في دراساتهم، وبين ما يتم تبنّيه وتنفيذه، من قِبل صناع القرار ومتخذيه في مصر والعالم العربي».

هذا ولعلني في هذه الطبعة الثانية من الكتاب، التي رحب مركز الحضارة العربية بإصدارها قبل أكثر من عام؛ من منطلق الشعور بأهمية الموضوع، وضرورة إصدار دراسات متتابعة تنبّه إلى خطورته.. غير متأثرين بأحداث عارضة تزيد من الشعور بهذه الأهمية والخطورة - أقول لعلني كنت مدركة تمامًا لخطورة القضية، ثم أتت أحداث سبتمبر ٢٠٠١م لتزيد من اهتمام الناس - كل الناس - بقضية تشويه العرب والمسلمين، وصفحات هذا الكتاب شبه مُعَدَّة للطبع، فلم يردّنا عن إرجاء صدوره؛ حتى يتسنى لنا تحديث وتنقيح بعض مما جاء في طبعته الأولى؛ ليكون بين يدي القارئ على هذه الصورة الجديدة، وتحت اسم جديد هو: «صورة العرب والمسلمين في العالم».

هذا ولابد من الإشارة هنا إلى أن أساليب الإعلام والاتصال ووسائطهما قد تطورت تطوراً شاملاً، خلال السنوات الخمس الأخيرة منذ صدور الطبعة الأولى من الكتاب؛ بشكل لابد وأن ننتبه له في صياغتنا لرسائلنا الاتصالية، الرامية لتغيير صورة العربي، والمسلم في

الذهن الغربي بالأساس، ومن ثم في العالم بأسره، وضرورة تحديث الخطاب الإعلامي العربي الموجه للخارج.. لا بل والخطاب الديني أيضًا؛ حتى يعكس سماحة الإسلام وروحه الحقيقية بعيدًا عن التشنج، والإيهام بالعنف والعنصرية، وازدراء الأديان الأخرى، وهي ملامح مما يصمنا الغرب به، مع عدم التحسس من بعض ما يمس الدين الإسلامي، أو يناقش بعض الممارسات الإسلامية من بعيد أو قريب، أو يمس العروبة باعتبارها مفهومًا قوميًّا أو إنسانيًّا ويتناولهما بالنقد.

ومن الأمور التي لابد من الانتباه إليها أيضًا ضرورة توخي وسائل الإعلام العربية.. ولا سيما الفضائيات؛ لما لها من شعبية وخطورة في التأثير على جمهور عريض في كل أنحاء العالم.. أقول ضرورة توخيها الدقة والموضوعية في الخطاب الإعلامي، خاصة في فترات الأزمات، وفي أسلوب معالجة هذه الأزمات وإدارتها بذكاء، وبما يتسق والمصالح القومية العربية.. دون تحويل هذا الخطاب إلى مسار غير سليم، يتمثل في لجوئنا المعتاد إلى تبادل الاتهامات والخيانة؛ وذلك حتى يمكننا استثمار الظروف والأحداث الكبرى في صالح القضايا العربية، وليس ضدها، وضد صورتنا القومية باعتبارها أمة عربية وإسلامية معًا؛ بمعنى تنسيق وتوحيد الجهود؛ لصياغة رسائل إعلامية ملائمة، نتوجه بها للرأي العام العالمي، تحكمها إستراتيجية عربية موحدة هدفها تحسين صورتنا.

أما فيما يتعلق بوسائل الإعلام الدولية فليس لنا سلطان على ما تقدمه، من تغطية إخبارية أو برامجية لا تتوخى الدقة، ولا تختار المصطلحات الملائمة لمصالحنا، في وصفها لما يحدث في الأرض الفلسطينية المحتلة - على سبيل المثال لا الحصر - وفي تغطيتها لكل ما يمس العرب والمسلمين من قضايا عامة، تخدم هذه التغطية وكالات الأنباء الكبرى، والفضائيات العالمية، والمواقع الإخبارية على الشبكة

الدولية للمعلومات المعروفة بالإنترنت، والساحة خالية أمامها من رد عربي مُفحم، أو محاولة تصحيح للصورة يتناسب والعقلية الغربية ونمط تفكيرها، ويربط بين مصالحها والمصالح العربية، وذلك لا يتم فقط بمناشدة هذه الوسائط العالمية أن تتوخى الدقة والموضوعية.. ولكن يمكن أن يتم بشراء مساحات زمنية عليها.. أو بتوجيه القنوات الفضائية العربية والمواقع العربية على الإنترنت إلى ضرورة مخاطبة الآخر بلغته، وبالأسلوب الذي يتفق وعقليّته.. والتركيز على القضايا التي تمثل نقطة اهتمام مشترك بين العالمين العربي والغربي؛ لخلق أرضية مشتركة بينهما، تعكس اتفاقًا في المصالح.. ولا تعكس تناقضًا أو تنافرًا، مع اتباع الأسلوب العلمي في التخطيط لهذه الوسائط الاتصالية، وتحديد أهدافها، وخرائط برامجها، وتوقيتات البث والإرسال؛ وفقًا لدراسات مسبقة تحدد الجمهور المستهدف بكل رسالة اتصالية، وأسلوبه في التعرض الانتقائي لهذه الرسائل الاتصالية، وتقديم برامج ذات إيقاع سريع وإعداد جيد ومعالجة تتميز بالجرأة والصراحة؛ حتى يتقبلها الآخر.

هذا ولابد من الاعتراف بأن التطور الاتصالي الذي حدث في العقد الأخير لا يواجهه على الجانب العربي إعداد جيد للكوادر الإعلامية العربية، بحيث تصبح قادرة على مواجهة الأحداث العالمية واستثمارها لصالح العرب والمسلمين بخطاب إعلامي واعٍ، وباستخدام متمكن للتكنولوجيات المتطورة والمتلاحقة، بأسلوب وتكنيك فني يتواكب مع ما نشهده في ظل النظام الإعلامي العالمي الجديد، وسماواته المفتوحة، وفضائه الذي يعج بأقمار الإرسال والبث الاتصالي على كل مستوى وصعيد.. ونحن مازلنا نعد الكوادر الإعلامية بأسلوب تقليدي، لا يملك من وسائل هذا الإعداد سوى السبورة والطباشير فقط ـ دون أية مبالغة ـ فهذه شهادة شاهد ممن يساهمون في التعليم والتدريب الصحفي

والإعلامي، في بعض الجامعات المصرية والعربية.

هذا ولعل الواقع يؤكد أننا لم ندرك حتى أبعاد الخطر الذي يتهدد قضايانا المصيرية، وعدم مناصرة الغرب لنا في هذه القضايا؛ بسبب صورتنا المشوهة، إذ إننا مازلنا نكتفي بالجهود البحثية والإعلامية الفردية، ونقتصر على التواجد العلمي والدبلوماسي في الخارج، بوصفه وسيلة تضمن لنا تصحيح الصورة.. في حين أن ما تتعرض له صورتنا في العالم من تشويه، ومنذ عصور خلت، وهو يشتد حدة وشراسة وفقًا للظروف والأحداث العالمية، يفترض أن ينبهنا إلى خطورة الحملة علينا، التي يمكن أن نقول بثقة إنها جزء أو حلقة من «صراع الحضارات» الذي تحدث عنه هنتنجتون في كتابه الشهير، وما قد ينجم عن هذا الصراع الضاري من آثار سلبية على صورة العربي والمسلم.. بعد أن بات من الحتمي التسليم بوجود هذا الصراع، وضرورة مواجهته بنفس أسلحته، وبنفس الضراوة والقوة.. دون أن ندفن رؤوسنا في الرمال متمسكين بتكامل الحضارات وتناقحها.. فالآخر لا يراها كذلك، ويسعى جهده لمسخ كل مظاهر الخصوصية الحضارية الشرقية والعربية والإسلامية؛ خدمة لتسييد وهيمنة الحضارات الغربية.. أو لنقلها صريحة: تحقيقًا للهيمنة الأمريكية، وسيادة نموذج الحياة الأمريكية؛ وتحقيقًا لمصالح أمريكا قوة منفردة في العالم تستقطب من تريد، وتعادي من تريد، وتستعدي عليه، وتخضع من تريد بالقوة، وتذوّب ما تريد من حضارات في مدنيتها الزائفة.. إذا لم تستطع ضمان الخضوع بالقوة العسكرية أو الاقتصادية.

هذا ويستطيع المطالع أو المشاهد لوسائل الإعلام العالمية أن يرصد بسهولة، ما نجحت أمريكا ومن يدور في فلكها من دول في تحقيقه، من خلق ما يمكن تسميته: «فوبيا الإسلام والعروبة»، بعد نجاحها في ربط كل مظاهر الإرهاب في العالم بالمسلمين والعرب، إثر أحداث ١١

سبتمبر ٢٠٠١، وما تحاول ترسيخه دون كلل من ملامح مشوهة في هذا الصدد.. برغم كل المؤشرات التي تفيد براءة العرب والمسلمين من هذه الأحداث، وتحاول أمريكا تجاهله عامدة متعمدة؛ إلى أن تنتهي من تقليم أظافر من تريد من الدول العربية والإسلامية؛ تحقيقًا لمصالحها العسكرية والاقتصادية الخاصة، واستكمالاً لهيمنتها المنفردة على العالم بأسره.

ومن الغريب حقًا أن نجد أصواتًا مثبِّطة للهمم في العالم العربي، تقول: أن لا جدوى من محاولات التصدي لأمريكا والغرب بأي سلاح، سواء كان اقتصاديًا يتمثل في المقاطعة، أو إعلاميًا يتمثل في محاولاتنا تصحيح الصورة.. رغم أن الصورة النمطية التي ظلت راسخة في الذهن الغربي.. بل والعالمي لليهودي التائه المرابي، المقامر، البخيل، المفسد في أي مكان يحل به المال والنساء، قد نجحت الصهيونية العالمية في تغييرها، وإحلال صورة أخرى محلها يتعاطف الغرب معها، ومن ثم يناصر قضاياها؛ بوصف أن اليهودي إنسان ديمقراطي، مسالم، متحضر يعيش وسط محيط من الكراهية العربية والحقد المسلم على تقدمه العلمي، وعصريته، أو أسلوب حياته الغربي، الذي يتناقض مع التخلف والعنف والتزمت والعدوانية والإرهاب العربي الإسلامي.. وليس الصهاينة فقط هم من نجحوا إلى حد كبير في تحسين صورهم الذهنية في الغرب.. بل إن الصور النمطية للجنسيات الأخرى كالصينيين واليابانيين والإيطاليين قد تحسنت إلى حد ما، كما أن الصور الذهنية للعناصر البشرية كالسود والهنود الحمر وغيرهم قد بدأت تخف الحملة عنهم، وتقدمهم وسائل الإعلام الأمريكية بكثير من التعاطف.. فما المانع أن نبدأ من الآن في محاولة تصحيح صورتنا العربية والإسلامية؟؟!!

الحقيقة أننا لم ندرك بعد أنه كي نصحح صورتنا، ونحل صورة أخرى

مكانها لابد وأن نستجمع كل قوانا في سبيل ذلك، ونخطط ونبدأ في التنفيذ.. ليس بالإعلام ووسائله وحسب.. ولكن بخلق وتنشيط واستخدام جماعات الضغط من العرب والمسلمين المهاجرين، ومن خلال إنشاء هيئة أو جمعيات دفاع عربية وإسلامية، وجمعيات صداقة، وندوات ومؤتمرات حوار عربي / غربي، أو حوار أديان، وأيضًا من خلال تنشيط حركة ترجمة للتراث البحثي الذي يفند مزاعم الغرب، وأسباب تصوراته المشوَّهة عن العرب والمسلمين، والأهم عدم التقاعس عن الرد على كل ما يسيء إلى الصورة العربية والإسلامية؛ بكل وسائل الرد الممكنة؛ القانونية والإعلامية، إذا ما عرفنا مقدار ما يتيحه القانون الأمريكي من حقوق في مواجهة وضد أية ممارسات عنصرية، واستغلالها لصالح تحسين صورتنا؛ بالضغط تارة وبالتهديد تارة، وباستغلال حق الرد تارة.. وقد سبقنا إلى ذلك اليهود في تصديهم لكل ما يسيء إلى صورتهم بوصفه «معاداة للسامية»، ونحن أيضًا من الساميين الذين يُعد أي تطاول عليهم معاداة للسامية، ولابد من حماية وجهنا الحضاري والإنساني من أي تشويه.

د. عزة عزت

القاهرة في السبت الموافق

٢٠٠٢/٦/١

مقدمة

يكرس الإعلام الغربي جل جهده للحملة على العرب، وتشويه صورتهم، بعد أن انتهى من تشويه صورة الزنوج والهنود الحمر، والأقليات المختلفة التي تعيش في أوربا وأمريكا.. وتدعم الصهيونية هذه الحملة وتساهم فيها.. بل ويشارك العرب في استكمال ملامح الصورة الممسوخة بالسلوك غير الرشيد، وغير المسؤول، الذي يسلكه بعض العرب في الخارج، وبالإساءات المتبادلة فيما بينهم كدول، على صفحات صُحفهم في الداخل وفي الخارج، وبالسلبية الإعلامية، وانعدام التخطيط، والافتقار إلى النظرية الإعلامية المتكاملة، التي من شأنها التصدي لهذه الحملة، وإظهار الجوانب الخيِّرة، والوجه المشرق للشخصية العربية.

ويهدف هذا الكتاب أساساً إلى وضع تصور لخطة إعلامية دقيقة، للرد على الحملات الغربية الرامية إلى تشويه الصورة العربية، ومحاولة تغيير اتجاهات الرأي العام العالمي المضادة للعرب ـ ليس حيال قضية سياسية معينة، ولكن لتغيير الصورة العربية المشوهة في ذهن الغربيين، ليكون ذلك أساساً لتغيير اتجاهاتهم حيال القضايا فيما بعد.

هذا ويتم هذا التغيير من خلال خطة ونظرية متكاملة، وبالعمل الجماعي العربي، من خلال هيئة إعلامية عربية موحدة.. واضحة الهدف.. فالعرب في حاجة ماسة إلى مثل هذه الهيئة الإعلامية، بقدر حاجتهم إلى هيئة دفاع مشترك، أو توحيد الجهود سياسياً أو عسكرياً، خاصة وأن قضية الدفاع عن سمعة العرب قد لا تصادف العقبات والخلافات العربية على التفاصيل والأهداف، كما هو الحال بالنسبة لأية

قرارات بشأن التنسيق السياسي أو العسكري.. إذ إنهم لاشك يجتمعون على وجوب تغيير صورتهم، أو تحسين الأفكار المتراكمة في ذهن الإنسان الأوربي والأمريكي عن العرب كأفراد وجماعات، ناهيك عنهم كدول وقيادات.

وفي سبيل الوصول إلى وضع هذا التصور لخطة إعلامية متكاملة لابد من تحديد حجم، ونوع، وأسلوب، وأسباب الإساءات الغربية الرامية لتشوية الشخصية العربية، والتي تعمد غالباً إلى إيراد معلومات خاطئة عن العرب عن جهل، وقلة معلومات أحياناً، وعن عمد ورغبة في التشويه في أغلب الأحيان؛ لذلك سنركز في هذا الكتاب على تحديد ملامح الشخصية العربية في وسائل الإعلام الغربية على اختلافها، موضحين أسباب الحملة الإعلامية، التاريخي منها والمعاصر، والأساليب المتبعة لتحقيق النتائج المرجوة، وهو موضوع تطرقت له الكثير من الكتابات العربية، وإن لم تضمه دفتا كتاب وتشرحه تفصيلاً، وسنصل في الباب الثاني من الكتاب لأساليب التصدي للحملات الغربية على جميع الأصعدة داخلياً وخارجياً، كرسائل إعلامية موجهة للغربيين المطلعين على أحوال المنطقة العربية عن قرب، بالإقامة فيها أو زيارتها، ثم رسائل إعلامية خارجية من خلال شتى وسائل الإعلام، كذلك ترشيد استثمار الأموال العربية في الخارج في قطاع الإعلام - وليس في قطاعات السياحة والفندقة - بهدف توصيل هذه الرسائل الإعلامية من خلال صحف ودور نشر ومساحات زمنية في الإذاعات العالمية وإنشاء قنوات فضائية، وإنشاء محطات أرضية، وإطلاق أقمار صناعية عربية تبث إلى كل العالم، وبكل اللغات وبالأساليب المتطورة من خلال القنوات الإعلامية المملوكة للعرب، أو التي يمكنهم التأثير عليها والتعاون معها.

وتحديداً للموضوع أو للمشكلة موضوع الكتاب نقول بأنه ليس

مجرد تعريف بالنمط أو القالب الذي يضع فيه الإعلام الغربي - بشتى وسائله - الشخصية العربية .. ولكن الهدف الرئيسي لهذا الكتاب هو وضع خطة إعلامية ترمي إلى تغيير الصورة العربية .. وتغيير اتجاهات الرأي العام الغربي حيال الشخصية العربية .. والوقوف على حقيقة العرب بموضوعية ودون تجني .. كخطوة لقبول القضايا السياسية العربية وتفهمها، واتخاذ مواقف مؤيدة للعرب، أو على الأقل محايدة وموضوعية .. بالإضافة إلى تحسين صورة الإسلام والمسلمين جميعًا في الذهن الغربي.

هذا وتأتي أهمية هذا الموضوع من أنه محاولة لترسُّم أسلوب التصدي للحملات الغربية .. وليس مجرد تعريف بما يقال عنا في وسائل الإعلام الغربية .. وهو أمر غاية في الأهمية بوصفه مقدمة ، لتعريف الغرب بقضايانا، وقبولنا أفرادًا وجماعات كبداية، حتى يتسنى تفهم هذه القضايا الاقتصادية والسياسية.

وقبل الولوج إلى أبواب الكتاب وفصوله، للوقوف على الصورة العربية في وسائل الإعلام الغربية، وحصر ملامحها وأساليب تشويهها .. لابد من الإشارة إلى أن الإساءة إلى الشخصية العربية، وتجسيم أخطائها، لم يكن وقفاً على كتابات الغربيين المغرضين فحسب .. وإنما تناولته الأقلام العربية أيضاً، وبشكل مكثف خلال عقدي السبعينيات والثمانينيات، وبالتحديد بدءاً من نكسة يونيو ١٩٦٧ ، التي كانت بمثابة وقفة لمراجعة كل الحسابات، ودراسة كل نقاط الضعف، ونقاط التقصير على المستوى السياسي والاجتماعي - قبل المستوى العسكري - فيما أسميناه عملية «نقد الذات» المنطلقة من الرغبة في المصلحة العامة .. وقد تصدى لهذه المهمة الحساسة أساتذة ومختصون، كما تصدى لها عدد من الصحفيين والكتاب، حتى أصبحت عملية «نقد الذات العربية» هي المطيَّة السهلة التي يتنكَّبها

كل من يجد في نفسه القدرة على الكتابة من مخلصين، ومأجورين..
وهنا تكمن الكارثة !!

ذلك أن الدراسات العلمية الموضوعية عن العرب، تعتبر قاعدة جيدة لاتخاذ العديد من القرارات، وتطبيق العديد من النظم، على أساس من الفهم الكامل للشخصية العربية، وردود أفعالها سلباً وإيجاباً، في حين أن الدراسات والكتابات المرتجلة في هذا الموضوع تضر أكثر مما تنفع، إذ يستغلها الغرب في الإساءة إلينا بشهادة كُتّاب منا ـ فهي شهادة واجبة التصديق ـ رغم أن معظم هذه الكتابات مرتجلة، ومبنية أصلاً على تأثر بما يكتبه الغرب عنا ويروجوه ضدنا.. فلو قلبنا صفحات حياة الكُتاب العرب تجلين سنجدهم ممن تعلموا أو نشأوا في مناخ غربي، أتاح لهم قراءة ما يكتبه الغرب عن العرب، أكثر من احتكاكهم الحقيقي بالعروبة كقومية أصيلة، وتراث اجتماعي وفكري متميز.. فهؤلاء للأسف إما مهاجرون عن العالم العربي لفترة طويلة، أو متأثرون بالفكر الغربي قراءة واطلاعاً.. إذن هم متأثرون بالغرب، بالدراسة أو الإقامة أو بكليهما ـ ولانقصد هنا بالطبع الدراسات الجادة والموضوعية التي قام بها باحثون عرب، ركزوا أحياناً على مافي الشخصية العربية من نقاط سلبية، بغرض كشفها وتعرية أسسها الاجتماعية والتاريخية؛ كي نتجاوزها ونتغلب عليها، أي محاولة لكشف أسباب التخلف والنكسات العربية ومحاولة تجنبها.. بل نقصد الكتب المرتجلة التي تعتمد على أسس مزاجية وانطباعية غير علمية.. يستغلها الغرب أسوأ استغلال، كمصادر لدراسات أخرى تخدم الإستراتيجية الغربية، وكدعاية مضادة للعرب تستعدي العالم عليهم، وتستثير احتقاره لهم.

ولعله من المعروف أن الدراسات العربية عن الشخصية العربية ـ الجاد منها والمرتجل ـ كانت أساساً حدَّد الباحثون الإسرائيليون بناء عليه أشكالاً سلوكية معينة مرتبطة بالشخصية العربية، وبنوا على خلاصتها

منهجاً كاملاً إزاء خطط الحرب والسلام في الشرق الأوسط، غير معتمدين فقط على الأفكار الإسرائيلية عن الشخصية العربية، بل معتمدين على الأفكار العربية نفسها، وعلى دراسات أجنبية عديدة تحدثت عن الخصائص القومية للشخصية العربية.. ولعل أبرز مثال على ذلك ماقام به «معهد ليفي أشكول للبحوث الاقتصاديه والاجتماعية والسياسية».. إذ عكف باحثوه منذ عام ١٩٧١ على دراسة الشخصية العربية من كافة جوانبها، لتحديد مقومات تكوينها، وخصائص تفكيرها، وأنماط سلوكها، وردود أفعالها.. وقد اعتمدوا في كل ذلك على الكتابات العربية التي تناولت الموضوع، بغض النظر عن مدى مصداقيتها ونزاهة مقصدها.. فغير خفي أن الكثير ممايكتب على الساحة العربية، هو في معظمه مهاترات يكتبها البعض في شكل كتب أو مجموعة مقالات غير موضوعية من كُتاب ساخطين، يرتدون ثوب الناصح في حين أنهم مأجورون على أسوأ الفروض، ومُغرَّر بهم على أحسنها.

ولعل أبرز النماذج على هذه النوعية من الكتابات سلسلة المذكرات السياسية، التي أخذت شكل الظاهرة الأدبية، وتبادل الحملات الصحفية بين الدول العربية ،التي تشكك في الزعامات القومية، وتهدم كل الرموز الناصعة في تاريخنا المعاصر.. كصدى لأغراض شخصية، أو لخلافات أيديولوجية، أو انتماءات مختلفة لأحد الكتلتين الأكبر قبل انهيار إحداهما.. فيستغل الغرب مايكتبه العرب بوصفه شهادة شاهد من أهلها، من الواجب تصديقها.

ويذكرنا هذا الموضوع بالضجة التي ثارت حول كتاب دبَّجهُ روائي مسلم مرتد، أساء فيه للإسلام والمسلمين، فتهافت عليه الغرب، بوصفه شهادة حق.. رغم أن صاحبها مُلحد ومأجور.. ولاأريد تكرار اسمه؛ حيث إنه لايستحق الذكر.. لكني أشير فقط إلى أن العاصفة التي أُثيرت حول كتابة الشيطاني هبت ثم هدأت، دون أن تتخذ أية هيئة

إسلامية أو عربية قراراً حاسماً للتصدي لمثل هذه الكتابات، بشكل علمي وفعال، وله صفة الاستمرارية، ودوام التأثير، فالحقيقة التي لامراء فيها أن هذا المؤلف ليس هو القضية.. فلا هو أول من أساءوا إلى الإسلام أو العروبة كما أنه لن يكن آخرهم.. لكننا قدمنا له ـ دون أن ندرك ـ خدمة جليلة، برفعه إلى مصاف الكتاب الذين تتحرك من أجل ماسطروه دول وقيادات وهيئات، لتتفق أو تختلف حوله الآراء.. وكما هي آفتنا دائماً نُبالغ ونتطرّف في أحكامنا، ونختلف في وجهات نظرنا فلا نتفق على شيء،

حتى على من يسيئون إلينا.. رغم أن التجربة قد أثبتت أن المواقف الحادة تسيء إلينا أكثر مما تحمينا من التشويه.

فما حدث من جدل ليس تحسيناً لصورتنا بقدر ماكان تشويهاً لها.. وذلك مايدعوني هنا إلى التساؤل الملح :

*** ألم يحن الوقت لاستخدام أسلوب علمي، للرد على الهجمات الشرسة على العرب والمسلمين؟**

*** وهل حان الوقت لإنشاء هيئة علمية مستقلة، تكون مهمتها الرد بكافة الوسائل الإعلامية، وبشتى الأساليب، وباختيار نخبة من العلماء المستنيرين، والدعاة المتمكنين، ورجال الإعلام المتخصصين، للرد على الكُتاب الغربيين، الذين ينالون من سمعتنا؟!!**

أتمنى أن يجيب هذا الكتاب على العديد من التساؤلات، حول صورتنا العربية والإسلامية في الغرب، وأفضل أساليب تحسينها.

د. عزة علي عزت

مارس ١٩٩٦

الباب الأول

- الفصل الأول : الصورة العربية في الكتب الغربية.
- الفصل الثاني : الصورة العربية في الصحف العالمية.
- الفصل الثالث : صورة العرب في المصنفات الفنية.

لعله من السهل حصر ملامح الشخصية العربية في الإعلام الغربي، اعتماداً على ماسبق نشره من دراسات حول هذا الموضوع.. وذكر معاملات ارتباط رقمية وإحصاءات لمرات تكرار كل ملمح من هذه الملامح، أو كل صفة من صفات الصورة الغربية للإنسان العربي.. لكننا هنا لسنا بصدد هذا على سبيل السرد.. وإنما في إطار تقويم الصورة، وكيف تقدم محاطة بكل هذا التظليل؟ إن لم نقل التشويه !!

هذا ولابد من الإشارة بداية إلى أن الكُتَّاب الغربيين - في إطار إساءتهم للعرب - يتعمدون الإساءة إلى الإسلام والمسلمين، فما أن تسنح فرصة للإساءة للعرب إلا وتناولوا الإسلام بالتجريح - والعكس صحيح - فما أن يأتي ذكر الإسلام، حتى يُتخذ ذريعة للنَّيل من العرب، والقول بأنه بداية تاريخهم تارة، وبأنه السبب في تخلفهم تارة أخرى.. رغم مافي هذه الأقوال من تضارب.

ولم يعد النَّيل من الإسلام موضوعاً تاريخياً، تتناوله الكتب والأبحاث فحسب، وإنما أصبح مادة يومية للصحف، زاد الاهتمام بها إثر الأحداث السياسية ذات البعد الإسلامي، كالثورة الإيرانية، وحادث اقتحام الحرم المكي، وتدخل الاتحاد السوفيتي المنهار لقمع الثوار المسلمين في أفغانستان، إذ يأتي التحليل السياسي لمثل هذه الأحداث مغرضاً، ومسيئاً للمسلمين، وللعرب والعروبة على حد سواء.

هذا ولابد من الإشارة أيضاً إلى اختلاط معنى العروبة كقومية بالإسلام كعقيدة، في أذهان بعض الغربيين.. وبروز صورة السعودية كرمز للعروبة وللإسلام معاً.. فإذا ماكان الحديث عن العرب كان النموذج السعودي، وإذا كان عن الإسلام كان أيضاً النموذج السعودي، سواء كان ذلك عن جهل أو عن عمد.. كما سيأتي بيانه في حينه.

وبالطبع تدور الإساءة إلى الإسلام حول محاور محددة، وإن اختلف

أسلوب التناول وموضوعه، فالهدف دائماً هو التشكيك، وإثارة الفتنة، والتشويه، والنيل من الدين وأهله.. وهم بالأساس - في نظر بعض الغربيين - العرب لارتباط العروبة بالإسلام في مفهوم العامة الغربيين.

كما لابد لنا من التنويه إلى وجود اختلافات طفيفة في الرؤية الغربية لنا بوصفنا عربًا، تختلف من دولة لأخرى، وتختلف من وسيلة إعلامية إلى أخرى.. وتختلف كرؤية أو كصورة فرعية لبعض العرب عن غيرهم من العرب، وإن كان هذا الأمر لم يتضح بجلاء إلا بعد حرب ١٩٧٣، حيث بدأ ظهور صور فرعية للعرب في وسائل الإعلام الغربية، إحداها صورة العربي المصري المنتصر في الحرب، والعربي النفطي الذي يضغط بماله «لابتزاز الغرب»، والعربي الفلسطيني الذي يقلق العالم بممارساته التي يصفونها «بالإرهابية».. ولكن نقاط الالتقاء والاتفاق بين إعلام كل دولة وأخرى أكثر بكثير من نقاط الخلاف بينها، إذ لايوجد خلاف إلا من حيث اختيار نقاط الإساءة، ومستوى التركيز عليها وأسلوب المعالجة، فقد تنصب معظم الإساءة على أمور تمس ضمير الأمة بشكل مباشر لتعلقها بالدين، أو بالقضية العربية الأولى (قضية فلسطين) والتعرض لهما بالتشويه.. بينما تنصب بعض الإساءات على أمور شخصية وحياتية، أو تعليقات على أحداث اجتماعية ذات بعد اقتصادي أو سياسي.

ولعل فهمنا لمحددات الصورة الذهنية للعرب جملة وتفصيلاً، بكل تفريعاتها، يساعدنا في ترسم الطريق واختيار الأسلوب الأمثل، لتغيير الصورة، وتحسينها.. ويأتي اهتمامنا مكثفاً بصورة العرب في وسائل الإعلام الغربية دون غيرها من وسائل الإعلام في أي من دول الشرق.. حتى التي يُفترض أنها دول صديقة - رغم أن وسائل إعلامها تعج أيضاً بالإساءة إلى العرب، متأثرة بالصورة الغربية عنا، وببعض الأحداث السياسية والعامة، ومن هنا كانت خطورة وأهمية التصور الغربي لنا نحن العرب؛ لأن تأثيره ليس قاصراً على نطاقه المحلي؛ لكنه يترك أثره

على الرأي العام المطالع لنتاجه في دول الغرب، وفي كل دول العالم الملمة باللغتين الإنجليزية والفرنسية، إضافة إلى الألمانية؛ نظراً لخطورة التدفق الإعلامي والإخبارى الغربي، وتفوقه على كل وسائل الإعلام العالمية الأخرى.

هذا ولايفوتنا أن ننوه إلى أثر الإعلام الصهيوني في تشكيل الصورة الغربية عن العرب؛ لاستغلال ذلك سياسياً.. وأبرز مثال لذلك الصورة الأمريكية عن العرب، والتي تضعهم في نمط أو قالب جامد، وثابت في أذهان الشعب الأمريكي، خدمة لأهداف الصهيونية، والفشل غير المحدود للإعلام العربي أمام النجاح الإعلامي الصهيوني في هذا المجال.. رغم الجهود المبذولة في هذا الصدد؛ وذلك لخلو الإعلام العربي من عنصر التخطيط الإستراتيجي القصير والطويل المدى، والمكمِّل لبعضه البعض، بشكل يصب في النهاية نحو الهدف، وهو تغيير صورتنا إلى الأفضل، أو بمعنى أدق إزالة الظلال والتشويهات عنها.

وقبل البدء في التعرُّف على ملامح الصورة في كل وسيلة إعلام على حدة، لابد من القول بأن الغرب يرسم لنا صورة، مُضافاً إليها الكثير من الصفات التي يتمنى أن يراها فينا بالفعل، وفي الوقت نفسه يُكرِّس هذه الصورة بصفاتها ومحدداتها الشوهاء، بتصدير فكر مريض هدام من شأن اعتناقه تحقيق الصورة بكل تفاصيلها، فهو يرسم الصورة في وسائل إعلامه، ويستغل هذه الوسائل كجبهة أخرى في تحقيقها، ونحن عاجزون عن التصدي له في الجبهتين بعجزنا الإعلامي، وبانبهارنا وترحيبنا بغزوه الفكري وحربه النفسية.. الذي بات يمثل اختراقًا كاملاً لعقولنا ، ومن خلال تطبيق النظام العالمي الجديد - خاصة في مجال الإعلام - ومن خلال تحقيق فرض فكرة العولمة التي ستمسخ الهوية والخصوصية التي تميز - على وجه الخصوص - الشعوب ذات الحضارات العظيمة.

***

الفصل الأول

الصورة العربية في الكتب الغربية

غني عن البيان ما للكتاب من أهمية بوصفه وسيلة اتصال لها تأثيرها بشكل عام، ولها تأثيرها في تشكيل الصورة الذهنية بشكل خاص لدى قراء الكتب، وهم في الأغلب الأعم صفوة، تفضله على ماعداه من وسائل المعرفة الأخرى، فالكتاب «هو الأداة التي ابتكرها الإنسان لتكون مساعداً لفكره»[1] وهو في نفس الوقت غذاء روحي وعقلي، يُقبل عليه الناس، ويُفضله البعض مهما قيل عن منافسة وسائل الاتصال الأخرى له منذ نهاية القرن قبل الماضي، والقرن العشرين كله بدءاً بالصحافة فالسينما الصامتة، فالناطقة، فالراديو، فالتليفزيون والفيديو، وأخيراً ما تبثه شبكات الإنترنت.

ومهما قيل عن تأثير الصحف عليه، حيث نجد أن أغلب المثقفين يستخفون بما تنشره الصحف، لكنهم يحترمون ويتأثرون بما يطالعونه بين دفتي كتاب، لما يتصورونه من جهد وبحث، وتأليف وراء نشر الكتب.. رغم أن الغربيين يصدرون يومياً مئات الكتب، التي توزع ملايين النسخ، في موضوعات لاتخرج عن كونها تجارب شخصية أو رؤية خاصة لأمر من الأمور، وتُحدث هذه الكتب تأثيرها لدى ملايين القراء.. رغم عدم توافر عناصر البحث الموضوعي لها.. بل وأيضاً تتنوع موضوعات الكتب الغربية تنوعاً لانستطيع حصره ـ وليس هنا

---

(١) د. خليل صابات، وسائل الاتصال ـ نشأتها وتطورها، مكتبة الأنجلو، الطبعة الثانية، ١٩٧٩، ص ١١.

مجال هذا الحصر - لذا سنركز هنا على أهم أنواع الكتب، وهي الكتب الروائية، وأدب الرحلات، وكتب الأطفال، نظراً لأثرها البالغ على جيل كامل، في فترة تكوينه الفكري، وسهولة التأثير عليه في هذه الفترة.. كذلك دوائر المعارف، لأن ما تضمه مجلداتها من معلومات يؤخذ من الباحثين والكُتَّاب مأخذ ثقة.. رغم ماقد تضمه من معلومات أقل ما يقال عنها أنها متحيزة وغير موضوعية، أو مبتورة بشكل مُخِل.. أو مُستقاة من مصادر جزئية - كما سيأتي بيانه في حينه عبر الصفحات التالية - كذلك سنتعرض لعدد من دراسات المستشرقين وبعض الكتب السياسية الواضحة الهدف.

وقبل التعرُّف على أثر الكتاب في تظليل صورة الإنسان العربي.. رغم عدم توافر عنصر التأثير التراكمي له - مثلما يحدث عن طريق مطالعة الصحف اليومية كمثال - إلا أننا نكاد أن نجزم بأن للكتب تأثيرها التراكمي أيضاً، كما قلنا على النخبة المثقفة، وعلى الصفوة صانعة القرار في أي من دول العالم المتقدم، خاصة إذا ماعرفنا «أن عدد الكتب المنتجة في العالم سنوياً يزيد على نصف مليون كتاب بصرف النظر عن عدد نسخه»[1]، وإن المعدل العالمي لنصيب الفرد من الكتب «يصل إلى ١٦٢ عنواناً لكل مليون حسب إحصاء عام ١٩٨١»[2]، فما بالنا بالإحصاءات الحديثة للكتب والإصدارات مع مطلع هذا القرن، وبالطبع ليست كل هذه الكتب بالضروره تقدم الإنسان العربي بصورة مرضية.. وبالطبع لايقابلها عدد مماثل من الإنتاج العربي للكتب، إذ تدل الإحصاءات على أن العالم العربي «لاينتج أكثر من سبعة آلاف وخمسمائة كتاب أي بنسبة ١,١٪ من الإنتاج العالمي»[3]، فإذا افترضنا جدلاً بأن نصف الكتب التي تصدر في العالم تتناول الصورة العربية في

---

(١) د. خليل صابات، المرجع السابق، ص ٤٩.

(٢)، (٣) د. خليل صابات، المرجع السابق، الطبعة الخامسة، ص ٥٤.

سطر واحد من سطور كل كتاب، وأن كل الكتب العربية تحاول في كل سطورها تقديم الإنسان العربي في صورة أفضل - فحتى لو سلمنا جدلاً بهذه الفرضية المجازية - سنجد أن مانقدمه كعلاقة رقمية لايكفي لتصحيح الصورة، بغض النظر عن الكميات المطبوعة من الكتب الغربية، والمقابل لها من الكتب العربية، ومدى انتشار كل منها بالمقابل، واتساع الهوة بين قراء العربية وقراء اللغات اللاتينية الأكثر انتشاراً في العالم.

يقودنا ذلك إلى التركيز على أهمية الكتاب في رسم الصورة، وأهمية الكتاب في التصدّي أو في تصحيح ملامح الصورة، وذلك لايتأتى إلا بحركة تأليف ونشر وترجمة واسعة النطاق، تتبناها الحكومات ،أو تشجع عليها؛ لأن الكتاب في النهاية وقبل كل شيء جزء من عملية التنمية، بوصفه أداة الاتصال التي تقدم فكراً موضوعياً وعلمياً جاداً.

الكتب الروائية:

يعد الأسلوب القصصي والروائي منفذاً مشوقاً وجاذباً للقارئ، يمكن من خلاله دس أية مفاهيم، مهما كانت درجة صحتها أو مقدار المبالغة فيها حتى لو وصلت هذه المبالغة إلى حد الافتراء الذي لايمكن تصديقه، فوروده فى الرواية يجعل من الممكن تصديقه ما دام قد أتى في هذا الإطار - أعني القصة - ومن هنا كان استخدام الغرب للقصص بكل أنواعه، سواء الرواية العاطفية، أو المغامرات البوليسية، والخيالية، أو أدب الرحلات، أو المذكرات الشخصية، التي تتميز بأسلوب السرد القصصي - الذي يُقبل عليه الشباب - وصولاً إلى قصص الأطفال المصورة، فالغرب - ومن ورائه الصهيونية - لله وللحقيقة لم يألُ جهداً في استخدام شتى الأساليب، للوصول إلى غايتهم في تشويه الصورة

العربية بكل وسائل التعبير.. بل كان الأسلوب القصصي هو الوسيلة الأولى الناجحة في هذا المجال، كما سيأتي بيانه مما سنورد من أمثلة، لتبيان مدى تأثير استخدام هذا الأسلوب، والذكاء في استخدامه بشكل مباشر وغير مباشر، كذلك استخدام أغلفة الكتب أيضاً كوسيلة للسخرية من العرب والتهكم عليهم.

وقد نجح الغرب إلى حد كبيرفي تشويه صورة الشخصية العربية في أنظار العالم، ليس فقط بإعداد البحوث غير الموضوعية، وإصدار كتب الدراسات المغرضة عن العرب.. بل وباستغلال الأدب القصصي، الذي قد يتصور البعض أنه مجرد روايات جيب، يُقبل الجمهور على قراءتها من باب التسلية.. فنجد المخطط المدروس قد امتد إلى هذا النوع أيضاً من وسائل التسلية الأكثر شعبية؛ لضمان تحقيق الهدف المرجو على أوسع نطاق، ومن خلال التأثير على جمهور عريض من القراء يسهل التأثير عليهم، وهم المطالعون من أجل المتعة والتسلية، والذين يتلقون ما يُدس لهم في ثنايا الأحداث القصصية، دون بذل جهد للتفكير في مدى صحة مايزعم.. إلى جانب أن جمهور هذا النوع من القراءات هو من أنصاف المثقفين، ومن الشباب المراهق، وهؤلاء يمكن التأثير عليهم بسهولة، وإقناعهم بآراء - بشكل غير مباشر - يرددونها بسذاجة وكأنها الواقع.

ولعل مايهمنا قبل الخوض في تفاصيل مايحتويه القصص الغربي، ذكر المرتكزات التي تبنى عليها خطة الدعاية، وحملة التشويه من خلال القصص، ويمكن تحديدها في نقاط هي :

* التركيز على وصف العرب بالسذاجة والبلاهة والسفه، وعدم القدرة على التمييز، بحيث يمكن لأي عميل أن يندس بينهم، ويصبح من المقربين من ذوي الأمر.. بل ومستشاراً لحاكم أو ممثلاً تجاريًا لدولة، والأدهى أن يصبح وسيطًا في الخلافات بين القادة

العرب أنفسهم، وهؤلاء العملاء في النهاية هم من يؤلفون القصص، ويكتبون الدراسات عن العرب والمنطقة العربية.

* الإشادة بالصهيونية وعملائها في «إسرائيل» في مقابل انتقاد العرب والمسلمين، والتشكيك في قدراتهم، خاصة على الصعيد العسكري والشرطي، إذ يُشار إلى ذكاء المخابرات الإسرائيلية في كشف العمليات العربية وإفشالها، بفضل توافر عنصر الخيانة في الصف العربي.... وهو الوصف السائد للعرب في معظم - إن لم يكن كل - الكتب الغربية.
* إعطاء صورة سيئة مضللة عن الشعب الفلسطيني، ووصف العمل الفدائي بأنه عمل «إرهابي» يتسم بالوحشية، في مقابل استدرار العطف، وإثارة الشفقة على اليهود المضطهدين في كل أرض.
* التركيز على المساوئ الشخصية للعرب كأفراد أثرياء مسرفين إلى حد الجنون.. الجنس هو المحرك الأول لحياتهم، وهو المنفذ إليهم.
* الإساءة إلى المرأة العربية، والسخرية من وضعها في ظل الدين الإسلامي، والمبالغة في ذلك، لإظهار مدى تخلف العرب، وهذا الأمر بالذات يأتي وكأنه مجرد وصف جاء عفو الخاطر، وكعنصر مكمل للأسلوب القصصي.. إذ يتم توظيف الوصف في هذه الأغراض بشكل مكثف.
* الإساءة إلى الإسلام ورسوله، وتسفيه معتقداته بشكل مبالغ فيه، يعتمد على تغيير وقائع التاريخ، والاعتماد على التحليل المادي لأمور لا تُقيَّم إلا معنوياً.

ولعله من المفيد حقاً قبل البحث بالتفصيل لدراسة هذه المرتكزات الست والتدليل عليها من واقع صفحات القصص.. أن نحدد الخصائص المميزة للأدب القصصي الغربي.. داخل هذا الإطار - إطار الإساءة للعرب . إن أهم مايميز القصص الأجنبية الهادفة

لتشويه صورة العرب مايلي :

- خاصية إفشاء الأسرار أو اختلاق أحداث خيالية، وتغليفها بأسلوب واقعي، وربطها بأسماء أشخاص وأماكن معروفة، كادعاء غير مباشر أو إيحاء بأنها حقائق.
- حشو القصص بالمواقف الجنسية والمغامرات البوليسية، كأسلوب جذب وتشويق، لربط القارئ والدس على العرب في ثنايا هذه المواقف (والمزج بين الجنس والسياسة بأسلوب شيق).
- السعي للتشكيك والوقيعة بين العرب وبعضهم.
- صفة الادعاء والافتراء المصاغ بأسلوب دقيق مدروس، يتوفر فيه بشكل مكثف عنصر الإيهام بالصدق.
- اللجوء إلى الرمز والخيال والتنبؤات، للحديث عن حقيقة صغيرة يراد تشويهها، ولايتحقق ذلك إلا في ظل تمييع الأمور بين خيال مغرق أو رمز ساذج، يكاد يشير إلى الموضوع الأصلي.
- الاعتماد على الأغلفة العارية والرمزية، والتي تتهكم بشكل واضح على العرب، كأسلوب جذب، وتشجيع على الاقتناء والقراءة.

وفي ظل كل هذه الخصائص المميزة، والمرتكزات التي تقوم عليها الخطة الرامية إلى تشويه صورة العرب تتم عملية (غسيل مخ) بطيئة - لكنها مؤثرة - للرأي العام العالمي ضد العرب، ويتم تحقيق الهدف المرجو - وهو الإساءة لهم.

ولنبدأ في تفنيد وتفصيل ما أوجزناه في نقاط، والتدليل على كل ماورد في الموجز من عبارات من واقع القراءة في عدد من القصص الغربية.

تركز القصص الأجنبية - كما سبقت الإشارة - على وصف العرب بالسذاجة - بل البلاهة -، فتدلل جميع القصص البوليسية التي يعتمد موضوعها على سرد إحدى مغامرات الجاسوسية، أو عمليات المخابرات

الإسرائيلية في المنطقة العربية على سهولة أن يندس العميل أو الجاسوس الأجنبي في الأوساط العربية، ويتقرب من القادة والساسة، ويصل بيسر إلى أن يكون مستشاراً لحاكم، أو ممثلاً تجارياً للمصالح الغربية في الشرق الأوسط، ووسيطاً في الاتصالات العربية / الأجنبية.. بل ووسيطاً في تصفية الخلافات بين النظم العربية ذاتها، ويوضح هذا النوع من القصص كيف يلعب هؤلاء الوسطاء على الحبلين، فيوهمون بأنهم يصلحون، بينما هم في الحقيقة يُشككون الأشقاء العرب في بعضهم، ويزرعون الفرقة، وهؤلاء هم في النهاية من يؤلفون الكتب، والدراسات، والقصص عن العرب، ويسيئون إليهم، ملتحفين بثوب العارف ببواطن الأمور، والمطلع عليها عن كثب، ولايخفى ما لذلك من تأثير في القراء.. إذ يضم كل كتاب تعريفًا بالكاتب، يتم التركيز فيه على أن المؤلف زار المنطقة العربية، وعمل فيها لسنوات طوال، وتولى مناصب مهمة، وكان من المقربين من قادتها.. بل كان له دور في تحريك سياستها.

وأبرز الأمثلة على ذلك ماجاء في قصة «الفارس المسافر» [(١)] للكاتب نيكولاس لورد [(٢)].... الذي اختار لقصته هذا الاسم لأنه الاسم الحركي للعملية التي قام بها رجال منظمة أيلول الأسود، من أجل اغتيال ملك عربي، وكان ذلك في عام ١٩٧٣ في قلب لندن.... إذ يصور الكاتب أن هذا الملك علم بالعملية قبل وقوعها، فقام بإخبار البوليس البريطاني، الذي وضع خطة مضادة لإفشال العملية بعملية أخرى، اتخذ لها اسم حركي هو «القبضة القوية»، وتحدث المؤلف في أول فصول قصته عن رجل مخابرات أمريكي مشهور هو الكولونيل

---

(١) منشورات سفير بوك ليمتد (safeer Books Ltd.)

(٢) المؤلف يدعي أنه يحكي رؤيا عميل أمريكي في المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) عاش في المنطقة العربية ويروي تجربته فيها وهو (كولونيل ستيف ولوث).

ستيف ولموث، وعن علاقته القوية مع الزعماء العرب - ولاداعي لذكر أسمائهم - ويصف الكاتب كيف استطاع ولموث - بفضل معرفته ودرايته بالأمور العربية - أن يصبح مستشاراً للزعماء العرب، وكيف وثقوا به حتى أصبح ثرياً، وذائع الصيت.

ويروي الكاتب تفاصيل لقاءات « ولموث» والملك من أجل التوسط بين الملك وزعيم عربي آخر، وكيف أنه اجتمع بالملك لتناول العشاء، ثم قابل الزعيم في نفس الأمسية، عدا لقاءات أخرى كثيرة على مدى شهر، كان يدور فيها نقاش حول نشاط الفدائيين، واتخاذهم الأردن قاعدة لشن غاراتهم على إسرائيل..

كما حمل مقترحات من الملك إلى الزعيم، وكان من شأن هذه المقترحات تخفيف حدة التوتر بين الطرفين[1]، ويصف المؤلف على لسان « ولموث» كيف حاول أن يثبط من عزيمة زعيم عربي ويهزمه نفسياً.

ومن بين القصص الأخرى التي تؤكد نفس الأمر قصة «تحطمت الطائرات عند الفجر» لمؤلفها «باروخ نادل» الذي يسرد قصة أحد اليهود الذين كانوا يعملون في المخابرات الإسرائيلية.. ويروي على لسانه كيف اختير لإنجاز عملية في مصر، ورُسِمت له الشخصية بدقة، بحيث يكون مقنعاً للعمل الذي سيقوم به، لحساب المخابرات الإسرائيلية، وذلك كسمسار سلاح كبير، يورِّد السلاح للطيران المصري، وعليه من خلال عمله هذا، أن يكسب ثقة المسؤولين المصريين - وخصوصاً العسكريين - ويتقرب منهم، ويتعرف على جميع خططهم، وأسرارهم الحربية، وينقلها إلى إسرائيل، حتى تتمكن من وضع خطط مضادة.. ويدلل المؤلف على مدى سذاجة القادة العرب - حتى العسكريين منهم ممن يُفترض حرصهم الشديد - من خلال تصويره للقاء

(١) ص٩ من الفارس المسافر .

هذا العميل اليهودي بقائد القوات الجوية المصرية في الخمسينيات، وكيف أنه نجح في عقد صفقة أسلحة معه، كانت فاتحة لما يريد تحقيقه، إذ وجه المسؤولون المصريون إلى الجاسوس الإسرائيلي تاجر الأسلحة دعوة لزيارة مصر، وفي مصر نجح في إقامة علاقات وثيقة مع كبار المسئولين.

ويقول هذا الجاسوس إنه استغل نقطة ضعف في قادة الجيش المصري، وهي «حبهم للنساء»؛ لذلك يروي الكتاب قصص الحفلات الساهرة الصاخبة التي كان يقيمها لهم الجاسوس.. ومن نقطة ضعفهم استطاع أن يستقي مايريد من أسرار عسكرية.. كما يروي المؤلف وسائله في نقل هذه الأسرار إلى إسرائيل دون أن ينكشف أمره.. ويحكي عن مدى اكتسابه لثقة القادة، التي وصلت إلى درجة تكليفه من قبل رئيسي الوزراء آنذاك ونائب الرئيس أن يقوم بجولة في المطارات المصرية؛ ليقدم تقريراً عنها، وعن سير العمل بها[1].

ويؤكد المؤلف أنه بفضل «السذاجة العربية وحب النساء» نجح الجاسوس في عمل حفل صاخب، التهى فيه الجميع في الوقت الذي هجم الطيران الإسرائيلي على جميع المطارات وحطمها.

وهناك قصص أخرى كثيرة يمكننا من مطالعتها التدليل على مرتكزين هما تمجيد إسرائيل، والعطف عليها، وهنا نؤكد أن القصص الغربية تحتوي على تمجيد لإسرائيل بنفس قدر ماتحتويه من إساءة للعرب وتشويه لصورتهم.. لا بل قد يفوق التمجيد أحياناً الإساءة، فيكشف بذلك عن اتجاهات المؤلف وأهدافه، وبنفس القدر من الدقة يأتي تمجيد إسرائيل أحياناً بشكل مباشر وألفاظ محددة، وأحياناً كمفهوم، ونتيجة مستخلصة من أحداث القصة، بشكل غير مباشر، كالإشارة ـ ضمناً

(١) نصا من الترجمة العربية لقصة «تحطمت الطائرات عند الفجر»، الكتاب مجهول المترجم والناشر ... ولذلك بالطبع مغزاه.

وليس لفظاً - إلى قـدرة وذكـاء المخـابرات الإسـرائيليـة ، في كـشف العمليـات الفـدائيـة والخطط العـربيـة وإفـشالهـا ، وقـدرتهـا في حَبْك عملياتها والتخطيط لها بدقة لضمان نجاحها. . وفي ثنايا ذلك تبرز إحدى أهم الصـفـات العـربيـة التي يلصـقـهـا بنا الغـرب وهي صـفـة «الخيانة» ، إذ تُرجع معظم القصص الغربية أسباب فشل العمليات العربية إلى إفشاء العرب أنفسهم لأسرارهم ، وإمكانية شراء عربي وتجنيده كعميل للمخابرات الإسرائيلية أو الأمريكية ، فالعرب كما يرونهم ويريدون أن يراهم العالم «خونة» ولايحفظون سراً .

كذلك على الصعيد العسكري تركز معظم القصص الغربية على إعطاء صورة مشرفة عن القدرة العسكرية الإسرائيلية . . في مقابل التقليل من القدرة العسكرية العربية ، ووصف العمل الفدائي بأنه «إرهاب» والفدائيين بأنهم «عصابات إرهابية» تقتل الأبرياء والأطفال وتختطف الطائرات ، ونورد هنا نماذج قليلة مما ورد لتأكيد هذه المعاني ، وإن كانت معظم القصص - إن لم يكن كلها - تتخذ تمجيد إسرائيل والإساءة للعرب ركيزة هامة وأساسية لها ، ففي قصة «جهاد» للكاتب اليهودي «إسرل هارل Isserl Harel [1] يحكي الكتاب عملية تهريب أحد الطيارين النازيين، على أيدي رجال المقاومة الفلسطينية من أفراد الجبهة الشعبية ، وذلك بأسلوب مشوق . . وإن كان مليئًا بالدس على العرب ، إذ تصور القصة أن العرب يتعاونون مع النازيين ، كما تشير إلى أن الشباب العرب المنحدرين من أب عربي وأم أجنبية ليسوا مخلصين لقضاياهم العربية ، ويورد نموذجاً لذلك شابًا عربيًا من أب فلسطيني وأم ألمانية ، ينجرف نحو التيار اليهودي بعد موت أبيه وتعرفه على فتاة يهودية فيتزوجها ، ويسافران معاً إلى إسرائيل ، وبذلك يدلل الكتاب

---

(١) كان يعمل رئيساً لقسم في المخابرات الإسرائيلية في الستينيات ، ثم أصبح مسئولاً عن العمليات الدولية لملاحقة النازيين .

أيضاً على ما للمرأة من تأثير على شخصية الرجل العربي.

كما ورد في نفس الكتاب وصف للمنظمات الفدائية بأنها عبارة عن عصابات قتل وإرهاب، والفدائيين الفلسطينيين بأنهم قتلة، وأن غزة مأوى لهؤلاء القتلة، ويحاول المؤلف تشويه حقيقة العمل الفدائي، وتصويره على أنه عمليات عشوائية لايرضى عنها الفلسطينيون أنفسهم، إذ إنهم يرعبون حتى النساء والأطفال، وذلك للتدليل على أن الفدائيين أشخاص لايعرفون الرحمة أو الشفقة، كما يصور في موضع آخر أن ماتسمى «حرب التحرير» ماهي إلا عمليات سلب ونهب(*).

وتدليلاً على وحشية العمل الفدائي، يسوق المؤلف في موضع آخر وصفاً مبالغاً فيه [1] لتنفيذ حكم الإعدام في رجل يتعامل مع إسرائيل، وصل إلى حد أن (القتلة) كما أسماهم كانوا يضربون العميل ويطعنونه بخنجر في عنقه حتى بعد موته، ثم دفنوه عارياً بعد أن أحرقوا ملابسه، ويصل بالمؤلف الأمر إلى تصوير الفدائيين الفلسطينيين كأناس بلا عقيدة ولادين، وأنهم في سبيل أهدافهم مستعدون أن يحطموا حتى الكعبة وأن يحولوا الحجر الأسود إلى رماد، كما يصف عملية فدائية لضرب الكعبة، بمساعدة طيار نازي هربوه من سجنه.. لكن النازي المشهور بالوحشية يرفض؛ لتقديره للقيمة الدينية لمكة لدى المسلمين، بينما الفدائي الفلسطيني المشترك معه في العملية يُصر متجاهلاً هذه القيمة، ويهدده بالقتل إن لم يفعل، ويأتي وصف مسهب للعملية على صفحات كثيرة من الكتاب[2] ويصور المؤلف أن الجناح اليساري من المنظمات الفدائية هو المخطط لعملية ضرب الكعبة، التي فشلت بسبب الخيانة في الصفوف الفلسطينية نفسها.

(*) من قصة جهاد، ص ص ١٨ ـ ٢٠.

(١) من قصة جهاد، ص ٣١.

(٢) من قصة جهاد، ص ٢٠٥ وما تلاها.

وفي نفس القصة[1] يمجد المؤلف المخابرات الإسرائيلية، ويقارن بين قدرتها وغباء المخابرات العربية، وسذاجة العرب، الذين وثقوا في الطيار النازي واعتبروه منهم، بينما هو إسرائيلي، توجه إلى ألمانيا بأمر من مخابرات إسرائيل، لأن ألمانيا أقرب الطرق للوصول إلى الجبهة الشعبية.

ولعل المرتكز الثالث الذي تعتمده القصص الغربية ـ والوثيق الصلة بما ذكرناه حول تمجيد إسرائيل، والتقليل من قدرة العرب ـ هو إثارة التعاطف مع إسرائيل، وتصويرها في موقف المظلوم دائماً، واستدرار العطف والشفقة على اليهود المضطهدين في كل أرض، في مقابل الإساءة بشكل مركز إلى الشعب الفلسطيني، والتركيز على نعته بأبشع النعوت، ناهيك عما يوصف به العمل الفدائي، ولعل ماسبق ذكره من نماذج من قصة «جهاد» دليل كافٍ على الرغبة في وصف الفلسطينيين بالخيانة وبالإلحاد، وعدم التقدير للقيم الدينية، والعقائد والمقدسات، وبالوحشية وقتل الأبرياء، وبالغوغائية فيما يقومون به من عمليات.

وهناك قصص أخرى كثيرة تنسج أحداثها على نفس النمط لدس نفس الأفكار، وكنموذج نأخذ قصة «المدمر»[2] التي تمجد بطولة رجل مخابرات أمريكي في محاربة ما أسماه «الإرهاب الدولي» كما تصف الفدائيين بأنهم أبعد مايكونون عن الإنسانية، فالقصة تحكي أحداث عملية اختطاف طائرة، يقوم بها فدائيون عرب، يتحدث عنهم الكتاب بأسلوب ملؤه السخرية بالعرب، كما يدّعي أنهم اغتصبوا إحدى راكبات الطائرة المخطوفة، ثم قتلوا طفلها الصغير.

هذا ويتخذ القصص الغربي أيضاً ركيزة مهمة تدور حولها معظم رواياته، وتمتلئ بها صفحاته، وهي وصف المساوئ الشخصية للعرب،

---

(١) القصة من منشورات مؤسسة كورجي، وهي دار نشر تكاد تكون متخصصة في إصدار الكتب الرامية إلى الإساءة للعرب والإسلام.

(٢) قصة «المدمر»، من تأليف ريتشارد سابر وارين صورفي، من منشورات مؤسسة كورجي أيضاً.

وإبرازها والمبالغة فيها، فهم يصورون العرب جميعاً على أنهم أثرياء مسرفون إلى حد الجنون والسفه، كما أن الجنس وحب النساء هو المحور والمحرك الأول لحياتهم، وهو المنفذ إليهم، فالوسيلة المثلى للحصول على أية معلومات وأسرار عربية هي تسخير النساء الأجنبيات الجميلات؛ لضمان نجاح أية عملية يكون العرب طرفاً فيها، وبالطبع فإن الحديث عن اللهو والجنس والخمر، والمقامرة، وجلسات المجون، تعتبر مادة ثرية، تخدم القصص والروايات البوليسية والغرامية التي يدس من خلالها، وبالطبع يأتي وصف هذه الأمور وكأنه عنصر مكمل لمقومات القصة، بينما هو عنصر وظيفي فيها، له غرضه وهدفه، ولم يأت عفو الخاطر، كما يبدو للبسطاء من قراء هذه القصص المسلية.

ولايقف التركيز على المساوئ الشخصية للعرب على الرجال وحسب، بل إن الإساءة إلى المرأة العربية تعد عنصراً مهمًّا في القصص العربي، لأنهم في معظم القصص يركزون على وضعها المتردي، وسوء حالها في ظل الإسلام، وذلك للتدليل على مدى تخلف العرب وبدائيتهم، بينما الحال يختلف في مواضع أخرى، إذ يصور المرأة العربية على أنها امرأة داعرة وشاذة، وأن ما يظهر من تحجبها يخفي وراءه أسراراً، يدعون أنهم يكشفونها، ومن الأمثلة والنماذج على كل ماسبق قصة «ضربة قاضية في البحرين»[1] وقصة «الفارس المسافر» وقصة «دبي»[2] وقصة «بقشيش»[3].... وغيرها كثير.

---

(١) قصة فرنسية من تأليف المؤلفة جوزييت بروس التي تصدر مجموعة باسمها هدفها الإساءة للعرب، وهي قصص بوليسية تحتوي على أمرين إما سياسة أو جنس، وتميزها الأغلفة العارية، ويباع منها من ٦٠ : ١٠٠ مليون نسخة سنوياً.

(٢) قصة دبي، تأليف روبن مور، وهي تحكي قصص تهريب الذهب من دبي.

(٣) بقشيش، قصة فرنسية، من تأليف ميشال كليرك، ترجمت إلى العربية في بيروت باسم «فئران الأنابيب».

هذا ولا أجد ضرورة للإشارة إلى بعض ـ من كل ـ مما يقال في أمثال هذه القصص عن العرب، للنيل منهم والإساءة إليهم، بل يكفي الإشارة إلى أن هذه القصص لاتترك فرصة سانحة إلا وتستغلها للسخرية من العرب، والهزء بهم وبتقاليدهم وعاداتهم.. بل وتختلق عادات تلصقها بالعرب وهم براء منها كما في قصة «ماش يذهب إلى تكساس»[1] التي يقدم فيها «شيخ الشيوخ» كما أسماه المؤلف «عبد الله بن بزوغ» عدداً من الجواري كهدية لصديقه الأمريكي الذي يرفضها بسخرية وإباء متهكماً على العرب[2].

وحول نفس المعنى جاء في كتاب «العرب» تأليف «توماس كيرنان» ـ الذي يدخل في عداد كتب أدب الرحلات بأسلوب السرد القصصي ـ يأتي في هذا الكتاب وصف للكرم العربي في هذا الصدد، فيحكي المؤلف أن شيخ قبيلة «سهول» في السعودية قد عرض عليه زوجاته عاريات، كي يختار منهن واحدة يقضي معها ليلته، وأنه ـ أي المؤلف ـ تأفف ورفض، فعرض عليه الشيخ إحدى بناته على نفس الصورة، وكان الأب سعيداً بصراخها، متشرفاً فخوراً بأن رجلاً أمريكياً يضاجعها... وقد أتى ذكر هذا الأمر بأسلوب سقيم مبالغ فيه وبوصف مرذول.... وغني عن البيان مافي ذلك من مغالطة وادعاء على العرب بعادات ليست فيهم.

ويدلل مؤلف قصة «ماش يذهب إلى تكساس» على سفه العرب في أمور أخرى منها الإسراف، فيصف ماحدث في إحدى الحفلات بحضور «شيخ الشيوخ» حامي حمى الإسلام ـ على حد قوله ـ قائلاً :

«حين انتهى عبدالله من إلقاء كلمته وحاول الجلوس، علق الكيس الصغير في الميكروفون فتمزق وسقطت كل الجوهرات والماسات التي

---

(١) قصة ماش، من تأليف ريتشارد هوك ووليم بترورث .

(٢) قصة ماش يذهب إلى تكساس، ص ٨٩.

كانت في الكيس على الأرض مسببة فوضى كبيرة، فإذا بكل الحاضرين يزحفون على أيديهم يتعاركون من أجل الحصول على الجواهر....

وتساءلت:

- ألم يشعر سموه الملكي بالإهانة؟

- أبداً بل كان كلما بدا أن العراك قد خف كان يأخذ بعض الجوهرات من أحد حراسه ويرميها على الأرض، وقد استمر ذلك لأكثر من ساعة»[1]

وهذا المشهد الذي تصوره القصة تركز عليه أيضاً معظم الأفلام السينمائية التي تأتي على ذكر العرب، ومنها فيلم «القرصان» الذي سيأتي ذكره فيما بعد.

هذا ويسيء القصص الغربي إلى المرأة العربية أبلغ إساءة في العديد من الكتب، وبأساليب مختلفة،فقد يصفها بالمجون كما في قصة «ضربة قاضية في البحرين» التي يحكي فيها المؤلف عن:

«فتاة مصرية تعيش وحيدة في البحرين لا تخشى كبقية العربيات رقابة أخ، أو زوج، ولا تغطي وجهها بحجاب.. بل هي تحتقر الشيوخ العرب»[2].

كما يتهم النساء الفلسطينيات أنهن يعملن داعرات في بيروت - خاصة فتيات المخيمات - وقد أتى ذكر ذلك في قصة «الفارس المسافر»[3]، وحتى المرأة السعودية المحجبة المحافظة لم تخل القصص الغربية من إساءة إليها، وكنموذج لذلك القصة الفرنسية «بقشيش» التي تتطرق لحياة إحدى الأميرات، إذ تسميها وتنسبها إلى إحدى الشخصيات الإسلامية، وتتهمها بالشذوذ الناتج عن الحرمان الذي

---

(١) من قصة ماش يذهب إلى تكساس، ص ١١٣.

(٢) قصة ضربة قاضية في البحرين، ص٧.

(٣) قصة الفارس المسافر، ص ١٢ .

يعيشه المجتمع الإسلامي في السعودية[1]، ولايخفى مافي ذلك من إساءة للمجتمع الإسلامي ككل متمثلة في الإساءة لشخصيات لها وزنها في المجتمعات المسلمة.

وفي إطار التركيز على المساوئ الشخصية ـ غير السياسية ـ للعرب كأفراد، يأتي وصف العرب بأنهم قراصنة ومهربون للذهب في عدة قصص منها قصة (دبي)، التي تحكي قصص تهريب الذهب إلى الهند بمعرفة، ومعاونة، ولحساب أحد كبار المسؤولين فيها.

ولعل الإساءة إلى الإسلام ورسوله إحدى أهم الركائز التي يعتمدها القصص الغربي، والمدخل للإساءة للعرب، وهم بذلك يريدون التأكيد على مفهوم خاطئ بأن تخلف العرب مرده إلى الدين الإسلامي، ويريدون أن يسود هذا المفهوم بين المسلمين أنفسهم، فينفضوا عن دينهم، أو تتزعزع عقيدتهم.

وتصدر الإساءة بشكل مبالغ فيه، يصور حدة الرغبة لديهم للنيل من الدين الحنيف، مترسمين الحقد طريقاً لهم، ولقد جاء ذكر هذه الإساءات إلى الإسلام في كتب ودراسات وقصص كثيرة.. لكننا هنا نذكر قصة واحدة كنموذج بلغت فيه الإساءات مداها وهي قصة «ورثة الملك»[2] التي تتناول الحرب الصليبية الأولى وسرد وقائعها وهزيمة المسلمين واستعادة القدس، بأسلوب حاقد بلغت الإساءة فيه ذروتها، إذ عجت القصة بالسب والقذف في حق الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، بأكثر مماقد يتصوره عقل، وفيها الدليل الكافي على مايروجه القصص الغربي عن ديننا الإسلامي عن جهل به، ناهيك عما في غير

---

(١) قصة بقشيش، ص ٥٨ - ٦٠.

(٢) قصة ورثة الملك قصة تاريخية من تأليف «ذو أولدنبورج Zoe Oldenbou-ruig» راجع ص ٢٠٦ - ٢٠٧، ص ٢٠٩، ص ٤٧١، ص ٤٨٢، ص ٥٠٥ من قصة «ورثة الملك» للوقوف على ماورد بها من عبارات سفيهة.

هذه القصة من مغالطات تاريخية، ترد وكأنها حقائق مؤكدة، فيكون لها تأثير أكبر في النفوس غير المؤمنة والمتشككة في الإسلام ويكون لها أثر أكبر في استعداء غير المسلمين على الإسلام، ناهيك عن إيراد تحليل لمساوئ واقعنا الحالي وربطها بالإسلام عن غير علم.

من كل ماسبق يمكننا القول إن الهدف الأساسي للمنشورات الغربية المغرضة وفي مقدمتها القصص، وأدب الرحلات ومذكرات الوافدين الغربيين على المنطقة العربية هو تشويه صورتنا، ليس في أعين غيرنا فحسب وإنما في أعيننا، وتشكيكنا في قدراتنا، وعقائدنا، وفي بعضنا البعض ومن أبرز النماذج على الهدف الأخير ـ وهو تشكيك العرب أنفسهم في بعضهم البعض ـ ماجاء في قصة «جهاد»[1] من بث لبذور الخلاف بين الفلسطينيين المسلمين والفلسطينيين المسيحيين من جهة، وبين الفلسطينيين عموماً والعالم الإسلامي من جهة أخرى، وذلك من خلال رواية أن هناك خطة سرية وضعتها الجبهة الشعبية ـ ويرأسها قائد مسيحي ـ لضرب وتحطيم الكعبة والحجر الأسود، ثم فشل هذه الخطة بسبب الخيانة، مماقد يولد بين الصفوف شعوراً بالشك، وعدم الطمأنينة، وعدم الثقة، بين الشباب الفلسطيني بعضهم وبعض.

كذلك ماجاء في قصة «ضربة قاضية في البحرين» من التشكيك في قناعة وإيمان العرب بالقضية الفلسطينية كلها[2].

ولعل عنصر التشكيك يتضح أكثر إذا ماتعرضنا لخصائص الأسلوب القصصي الرامي إلى مهاجمتنا، والذي يعتمد على الادعاء بإفشاء أسرار، وهي في الحقيقة لاأساس لها في الواقع المعاش، وربط ذلك بأسماء أشخاص وقادة معروفين، وربط الأحداث المختلفة بمسرح واقعي، أي بأسماء أماكن معروفة، لإكساب هذه الادعاءات صفة الحقيقة،

---

(١) قصة جهاد، ص ٢٢١ .

(٢) قصة ضربة قاضية في البحرين، ص ٧٨، ص ٨٠ .

وكمثال على ذلك ماجاء في قصة «الفارس المسافر» التي يروي مؤلفها على لسان شخص أجنبي متداخل بين القادة العرب أنه التقى بياسر عرفات، وحاول إقناعه بزيارة إسرائيل سراً(*) .. وإن كان هذا القول لا يُعد شيئاً الآن بعد اتفاقيات السلام .. لكنه وقت نشر الكتاب كان ضرباً من الخيانة.

ويروي المؤلف كيف تمت المباحثات بشأن لقاء فلسطيني / إسرائيلي، وبالطبع لايخفى مافي ذلك من إثارة للبلبلة في الأوساط العربية، إذا ما أخذ البعض هذه الواقعة آنذاك على أنها حقيقة أو فيها بذور من حقيقة، وخاصة بالنسبة لقادة ثورة مسلحة كانوا يرفضون التفاوض في حق لهم بأية صورة، وعلى أي مستوى.

لعلنا بهذا المثال نكون قد دللنا على أهم خصائص القصص الغربي الموجه ضد العرب، وهي الادعاء بإفشاء أسرار، واختلاق أحداث خيالية وتغليفها بأسلوب واقعي، وربطها بأشخاص وأماكن معروفة، للإيهام بأنها حقائق، والسعي للتشكيك والوقيعة بين العرب، وفي هذا المثال يظهر أيضاً دقة الأسلوب المدروس الذي يُصاغ به الافتراء، وتكثيف عنصر الإيهام بالصدق فيه.

ولعل اللجوء إلى الرمز، وتصوير الخيال، والتنبؤ بالمستقبل، هي وسيلة أخرى وخاصية مهمة في القصص الغربي، ويتم ذلك بتناول حقيقة صغيرة يراد تشويهها، فتميع الأحداث حولها مابين خيال مغرق، أو رمز مكشوف يكاد يشير إلى الأشخاص والأماكن المعنية، وكنموذج لذلك أيضاً قصة «الواحة المشئومة» (1) التي تحكي قصة رجل إنجليزي أسس هو وابنه غير الشرعي مشيخة باسم (Safaifa) وهي إمارة من وهم وخيال ـ كما تقول القصة ـ تقع على الحدود السعودية،

(*) قصة الفارس المسافر، ص ١١ وماتلاها .

(١) قصة الواحة المشئومة، تأليف هاموند أنز .

وقد اعتنق الأب وابنه الإسلام، وتقمصا طريقة الحياة العربية... وقد سعيا لإنقاذ إمارتهم الوهمية من الفناء والجدب بالري، وبحمايتها من زحف الرمال المتدفقة من الربع الخالي، وأخذا يبحثان عن البترول... وتحكي القصة أن إمارتهما كانت متاخمة لإمارة تسمى «هاد Hadd» وهي أيضاً من وهم وخيال المؤلف.. وكانت هذه الإمارة تدخل في صراع مع إمارتهما وتقطع عنها إمداد الماء، وقد جاء ذكر اسم شيخ إمارة «هاد» في الكتاب [١] وهو «الأمير عبدالله زايد بن سلطان» وهو عدوهم الأوحد حتى الموت [٢].

ورغم الاعتماد على الرمز والخيال في هذه القصة نجد المؤلف يشير في الصفحة الأولى من القصة إلى أن الواحة المشئومة هي واحدة البريمي، كما كانت حينما كان الشيخ زايد مجرد شيخ قبيلة وكان «هاموند أنز» المؤلف مرافقًا له في ذلك الوقت، كما جاء في موضوع آخر [٣] أن المؤلف تلقى المساعدة من «نيل أنز» الذي كان يعمل وزيراً للشئون الخارجية لسلطان عربي، حينما كان المؤلف يقوم برحلته الصحفية في المنطقة العربية.

وبالطبع يمتلئ الكتاب بالإساءة إلى العرب وبالإشارة إلى أحداث تثير الكثير من الحساسية بين الأشقاء العرب، وكأنه خيال، والتركيز الأكبر على الصراع العربي على الإمارة الخيالية (البريمي).

وعلى نفس النمط وهو اتخاذ الرمز والخيال وسيلة لخلق البلبلة، كانت قصة «انهيار ٧٩» والتي تتنبأ بمستقبل منطقة الخليج خلال عام ١٩٧٩، والفناء الذي سيصيب المنطقة على يد شاه إيران، أما قصة «منزلق البترول» [٤] التي يتحدث مؤلفاها عن إحدى دول البترول

---

(١)، (٢) قصة الواحة المشئومة، ص ٨٩.

(٣) قصة الواحة المشئومة، ص ٥.

(٤) منزلق البترول قصة من سلسلة «المدمر» من تأليف ريتشارد سابير ووارين مورفي.

العربية، ويسميانها «لوبينيا» فيفهم من أحداث القصة أن المقصود ليبيا، وبالطبع يصفان مدى التأخر والتخلف في هذه الدولة، بأسلوب يدل على الحقد الذي يكنانه للعرب جميعاً.. ورغم الرمز أو ادعاء الرمزية نجد أن الكتاب يكاد يشير إلى المقصود من الرمز (*)، وتسير القصة لتدلل على أن هذه الدولة تملك فقط المال والغاز لكنها متخلفة، فكل مافيها من صنع خليط من الجنسيات.

هذا وتجدر الإشارة إلى الخاصيتين الأخيرتين من خصائص القصص الغربي التي يعتمد عليهما كوسيلة لجذب أكبر عدد من القراء؛ كي يتحقق الهدف المرجو على أوسع نطاق، وهاتان الخاصيتان هما :

* حشو القصص بوصف فاضح للمواقف الجنسية، والمغامرات البوليسية المشوقة، والدس على العرب في ثناياها.

* الاعتماد على الأغلفة العارية كأسلوب ناجح في التسويق والترويج، عن الأغلفة التهكمية على العرب.

ومما سبق يتضح أن الإساءة للعرب هي القاسم المشترك الأعظم في مؤلفات الغرب.

الدراسات السياسية والاقتصادية :

وإذا كان ماسبق يتعلق بنوعية واحدة من الكتب وهي كتب التسلية (القصص، وأدب الرحلات) رغم ما للأخيرة من جمهور عريض من المثقفين.. ورغم خطورة مايرد فيها من معلومات، يتلقاها القارئ على أنها رؤيا شاهد عيان، وأنها حقيقة لاشك فيها.. ننتقل إلى نوعية أخرى من الكتب هي الكتب الجادة، التي تضم دراسات المستشرقين والكتب السياسية، ودوائر المعارف.

ولعل هذه النوعية من الكتب لها خطر أشد على نوع خاص من

(*) كنموذج راجع : قصة «منزلق البترول»، ص ٤٢ .

القراء لهم خطرهم أيضًا، ولهم دورهم في توجيه السياسات الدولية، واتخاذ القرارات مع أو ضد العرب.

أولاً : لأن المستشرقين ومايدبجون من كتب يعتبرون مرجعاً موثوقًا بالنسبة للغرب، فيما يتعلق بكل ما هو عربي أو شرقي.

ثانياً : لأن دوائر المعارف بما تضم من معلومات منحازة تعتبر مرجعاً في أية دراسة عن العرب.. ويؤخذ مايرد فيها من مادة على أنه موضوعي ومحايد.. وإن كان ذلك ليس مطابقاً للواقع في أغلب الأحيان.

أما الكتب السياسية فلها خطرها أيضاً؛ لأنها غالباً ماتصدر مواكبةً لأحداث آنية، كتغطية متكاملة تعطي خلفيات تاريخية مغلوطة، وتحليلات سياسية مغرضة.

ومن أبرز الموضوعات التي تتناولها الكتب الجادة، والتي تعتبر من الموضوعات المطروحة للنقاش في ندوات عالمية وفي الصحف عامة.. دور شركات البترول في المنطقة العربية، وأثره على السياسة العالمية، وأثر مقررات منظمة الأوابيك (الدول العربية المصدرة للنفط) على اقتصاد أمريكا وسعر الدولار الأمريكي، ناهيك عما كانت تطرحه حول أحداث الثورة الإيرانية، وأثرها على الساحة الخليجية من آثار نفسية، تباري الكتاب الغربيون في إبرازها والكتابة عنها، بوصفها «خوفًا متعاظمًا لدى الأمراء» في الخليج.. ومدًا ثوريًا يزحف على المنطقة، ثم ماكان من تناولهم لحرب الخليج بين إيران والعراق، وأثرها على المنطقة بأسرها.. وأخيراً ماصدر من كتب وماكتب في الصحف عن أزمة الخليج بين العراق والكويت في أغسطس ١٩٩٠، وتبعات هذه الأزمة التي ما يزال العرب جميعًا يعانون منها على مستوى تشويه الصورة الذهنية، وعلى مستوي الحضارة رغم أنها سيناريو أمريكي نصب للوقيعة بين الجارتين واستثمر لصالح الغرب الأمريكي بالذات.

هذا وتحتل الدراسات العربية جانباً كبيراً لا يُستهان به من المؤلفات

المكتوبة بلغات أجنبية، ويعكس ذلك مدى اهتمام الغرب بالمنطقة العربية، ذلك الاهتمام الذي لايخلو من جوانب مغرضة للنيل من العرب وتشويه صورتهم، فكم من المؤلفين الغربيين الذين يزورون المنطقة بهدف إجراء أبحاث ودراسات، أو حتى سلسلة مقالات ماتلبث أن تتحول إلى كتاب تتلقفه الأيدي.. ومن جانبنا نقدم لهم كل الإمكانيات المادية التي تسهل إقامتهم، ونفتح لهم صدورنا.. وخزائن المعلومات التي تساعدهم في بحوثهم، دون أي تدقيق في نوعية المعلومات، ومصداقيتها عن الواقع العربي بكل جوانبه، فيخرج نتاج هؤلاء المؤلفين أبعد مايكون عن الواقع معتمداً على الرؤية الشخصية للمؤلف.. وعلى وجهات نظر من يلتقي بهم ويخالطهم مصادفة، من أجانب مقيمين في المنطقة العربية.

ولعل الكتاب المسمى «مذكرات في السياسة العربية ودراسات أخرى»[1] واحد من هذه النوعية من الكتب الكثيرة التي صدرت عن المنطقة العربية، وإن كان الغرض منها تمجيد اليهود، بالمقارنة بينهم وبين العرب، ويتضح منه حقد مؤلفه على الأمة العربية، والدين الإسلامي.. كما يتضح ذلك من وصفه لأخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) بصفات وضيعة، واستشهاده ـ لإثبات مايقوله ـ ببعض أقوال رجال الدين المسيحي، الذين جاءوا إلى المنطقة العربية عن طريق جامعة بيروت الأمريكية، وانتشروا في بعثات تبشيرية في كل البلاد العربية، وذلك ليثبت أن المسيحيين هم أيضاً ضدالإسلام، وأن هذا الموقف العدائي من الإسلام ليس موقف اليهود وحدهم.

وقد تناول هذا الكتاب عدة نقاط، تناولتها أيضاً الكثير من الكتب الغربية، التي كتبت عن العرب المسلمين، والتي لايخرج محتواها عن كونها مقارنة بين العرب واليهود، ومحاولة نسبة الحضارة العربية إلى اليهود.

---

(١) تأليف إيلي كيدوري، والصادر عن دار نشر فرانك كاست المحدودة ـ لندن .

والنقاط التي تُتناول في هذا المجال معروفة وهي : التركيز على وضع المرأة المسلمة، والتركيز على وصف السلوك العربي بالاهتمام بالجنس، والوحشية، والتعصب إلى غير ذلك من نعوت يتفنن مؤلفو الغرب في لصقها بالعرب.. رغم تناقضها في بعض الأحيان.

ويقول كتاب «مذكرات في السياسة العربية» معبراً عن وجهة نظره في القضية برمتها بصراحة - حبذا لواستفدنا منها - فهو يتساءل قائلاً :

« ربما يسأل القارئ لماذا عندما نتكلم عن اليهود نتطرق إلى العرب ؟؟ والجواب هو.. أنه كلما أصبحت إسرائيل على وشك التقدم والازدهار والنجاح يأتي العرب ليعيقوا مسيرتها.. إن مملكة اليهود القديمة يحل لها أن تقاتل، حتى يتغلب جانب على آخر، ومستقبل العالم كله مرهون بنتائج هذه الاشتباكات، لكن اليقظة العربية لحسن الحظ تُهزم وتُحبط في الوقت المناسب»[1].

وهو بذلك يصور أن العرب هم العقبة في طريق الازدهار اليهودي، ويعتبر أن إحباط يقظة العرب في الوقت المناسب من حسن الطالع، ولايكتفي المؤلف بذلك، بل يدعي أن اليهود أصحاب حضارة، وأن الحضارة العربية بناها اليهود أنفسهم، وعن ذلك يقول نصاً :

« اليهود جماعة لهم هويتهم التي استمدوها من الدين، وحفظتهم متماسكين معاً، وإذا كنا نقيم الحياة بالحضارة فإن اليهود لهم باع طويل في هذا المجال على مدار التاريخ.. بل إن اليهود شاركوا ومازالوا يشاركون في حضارة من يُسمون بالعرب»[2].

ويستمرئ المؤلف التقليل من قيمة العرب وحضارتهم، ولا يكفيه ذلك فيتناول العرب بالتجريح والإساءة.. وذلك ليس جديداً على الكتابات الغربية.. إذ يقول المؤلف دون مواربة :

---

(١) كتاب دراسات في السياسة العربية، ص ١١٢، ص ١١٣ .

(٢) كتاب دراسات في السياسة العربية، ص ٣٢٢ .

«إن العرب أصبحوا يشكلون مصدر إزعاج للعالم، حتى أن المحاكم العليا والصحف امتلأت بالشكاوى والمظالم العربية، حتى أصبح العرب مملين ومضجرين»[1].

ويصف عالم العرب ـ خاصة أهل الجزيرة العربية ـ كما يراه أي قادم إلى المنطقة العربية كرحالة أو باحث قديماً وحديثاً فيقول :

«وقبل حوالى ١٠٠ سنة، كان الرحالة الذي يصل إلى الشرق الأوسط لديه أشياء كثيرة عليه أن يختار منها مايريد، فهناك الهمجية، والوحشية، والقرصنة، والرقص وهز البطن، والتعصب الديني ، والسلاطين ، والباشورت والمستنقعات، والسكارى المخمورين، والنساء.

أما الآن فقد تغيروا قليلاً.. هؤلاء هم العرب... ولانقصد بالعرب أولئك الذين يعيشون في القاهرة أو دمشق أو بيروت أو بغداد بل العرب (الحقيرين التافهين) الذين جاءوا من قطعة أرض غير طبيعية هي الصحراء العربية. لقد هزموا وأخضعوا إمبراطوريتين، ولكن بعد ذلك انقلب كل شيء ضدهم حيث ابتلعهم واستعبدهم الأتراك، ثم الاستعمار البريطاني، ثم الفرنسيون، ثم اليهود»[2].

ويقول المؤلف في موضع آخر :

«إن الحياة السياسية جلبت على العرب الذل في الخارج والعجز في الداخل»[3].

وبالإضافة إلى الإسلام كعقيدة، يحاول المؤلف التقليل من قيمة الرابطة بين الإسلام والعروبة، إذ يرى أن الدين الإسلامي لم يوحّد العرب ويقول :

«لم يكن هدف محمد هو أن يخلق من العرب أمة ـ وهو لم يفعل ـ

---

(١) ، (٢) كتاب دراسات في السياسة العربية، ص ١٦٢ .

(٣) المرجع السابق، ص ١٧٨ .

لكنه خلق من العرب مسلمين.....» [1].

وبذلك ينفي المؤلف أن الإسلام وحد بين العرب، بل ويدّعي بأن الوحدة العربية رعتها وحفظتها بريطانيا، ولذا نجده يقول :

«إن بوادر الوحدة العربية التي رعتها وحفظتها بريطانيا، ومنذ ذلك اليوم أخذت أشكال الوحدة العربية تتجسد في أن تبتلع وتأكل دولة عربية دولة عربية أخرى» [2].

ورغم مافي ذلك من مغالطة.. زاد عليها المغالطات المتصلة بالإسلام كعقيدة، والسلوك الفردي للمسلمين، نستشعر أن هذا الكاتب يجسد الصراع العربي والتناحر العربي وكأنه يعيش فترة مابعد عام ١٩٩٠ رغم أن الكتاب وضع قبل هذا التاريخ بعدة سنوات.

وينفرد هذا الكتاب بالحديث عن البعثات التبشيرية، ودورها في العالم الإسلامي، مصوراً أنها الوسيلة الناجحة لخلق رجال مثاليين في المنطقة العربية.. ومؤكداً أنه سيأتي اليوم الذي سيتحول فيه المسلمون إلى مسيحيين.. وبالطبع سيكون ذلك بفضل الجهاز التبشيري الأول في المنطقة وهو الجامعة الأمريكية في بيروت التي أفرد المؤلف فصلاً من الكتاب للحديث عن دورها التبشيري.

وأرى هنا أن مثل هذا الكتاب، والذي غالباً مايكون موقفنا حياله مجرد موقف سلبي، هو إهماله، أو منع تداوله داخل الوطن العربي، رغم مايحمله من مغالطات تسيء إلى صورتنا، وتعطي فكرة خاطئة عنا للعالم، أرى أنه يجب اتخاد موقف أكثر حزماً، للتصدي لمثل هذه المؤلفات، بمؤلفات مضادة لها.. تغيِّر الصورة المشوهة التي يروجون لها بكل وسائل إعلامهم، وبكل إمكاناتهم الاتصالية، ولا بأس من استخدام شتى الأساليب الاتصالية المستحدثة للسرد، مثل عمل كتب

---

(١) كتاب دراسات في السياسة العربية، ص ١٦٤ .

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٦ .

إلكترونية E-Book، ووضعها على مواقع خاصة على شبكة الإنترنت للرد والتفنيد لكل ما يقال عن العرب زوراً.

وبعيداً عن الكتب السياسية، نجد أن العديد من الكتب الاقتصادية التي تتناول أية من المشكلات الاقتصادية الدولية، تتعرض للعرب بالتجريح من مدخل اقتصادي، وكنموذج لمثل هذه الكتب : كتاب" "The Control of Oil[*] أو «السيطرة على النفط» الذي يعتبر كتاباً اقتصادياً بالدرجة الأولى، لايتطرق للموضوعات السياسية إلا من زوايا ارتباطها بالاقتصاد، وهو مليء بالأرقام والرسومات البيانية والإحصاءات التي تظهر قوة الدول المسيطرة على البترول.. وصراع الدول الكبرى للسيطرة عليه، وفي مقدمة هذه الدول الولايات المتحدة الأمريكية، واليابان، ودول أوربا الصناعية، وذلك يتم في رأي المؤلف «جون بيلر» بمخاطبة عواطف حكام المنطقة التقليديين، وبواسطة الشركات العاملة في منطقة الشرق الأوسط، وباستخدام الشخصيات والأساليب الأمريكية.

والكاتب ـ بوصفه أمريكيًا ـ يحاول إظهار أن مشاكل النفط لم تتسم بالعنف إلا بسبب سيطرة الشرق الأوسط عليه، بينما لم يكن ذلك هو الحال طوال الفترة التي كانت فيها تكساس أكبر منتجة ومصدرة للبترول في العالم.

ويشير إلى العداء الذي يكنه العرب لأمريكا، نتيجة لعلاقتها بإسرائيل ـ وهو ماأسماه (تورطنا مع إسرائيل) ـ مستثنياً من ذلك السعودية التي لم تتضرر من هذه العلاقة.. وإن كان الخوف من عدم استقرار هذه المنطقة، ومن ظهور قادة مثل عبدالناصر فيها قد أصبح أمراً أشد خطورة من ظهور الخطر الشيوعي في المنطقة.. وهو في إطار هذه الأفكار يسيء إلى القيادات العربية ويصفها بالسخف والفساد وإن كنا

(*) من منشورات مؤسسة بنثيون بوك ـ نيويورك، ١٩٧٧ .

نتفق معه في الإساءة الأخيرة بالذات، لأن عدداً من القيادات الحالية تتسم فعلاً بالسخف والفساد.. وما قاله مجرد إقرار لواقع أليم نلاحظه جميعًا.. ويشير إليه كُتّابنا العرب أيضًا، كما أنه يظهر تخوف القوى الكبرى ليس فقط من قيام ثورات بل من عمليات التأميم للشركات.. وإن كان ذلك غير مطروح الآن بعد انحسار المد الاشتراكي وسقوط الشيوعية.

وينتقل المؤلف إلى عام ١٩٧٣، حيث يقول بأن الدول العربية المتحدة في منظمة «الأوابيك» لعبت دوراً كبيراً في مجال الطاقة وهي التي خلقت ماعُرف بمشكلة الطاقة، عندما منعت البترول عن أوربا وأمريكا، في أثناء الحرب العربية الإسرائيلية، وقد حققت بذلك مكاسب سياسية ومادية.. ويختتم الكتاب برأي مؤداه ضرورة أن تجد حكومته ـ الحكومة الأمريكية التي تعتمد على النفط ـ أساليب جديدة علمية وتكنولوجية كبدائل له.

ومن الآراء التي تضمنها الكتاب :

«أنه إذا كان هناك نية في السيطرة على النفط العالمي فإن البداية يجب أن تكون التحول في السيطرة على منابع الشرق الأوسط» [١].

«وتعتبر منطقة الشرق الأوسط من أكثر المناطق خطراً في العالم، حيث إنها فرس الرهان بيننا وبين الروس» [٢].

وتحقيقاً للسيطرة على منابع نفط الشرق الأوسط، يحدد الكاتب الأساليب التي اتبعت سابقاً، والتي يجب أن تتبع، مستشهداً بمجابهة حركة التأميم الإيرانية للنفط، التي كانوا مضطرين حيالها، كما يقول المؤلف :

«إلى التعامل مع أية دولة من دول الشرق الأوسط؛ ولذا كان من

---

(١) كتاب السيطرة على النفط، ص ٢٩ .

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٦ .

الحتم مخاطبة عواطف حكام المنطقة التقليديين المحافظين والمناوئين للشيوعية، وفعلاً بدأنا في الحوار مع الملك ابن سعود ملك المملكة العربية السعودية»[1].

ولعل ما استعرضناه من فقرات من هذا الكتاب وغيره يعطينا مؤشراً مهمًا، يعكس الأسلوب الغربي في فهم الشخصية العربية، والمداخل التي يمكن من خلالها الولوج إليها ؛ لتحقيق مصالحه الاقتصادية والسياسية.

ويرى المؤلف ـ كما سبقت الإشارة ـ أن سيطرة الشرق الأوسط والأوابيك هي سبب كل مايعانيه العالم من مشاكل، ليس في مجال الطاقة فحسب.. بل في مجال الاقتصاد أيضاً ؛ لذلك فهو يُحمِّل دول الشرق الأوسط مسؤولية مايجري في مجال التجارة الدولية.

كما يُحمِّل الكاتب «الأوابيك» مسؤولية التضخم الاقتصادي، الذي تمر به الولايات المتحدة، وبذلك يصور للعالم أن العرب هم سبب كل الأزمات الاقتصادية، وأنهم وراء كل المشاكل ؛ بما يمارسون من ضغط وابتزاز.

ومن مثل هذا الكتاب يمكننا كمخططين لتحسين الصورة العربية أن نتفهم الأسلوب الذي يفكر به الغرب ؛ لتحقيق مآربه في منطقتنا العربية، من خلال رؤياه لنا، ولقياداتنا، ولأوضاعنا السياسية.. والفهم هو أولى خطوات التخطيط الناجح.. فإذا ما وعينا ما يخططون له، فلابد أننا سنستطيع التخطيط لإفشاله.. ولو تنبهنا إلى الأهداف الغربية لما وقعت أزمة الكويت / العراق، التي كان من نتائجها التواجد العسكري الأمريكي في منطقة الخليج، واستنزاف ثرواته، وما تعانيه دول المنطقة حتى الآن.

ومن مثل هذا الكتاب نستطيع أن نفهم ـ مما ورد به صراحةً على

---

(١) كتاب السيطرة على النفط، ص ٤٤ .

لسان مؤلفه - تخوف الغرب من التأميم، ومن القيادات الثورية في المنطقة - أو التي كانت ثورية - وأن السعودية في نظرهم هي المفتاح للمنطقة(*).. ومنه نفهم أيضاً أن الغرب يحاول تصوير العرب على أنهم سبب كل المشاكل الاقتصادية العالمية.

هذا ولا تكتفي الكتب الجادة بمناقشة الأمور السياسية والاقتصادية فحسب، لكنها تدّعي أيضاً محاولة فهم الشخصية العربية.. فالكتاب هو إحدى وسائل الإعلام التي يتوفر لها عنصر الوقت، من حيث إعدادها كدراسة مستوفاة لكل وسائل الإقناع.. ومن حيث إن فترة وجوده في يد القارئ أكثر من أية وسيلة إعلامية أخرى، قد يمر القارئ عليها مر الكرام، ويزول تأثيرها عليه بزوال وقتها، الذي غالباً مايتميز بالقصر، فإن كانت مجلة أسبوعية فالقارئ يهملها بعد أسبوع، وإن كانت صحيفة يومية فعمرها لايتجاوز ساعات، وإن كانت برنامجاً مسموعاً أو مرئياً فتأثيرها لايتعدى الدقائق - وإن توفّر لهذه الوسائل عنصر الإلحاح - بينما يبقى الكتاب هو الوسيلة الباقية والدائمة، والأكثر إقناعاً لأي جمهور، خاصة جمهور المثقفين؛ لذلك يعمد الغرب إلى اعتماد الكتاب وسيلة رئيسية في تشويه الصورة العربية.

ومن خضم الكتب التي تناولت العرب بالتجريح الكتاب الإنجليزي المسمى «العقل العربي في حاجة إلى فهم»(**) فهو دراسة يدعي مؤلفها[1] أنه خبير متخصص في الشؤون العربية والإسلامية - رغم

(*) راجع ص ١٩٦ من الكتاب.

(**) منشورات شركة كسل المحدودة (Cassell Company Limited)، ١٩٧.

(١) جون لافين، إنجليزي يهتم بدراسة القضايا العربية كباحث، وله عدة كتب عن الفدائيين، والنزاع العربي الإسرائيلي، تخصص مؤخراً في الشئون العربية والإسلامية، إذ يقول إن ١٣٠ مليون عربي يسكنون المنطقة من مراكش إلى أبوظبي قد اجتذبني وجودهم لدراسة شؤونهم، وقد التقى بعدد من الشخصيات العربية، ومنها الرئيس الراحل جمال عبدالناصر، وزار المنطقة العربية عدة مرات.

تناوله الحضارة العربية بالتقليل من قدرها، والشخصية العربية بالتشويه، والعقيدة الإسلامية بالإساءة البالغة، والمغالطة، وربط كل ذلك بالسياسات العربية.

والكتاب يضم الكثير من المغالطات، وأقل ماورد فيه من إساءة للعرب والإسلام وصفه للعرب بأنهم قوم أشرار، همهم الأوحد «الجنس» خاصة البدو منهم... ووصفه الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه كان شغوفاً بالنساء، ووصفه له - وحاش لله أن تكون هذه صفته - بأنه «قاطع طريق» يعتمد السلب والنهب أسلوباً مشروعاً.. ويتضح من كل ماورد في الكتاب من مقارنات أن المؤلف متعصب جداً لليهودية ولإسرائيل، خاصة في الجزءين الثاني والثالث من الكتاب - إذ يعتبر أن اليهود هم همزة الوصل بين العرب كقوم متخلفين وبين الغرب كحضارة ومدنية ؛ ولذلك يعج الكتاب بالإساءة للشخصية العربية، والسلوك والأخلاق العربية، والتقليل من قيمة حضارتنا، والإساءة إلى ديننا الحنيف، ونبينا (صلى الله عليه وسلم)، ويحاول المؤلف الربط بين الطباع العربية والدين الإسلامي، وانعكاسات ذلك على السياسة العربية.. رغم أن الكتاب ضم العديد من الفصول التي تحدثت عن تاريخ العرب، الذي أسماه المؤلف «التاريخ القلق»، وعن المجتمع العربي الذي أسماه «المجتمع المخجل»، والذي أفرد الفصل الأخير من كتابه لدراسة «العقد الداخلية» لهذا المجتمع، ذلك عدا إفراده فصولاً أخرى للحديث عن «محمد والقرآن» ومحمد «ابن العادات أو التقاليد» كما تناول «الأدب واللغة» كفصل مستقل، وأضاف إلى ذلك فصلاً بعنوان «العرب يتكلمون العربية» كما أفرد فصلاً للحديث عن «نظرة الرجل العربي للمرأة» تضمن الكثير من المبالغة، فضلاً عن «النظرة إلى إسرائيل والغرب»، وأيضاً ربط كل ذلك ببذور ظاهرة «العنف» في فصل مستقل، وأظهر أثر ذلك على السياسة العربية، حيث كتب تحت عنوان «الوصول

للسلطة بقوة الجيش، عن كثرة الانقلابات في الدول العربية.

ويدّعي الكاتب أنه رجع إلى مراجع كثيرة في كل ماكتب، ومنها ترجمة القرآن.. وأنه شاهد عيان بالنسبة لأمور كثيرة شاهدها في أثناء زياراته المتكررة للمنطقة العربية، وتعرُّفه على العديد من الأسر العربية المتعلمة والبدوية، ويؤكد أن ماقاله هو الحقيقة عن مجتمع العرب.

وتحت شعار الحقيقة والموضوعية وصف المؤلف حياة العرب قديماً كتجار يركبون المخاطر، ويتجهون إلى الصين وإفريقيا ليتاجروا في.... النساء والعبيد [١] ويفاضل بين العرب واليهود الذين يعتبرهم جنساً أرقى.

ويتتبع تاريخياً نشاط العرب، فيقول بأنه ابتداءً من القرن العاشر حينما أصبحت الأمور التجارية أكثر تعقيداً.. وحتى بعد أن أصبح في العالم العربي بنوك وحكومات وملكيات كان الذين يديرون هذه المؤسسات من اليهود والمسيحيين، حين كان المسلمون يخشون من الوقوع في الربا الذي حرمه الإسلام.... وهو بذلك يُغفل - كغيره من الكُتَّاب الغربيين المغرضين - أن هؤلاء المسيحيين واليهود كانوا أيضاً من العرب ولدوا في العالم العربي، ونشأوا فيه، واعتنقوا دياناتهم فيه، بوصفه مهبط الأديان السماوية الثلاث وكونهم غير مسلمين لاينفي أنهم عرب.. لكن المؤلف له غرض غير الإساءة للعرب وهو الإساءة أيضاً للمسلمين.

ويقول المؤلف أيضاً للتقليل من قيمة الحضارة العربية كحضارة خلاقة:

«ليس للعرب أي فضل سوى أنهم جاءوا بمزيج من حضارات شعوب مختلفة ومعتقداتها فمزجوها وكونوا حضارة جديدة» [٢].

---

(١) ص ١٦ من الكتاب.

(٢) كتاب العقل العربي في حاجة إلى فهم، ص ١٨.

كما يقول بأن :

«حكماء اليهود كانوا ضمن الأوائل الذين أظهروا الإسلام»[1]

وحتى هذه الحضارة أو تلك المكانة التي كانت للعرب قد فقدوها، ويؤكد المؤلف أن المكانة المرموقة التي اختارها النبي محمد للمسلمين وهي: ﴿ وكنتم خير أمة ﴾... قد افتقدت، ويؤكد ذلك بقوله:

«حيث عم الفساد، وأصبح العرب الفاتحين محكومين من قبل أجناس أخرى أجنبية... ولم يظهر في الساحة أي عربي قوي ليكبح موجة الانحطاط التي ساروا إليها... وكان العرب يعيشون فترة ازدهار.... ولكن ماذا قدم العرب الآن لحضارة القرن العشرين؟ أين مشاركة العرب في التجارب الحالية في الآداب والعلوم الحديثة؟ إننا نعيش في القرن العشرين ومع ذلك فالعرب يسيرون نحو الانحطاط والجهل والغباء وعدم النبل أو الشرف؛ لذا فإن الشعب الأوربي لايرى في العرب سوى أشخاص يلبسون ملابس ملونة، ويركبون الجمال ويعيشون في الواحات وفي الصحراء..»[2].

ويشن المؤلف هجوماً على الإسلام وعلى الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) راسماً بذلك الإطار المكون للشخصية العربية وصفاتها، وهو ماسيطبقه على مجريات الأمور السياسية المعاصرة، مؤكداً على أن ماذكره من صفات هو حقاً صفات العربي المسلم، التي تؤثر على السياسات العربية، في الإطار الدولي.

ويمتلئ الكتاب بالكثير من المغالطات التاريخية والادعاءات على الإسلام وعلى النبي، إذ يدّعي الكاتب أن النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) :

«أباد الكثير من القبائل اليهودية كنوع من العقاب»[3].

---

(1) المرجع السابق، ص ١٦٥ .

(2) المرجع السابق، ص ١٩ .

(3) المرجع السابق، ص ٣٢ .

ويدعي المؤلف أن النبي (صلى الله عليه وسلم) كان يسيء إلى الأسرى، وهو الأسلوب الذي يقول بأن العرب اتبعوه حديثاً في حروب الجزائر مع فرنسا، وفي معظم الحروب الحديثة.. رغم أن ذلك كما نعلم جميعاً غير حقيقي.. ولم يحدث هذا. كما نجد الكتاب يعج بالإساءة إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) بما يعف القلم عن ذكره.

ويستمرئ مؤلفه في الربط بين الإسلام وتعاليمه وبين السياسات الحالية، فيصف العرب الحاليين بأنهم «قتلة» وأن العنف هو طابعهم.

ولايكتفي المؤلف بوصف عنف العرب ضد عدوهم.. ولكن يؤكد بأن العنف في الدول العربية هو السمة الغالبة، ويفرد فصلاً كاملاً عنه، يقول فيه إن معظم الزعماء العرب قد جاءوا إلى الحكم عن طريق الانقلابات الدامية والقتل، ويركز في هذا الفصل على سوريا كنموذج لما يقول، وأيضاً إلى الانقلابات في العراق ومصر، كما أشار إلى مقتل الملك فيصل دون أن يعطي تفاصيل، ويقول حول هذا المعنى نصاً:

«أما بالنسبة للرعب أو الإرهاب فالعرب أبطال هذا المجال، ولو صنفناهم لوجدناهم إما قتلة أو مزعزعين، وخير دليل على ذلك الانقلابات التي تحدث في العالم العربي... وأيضاً خطفهم للطائرات وقتلهم للفريق الإسرائيلي في ميونخ عام ١٩٧٢ وقتلهم روبرت كنيدي.... ولم يقفوا عند هذا الحد بل تمادوا أكثر عندما أعلنوا في عام ١٩٧٣ حرباً ضد كل شخص في الغرب واليابان، وذلك عندما أعلنوا حرب البترول، وبذلك تدخلوا في حياة كل فرد من أفراد العالم المتحضر»[١].

وفي موضع آخر يقول الكاتب بأن القانون الإسلامي:

«لا يعترف بإمكانية التعايش السلمي بين الجماعات الأخرى أو الملحدين أو غير المسلمين»[٢].

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٠ .

(٢) المرجع السابق، ص ٢١ .

وكما ربط الكاتب بين الإسلام والسلوك السياسي المعاصر للعرب، ربط أيضاً بين مقومات الشخصية العربية ـ كما وصفها ـ وبين السياسة العربية، إذ يقول إن العرب ليسوا أهلاً لثقة أحد، فقد حكمهم الإنجليز والفرنسيون، وخلال هذه الفترة أصبحوا بلا مواهب.. عدا موهبة الخداع، ويؤكد بنفسه أن العديد من وسائل الإعلام الغربية ترصد جهوداً مكثفة لإبراز صورتهم للعالم بهذا الشكل فيقول :

«إن العرب بارعين فقط في جميع أنواع الحيل القذرة، وقد بين صانعو الأفلام قساوة العرب وجلافتهم في فيلم (أغنية الصحراء)، ليس هذا فقط بل مئات الأفلام المنتشرة هنا وهناك تبين أن العرب لايتعاملون إلا بالأسرار، والسلاح، والمخدرات، والنساء، وقتل أي إنسان يقف في طريقهم»[1].

وهنا نجد اعترافاً من كاتب غربي بما تقوم به السينما الغربية من تشويه لصورة العرب ـ مما سنأتي على ذكره فيما بعد[*].

ويقول المؤلف أيضاً عن أساليب العرب في الخداع :

« إن السياسيين العرب يستعملون القضية الفلسطينية فقط عندما يجدون في ذلك خدمة لمصالحهم، وهم يعالجون بها مشاكلهم الداخلية»[2].

ويقول إن العرب يعلمون تماماً ما آل إليه حالهم، ويحاولون مسح بعض الخزي عنهم بكل الوسائل، وفي مقدمتها الوسائل الاقتصادية، التي يملكونها الآن، وحول هذا المعنى يقول نصاً :

«ولأول مرة يشعر العرب من المحيط إلى الخليج أنهم أجبروا الغرب

---

(١) كتاب العقل العربي، ص ٢٠ .

(*) للمزيد من المعلومات عن دور السينما الغربية في تشويه صورة العرب، راجع أحمد رأفت بهجت، الشخصية العربية في السينما العالمية .

(٢) كتاب العقل العربي، ص ٢٠ .

على أن ينحني على ركبتيه، بفضل العوامل الاقتصادية، فعندما أعلنوا الحرب البترولية أصبح الغرب مستعداً لأن يدفع السعر الذى يطلبه العرب، وبهذا مسح العرب بعضاً من الخزي والذل الذي يلفهم منذ عدة قرون»[1].

ويحاول الكتاب بكل الوسائل تشويه الشخصية العربية المسلمة، في نظر العالم المتحضر، فيصم العرب ـ كما سبقت الإشارة ـ بأنهم قوم يهتمون كثيراً بالجنس، بعد أن وصمهم بالعنف، متناسياً أن الجنس الإباحي والعنف هما أبرز سمات العالم الغربي، الذي يعتبره المؤلف عالماً متحضراً عن العرب، ويرجع إلى التاريخ الإسلامي ليؤكد ادعاءه، فيورد مغالطة تاريخية خدمة لأغراضه وهي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) على حد زعمه:

«طلق زوجة ابنه بالتبني وتزوجها فوراً في الحال»[2].

ثم يتناقض مع قوله بحب العرب للمرأة، فيذكر الكثير عن مكانة المرأة الوضيعة والمحتقرة عند العرب؛ ليجسد مدى تخلفهم، ونظرتهم الرجعية.. لا بل ويبالغ فيقول نصاً:

«إن العربي محروم من الجنس، وواقع تحت ضغط مجتمعه؛ لذا فإنه أصبح يشكل خطراً على نساء أي مجتمع آخر؛ ولذا نرى أن الكثيرات من الفتيات الغربيات اللواتي يعملن في فروع شركات في البلاد العربية قد اغتصبن، كما أنه يستحيل على المرأة أن تسير في الشارع ليلاً دون أن يكلفها ذلك ثمناً غالياً»[3].

ويضيف أيضاً:

«وإذا تكلم العربي وفي خلال حديثه تطرق إلى ذكر المرأة فإن عليه

---

(1) كتاب العقل العربي، ص ٢١.

(2) كتاب العقل العربي، ص ٤٢.

(3) المرجع السابق، ص ٩٨.

أن يعتذر للذين يستمعون إليه، وكأنه قد ذكر اسم حيوان وضيع دنس»[1].

ثم يقول في موضع آخر :

«وعندما يختلي العربي مع امرأة، فأول ما يفكر فيه هو ممارسة الجنس معها ؛ لذا فإن العرب الذين يذهبون إلى الخارج يفكرون في الجنس أكثر من تفكيرهم في الدراسة أو العمل»[2].

وإذا كان هذا حال الكتب التي تحوي دراسات جادة، وتوجه إلى الصفوة المثقفة، وإلى صناع القرار في الغرب، متجاهلة لقدرتهم على النقد والتقويم والتحليل !! فما بالنا بالكتب الموجهة إلى جمهور الأطفال ؟!

أدب الأطفال :

لم يكتف الغربيون بالإساءة للعرب في القصص البوليسي الموجه للشباب، وفي أدب الرحلات الذي يقرؤه بعض المثقفين كما يقرؤه العامة.. بل اتجهوا لاستغلال قصص الأطفال لتسميم الأذهان الصافية، وشحنها ضد العرب.. مما يصعب محوه بعد ذلك بسهولة.

وخطورة هذا النوع من التشويه أيضاً تكمن في إمكانية تداوله بين أطفال الغرب وأطفال العرب، حيث انتشر الإلمام باللغات الأجنبية بين أطفالنا.. ولايخفى ما لذلك من خطر على فكر النشء، إذ يتغذى من البداية بمبادئ هدامة، تشوه عقيدتنا الإسلامية، ومبادئنا السمحة، وتعرقل خطواتنا نحو بناء جيل جديد قوي الإيمان، ذلك ماتضمه كتب الأطفال، والمجلات المصورة الأجنبية من أفكار هدامة وصور مشوهة، تصل إلى الأذهان الغضة فتؤثر فيها وتدمغها بصبغتها ؛ لذا عمد

---

(١) المرجع السابق، ص ١٠٠ .

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٢ .

الغربيون إلى التسلل من خلال أدبهم إلى الأطفال لتحقيق بغيتهم ؛ بهدف نشر أفكارهم في أرض خصبة هي عقول الصغار القابلة للتأثر بسهولة، والتي يمكن ملؤها بما لايمكن محوه مهما تقدم العمر.

ومن هنا كانت خطورة المواد الإعلامية الخاصة بالأطفال، والتي يجب أن نوليها اهتمامنا فنحجبها عن صغارنا، ونحاول التصدي للرد على مافيها من افتراءات ؛ تحسباً من خطرها.

وفي مقدمة هذه النوعية من الكتب.. الموسوعات والمعاجم الخاصة بالأطفال، والكتب الدراسية االتي تُدرَّس في المدارس الأجنبية المنتشرة في عالمنا العربي، وقصص المغامرات والمجلات المصورة، والملونة، وأفلام الكرتون لما لها من جاذبية خاصة.

وتحديداً للأمر نُعرِّف فيما يلي ببعض محتويات مثل هذه المواد الإعلامية ؛ إبرازًا لأوجه الخطر الكامنة بين سطورها على أطفالنا المتلقين للثقافات الغربية، وعلى الأطفال الغربيين الذين ترضعهم هذه الرسائل الإعلامية سموم الكراهية للعرب واحتقارهم،وتشويه صورتهم، ذلك أن الغربيين يعمدون إلى التسلل من خلال أدب الأطفال إلى تحقيق الغزو الفكري، ونشر قيم واتجاهات مرفوضة في مجتمعنا العربي، في محاولة لخلق جيل غير مكترث بقيمه، إن لم نقل رافضاً لها، غير مؤمن بها.

ويدعم هذا الغزو الفكري أنه يأتي في قالب من المتعة والتشويق، والتسلية، بأساليب منوعة، تعتمد على الجذب عن طريق الطباعة الأنيقة، والورق المصقول، والألوان البراقة، والصور، والرسوم، والرموز الموحية والجذابة.

وتكمن خطورة التسلل الغربي من خلال أدب الأطفال إلى خصوبة هذا المجال، ذلك أن الطفل في مراحل العمر المبكرة يصدق ويؤمن بكل مايقرأ، ولايملك القدرة على التفكير التجريدي، الذي يحقق له التمييز بين الخطأ والصواب، مما يؤثر تأثيراً سلبياً في تكوينه الضميري

والفكري، وتنمية خلقه وبالتالي سلوكه.... ناهيك عما ينتابه من مشاعر الاغتراب والضياع؛ نتيجة لما يقرؤه بعيداً عن واقعه المعاش.. محيراً إياه مابين الواقع المحلي ومايقرؤه

من المواد الإعلامية الخاصة بالأطفال باللغتين الإنجليزية والفرنسية والتي من شأنها التأثير على أفكار النشء، والتي تحظى باهتمام المترجمين، فتتحول دون تدقيق في محتواها إلى نصوص عربية يطلع عليها كل الأطفال:

- الموسوعات والمعاجم المصورة.
- الكتب الدراسية.
- القصص.
- المجلات.
- الصور والبطاقات.
- أفلام الكارتون.

ويكثر تداولها بين الأطفال من خلال المكتبات والمدارس الأجنبية.
وتبرز خطورة هذه المواد على اختلافها في أنها أكثر من جذابة بالنسبة لجمهور الأطفال ؛ نظراً لصدورها في طبعات أنيقة ملونة ومصورة، ولايخفى مالهذا العنصر من أهمية بالنسبة للأطفال، كما تبرز خطورة هذه المواد أيضاً - رغم أن غالبيتها باللغة الإنجليزية - نظراً لانتشار هذه اللغة وإجادتها في المجتمعات العربية، ولاعتماد هذه المواد أحياناً على الصورة أكثر من الكلمة، مما يمنحها رواجاً أكبر، حتى بين من لا يجيدون لغة أجنبية.

أما عن أهم الاتجاهات السائدة في مثل هذه المواد جميعاً فهي :

- التبشير.
- الإساءة للإسلام وتشويه التاريخ الإسلامي.
- تشويه صورة العرب في أذهان النشء.

ـ الترويج للمعتقدات والمزاعم الصهيونية.
ـ شرح لممارسات إباحية أحياناً.

وتبرز أهمية التصدي لهذه الاتجاهات والأفكار، من انتشارها بين جيل بكر، يمكن كسبه إلى جانب القضايا العربية والإسلامية.. حتى وإن لم يكن من العرب والمسلمين... بل من الوافدين إلى البلاد العربية من الأجانب، الذين يفترض أن نقوم تجاههم بواجب التوعية السليمة، وخلق رأي عام فيما بينهم مؤيداً للعرب وقضاياهم.... وتعريفهم بالإسلام وقيمه، كنواة لخلق رأي عام مؤيد في كل أنحاء العالم.

فأما بالنسبة للتبشير فنجده متمثلاً في القصص، والبطاقات المصورة، وأفلام الفيديو، والرسوم المتحركة التي تمجد القديسين، وتتناول حياتهم.. وهذه المواد يكثر ورودها في مواسم الأعياد، ويدعم هذا التوقيت وخطورته مواكبته لمظاهر الاحتفال المختلفة التي يلمسها جمهور الأطفال في المحال والمكتبات، ويغتبطون لها، وينبهرون بها، ذلك بالإضافة إلى القصص المصورة والمرسومة بالألوان، والتي تزخر بها معظم المحلات، ويقبل عليها الأطفال لسهولتها وتميزها بالحركة (الإسكريبت).

ومن هذه الكتب التبشيرية مايصدر باللغة العربية في أجزاء، وعلى شكل كتيبات صغيرة، وأخرى تصدر باللغة الإنجليزية، وعن الأخيرة حدث ولاحرج... ليس من حيث الكمية فحسب.. ولكن النوعية أيضاً، فمنها الكتب المجسمة "Pop-Up Books" التي تقدم للأطفال فناً جذاباً كقالب للأفكار المطروحة من خلال القصص الدينية، ومثل هذه الكتب تشكل خطراً حقيقياً على الاتجاه الديني للطفل المسلم، إذا سمح بعرضها وتداولها بشكل عام وتجاري، بل مكمن الخطر أنها توزع أحياناً بالمجان على الأطفال. ومن هذه الكتب نذكر سلسلة «قبس من نور» التي تحكي إحداها قصة طويلة تدور أحداثها في المغرب...

وتتضمن أفكاراً تبشيرية، بل وتتجاوز القصة التبشير إلى المقارنة فيرد فيها :

«ويرى أطفالاً في حجيرة ينشدون بعض الأهازيج العجيبة، التي هي أكثر إشراقاً من كل ماكتب في القرآن»[1] .

وتتضمن القصة من خلال السرد شرحاً للديانة المسيحية بكل وسائل التبسيط والتقريب من الأذهان، إلى جانب محاولة الكاتب إظهار غلظة قلب الرجل المسلم ولين جانب المسيحي.. كما يشار إلى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) باسمه المجرد دون تمجيد.... ولا يخفى ما لذلك من أثر في نفوس النشء ؛ حيث يتأثر الصغار بما يحاط بالمسميات والأشخاص من هالات تبجيل وتعظيم وبالأسلوب، دون قدرة على التمييز بين الحق والباطل.

هذا ونجد أن الكتب الدينية الغربية تتضمن غالباً إيراد معلومات تتنافى والعقيدة الإسلامية، ومغالطات مرفوضة إسلامياً، إلى جانب بث قيم وسلوك يتنافى وأخلاق المسلم، إذ تضم الكثير من المعلومات التي تتنافى مع ماورد في القرآن، كالقول بأن سيدنا نوح صحب كل أبنائه معه على السفينة، وذلك يتنافى وماورد في القرآن.... وأن سيدنا يوسف[1] كان ينم ويفتن لأبيه على إخوته، ويعرفه بما يفعلون... وذلك مع بعض التفاصيل الأخرى في قصة يوسف تتناقض وما أتى في القصة القرآنية، وما إلى ذلك من تناقضات مع العقيدة الإسلامية، كما أن لها تأثيراً على النشء لاعتمادها على الخوارق والخيال، الذي يرحب به الأطفال ويقتنعون به، وإن صح التعبير يميلون إلى تصديقه والتمادي في التخيل معه أكثر من التفكير السليم والمنطقي.

هذا وتعمد الكتب التبشيرية والأفلام[2] أيضاً إلى استغلال سذاجة

---

(١) راجع قصة يوسف"Lucy Diamond, "The Story of Joseph.

(٢) كمثال فيلم الفديو "...... Robin and Seven Hood" .

الأطفال وفطرتهم ؛ لتوجيههم إلى الديانة المسيحية ليس مباشرة فقط.. ولكن من خلال الإيهام بأن هذه الديانة تأتي بالخير لمعتنقيها، وذلك من خلال قصص تحكي عن البدايات الأولى لدخول المسيحية في المجتمعات البدائية، وكيف نهضت بها صحياً واجتماعياً، وكنموذج لذلك سلسلة الكتب المسماة « حقيبة طبيب الغابة» أو "Jungle Doctor's Case Book" تأليف «بول هوايت» وقد نجحت هذه الكتب أيما نجاح في إفريقيا السوداء ؛ لذا لايجب التهوين من خطرها على أطفال المسلمين في بقاع أخرى من العالم.

كما تتسلل الأفكار التبشيرية إلى أذهان الصغار من خلال المناداة بالقيم الجمالية المطلقة كالخير والمحبة والتسامح والتعاون إلى أبعد الحدود، وهي قيم ندعو أبناءنا إلى التحلي بها بمفهوم مختلف، فتأتي هذه الكتب لتعطي للطفل صورة أكثر مثالية تجعله يميل إلى هذا الدين الذي يمجد هذه القيم وينادي بها.

وتبسيط المعاني وشرحها بهذا الأسلوب المقنع له أثره لاشك على تفكير الناشئة، خاصة إذا ماأضيف إلى ذلك الربط والمقارنة بين المبادئ المسيحية ومبادئ غيرها من الأديان، بشكل يرفع من شأن المسيحية ويحط من قدر الديانات الأخرى... خاصة الإسلام كما ترد فيها أيضاً الدعاية للحق الصهيوني من خلال التبشير وعرض قصص العهد القديم.

ويرتبط بالتبشير غالباً الإساءة للإسلام مباشرة، أو بأسلوب غير مباشر، وذلك لايرد فقط في الكتب والأفلام الدينية ذلك الهدف التبشيري الواضح وحسب.. ولكن في الكتب الدراسية والموسوعات، وكمثال ذلك الكتاب الدراسي الذي كان مقرراً تدريسه في المدرسة الأمريكية بإحدى الدول العربية، المسمى «رحلة الإنسان الناقصة» أو "Man's Unfinished Journey" الذي يعتبر موسوعة تاريخية تتناول تاريخ الإنسان منذ ثلاثين قرناً أو أكثر، من حيث الحضارة والديانة،

والسياسة وشتى مناحي الحياة... وفيه يتناول المؤلف الدين الإسلامي ككل، وبإيجاز مُخل، يسيء إلى الإسلام في أكثر من موضع، ويشير إلى أن الإسلام قد سمح للرجل بالزواج من أربع، وسهل له الطلاق، كما أباح للرجل ضرب المرأة [1].... وقد جاءت العبارة فيه مبتورة، بما يوحي بأن هذه فقط هي تعاليم الإسلام، وبما يعني التشهير به، خاصة وأن الكتاب موجه إلى النشء ممن لايستطيعون التمييز بين الواقع والمبالغة أو تقويم أسباب الإباحة والمنع في التشريعات الإسلامية.

كما يشير الكتاب نفسه في موضع آخر إلى أنه كان ضمن أسباب الفتوحات الإسلامية الرغبة في «الهروب من الصحراء القاحلة بحثاً عن أماكن أفضل»[2]، ولايخفى مافي ذلك من تسطيح مُخل للأمور.

هذا ويقول الكتاب بأن الرق في الإسلام أمر شائع وعادي، وإن نهى عن استعباد المسلمين وأبيح استعباد الأجانب، حتى وصل الأمر إلى درجة الكراهية، ويقول إن الرسول كان يرى في ذلك أمراً طبيعياً، ولم يحاول القضاء عليه.... وإن تجار الرقيق المسلمين قد كونوا ثروات طائلة من هذا العمل، كما أن العبيد ليس لهم حق التملك وليس لهم أية حقوق[*].

ومن أمثال هذا النموذج كتاب دراسي باسم «حضارات وشعوب» أو "People & Cultures"، يضم إساءة للإسلام ولنبيه، إذ يقول المؤلف:

«إن محمداً علم أتباعه كيف يعيشون طبقاً لمتطلبات تعاليمه التي كان يعتقد أنه تلقاها من الله.. وقد دونت هذه التعاليم بعد موت محمد في كتاب يدعى القرآن....»[3].

---

(١) ص ١١٧ من الكتاب.

(٢) ص ١١٨ من الكتاب.

(*) كتاب رحلة الإنسان الناقصة، راجع ص ١٢٢.

(٣) كتاب شعوب وحضارات، ص ١٦٨.

«ويقال إن محمداً تلقى القرآن خلال شهر رمضان....»[1] .

«والله كلمة عربية تعني الرب، وهي أيضاً اسم إله كان يقال بأنه كان يحمي قبيلة محمد....».

«وقد أعجب رجال القبائل بفكرة أن الله كلمهم بلغتهم، ذلك أن القرآن مكتوب باللغة العربية، كما أحبوا فكرة أن الله اختارهم لينشروا الإيمان..»[2].

ولايخفى مافي ذلك من إيهام بأن القرآن من وضع سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، وأنه ليس ديناً إلهيًّا، وبالطبع لايكتفي الكتاب بذلك.. بل يتناول سلوك المسلمين العرب بالإساءة ويشهر بهم كقوم يحتالون حتى على الله، وكقوم سذج في معتقداتهم.

هذا ويشير هذا الكتاب «شعوب وحضارات» إلى الفتوحات الإسلامية فيقول:

«وعندما استولى المسلمون على أراضي المسيحيين في آسيا انتاب الأوربيون قلق شديد، واستولى العرب عام ٦٠٠م على القدس تلك المدينة المقدسة لدى كل من المسيحيين واليهود والمسلمين»[3] .

وعن وضع المرأة المسلمة وحقوقها يقول الكتاب نفسه :

«إن المرأة تتمتع بقليل من الحقوق في الشريعة الإسلامية»[4].

«ومعظم الدول العربية قد أعطت المرأة حقوقاً قانونية أكثر من تلك التي حصلت عليها في الإسلام»[5] .

ذلك إضافة إلى أن الكتاب يضم مجموعة من الأسئلة ـ بوصفه كتاباً دراسياً ـ مصاغة بأسلوب استفزازي لمشاعر المسلمين، وموحية بإجابات

---

(١) نفس الكتاب، ص ١٦٩ .

(٢) كتاب شعوب وحضارات، ص ١٧٢ .

(٣) نفس الكتاب، ص ١٨٦ .

(٤)،(٥) كتاب شعوب وحضارات، ص ١٩٨، ١٩٩ على التوالي .

تسيء إليهم.. وكأمثلة على ذلك :

«هل بإمكان شخص ما أن يؤمن بإله واحد، وأن يؤمن بالأرواح والشياطين؟»[1].

وكنموذج آخر للأسئلة عن العرب ورد سؤال يقول :

«ما هي القيم التي تشارك فيها سكان الخيمة السوداء؟ (البدو) وأي منها تجد صعوبة في فهمه ؟ وأي منها تجد صعوبة في قبوله ؟ ولماذا؟»[2].

وغير خفي ماتتضمنه هذه الأسئلة من إيحاء بإجابات معينة، خاصة وأنها موجهة إلى جمهور غير واعٍ بأساليب التلوين في إيراد المعلومات، وتغليفها بشكل موح.. رغم أنها تربويًا وكأنها تحثهم على إعمال الفكر واستخلاص النتائج وحدهم دون تلقين وإملاء.

هذا ونجد أن الموسوعات ودوائر المعارف الخاصة بالأطفال تسيء أحياناً إلى الإسلام عن جهل، أو عدم تدبر لما يقال... ففي موسوعة الأطفال المسماة «تشارلز برونز سيكلوبيديا» التي تُدرَّس للأطفال في بعض دور الحضانة في جمهورية مصر العربية.. وترد بكثرة في الفترات التي يقام فيها معرض كتب الأطفال السنوي.. ويقبل على اقتنائها الكثير، دون وعي بما تضمه صفحاتها من مغالطات جاهلة عن الإسلام والعرب... فعلى سبيل المثال ورد في أحد مجلداتها الخاصة بالأعياد أو المناسبات، معلومات عن الأعياد الدينية لكل الديانات وكل الشعوب.. كلها معلومات موثقة بصور جميلة وجذابة.. فيما عدا ماورد عن المسلمين في رمضان وكيف يحتفلون بنهاية رمضان.. إذ جاء الحديث مصاحباً لصورة كبيرة لجماعة من المسلمين الفقراء الأفارقة يصلون فوق الرمال، وإلى جوارهم أحذيتهم ودراجاتهم، بعكس صور الكنائس

---

(١) نفس الكتاب، ص ١٧٥ .

(٢) نفس الكتاب، ص ١٥٨ .

المنشورة في هذا المجلد، ومما ورد من وصف تحت هذه الصورة :

« المسلمون يصومون خلال رمضان من شروق الشمس إلى غروبها وهم لايصومون فقط عن الأكل وإنما تقريباً لايعملون شيئاً.. وكل الأعمال تتوقف في البلاد الإسلامية، إذ يقضي الأفراد كل الوقت في الراحة.. ولكن حينما يأتي المساء يستيقظون ليجتمعوا بالأصدقاء والعائلة، ويتناولون وجبة كبيرة وبمتعة كبيرة..»[1].

هذا وتعمم هذه الموسوعة ما اطلع عليه كاتبها في بلد إسلامي واحد؛ ليطلقه على كل البلاد الإسلامية.. من حيث عادات الاحتفال بعيد الفطر.. والحق يقال أن ماورد في هذه الموسوعة ـ يدل على جهل بعاداتنا وبأعيادنا.. ناتج عن قصور في المعلومات ـ نحن مسلمين وعرباً مسؤولون عنه ـ حيث لانتابع مايُكتب عنا، ولا نحاول تصحيحه.. رغم خطورته؛ نظراً لأن الناس في الغرب يؤمنون إيماناً راسخاً بكل مايرد في الموسوعات ودوائر المعارف؛ بوصفها مراجع مدققة لاتورد إلا معلومات صحيحة.. وهنا مكمن الخطر.. فماذا فعلنا حيال ذلك ؛ لتغيير صورتنا، ولإحقاق الحق!!؟

أما عن الإساءة للعرب، وبالمقابل تمجيد الصهيونية، وتكريس الحق اليهودي في الأرض العربية، فنجده أيضاً في الكتب الدراسية والموسوعات المصورة الخاصة بالأطفال. والتي تُعرِّف بإسرائيل وعلمها وشعارها وخريطتها.. وتذكر معلومات مغلوطة، من شأنها تكريس حق اليهود في أرض فلسطين، وكنموذج لذلك الموسوعة المسماة "Black Children Encyclopedia" والتي جاء فيها :

«إن إسرائيل منذ استقلالها عام ١٩٤٨، وهي تعاني من عداء العرب لها، وعاصمة إسرائيل هي القدس»[2] .

---

(١) Charlis Brown's Cyclopedia, Vol.12, p.534, Junk & Wagnalls Inc

(٢) موسوعة الأطفال، ص ٣٦١ .

«والقدس كانت مقسمة حتى عام ١٩٦٧ ، لكن إسرائيل سيطرت عليها كاملة وأصبحت عاصمة لها»[١] .

«وقد كان اليهود شعباً مضطهداً منذ العصور القديمة ، وكثير من علماء العالم من اليهود .... ولليهود الآن دولة خاصة بهم تسمى إسرائيل»[٢] .

كذلك نجد أطلس الأطفال المصور والمسمى ، "The Children's Picture Atlas" يكرس المفاهيم نفسها لدى الأطفال ، إذ ترد فيه صورة لامرأة إسرائيلية وسط حقل قطن وكتب تعليقاً عليها :

«إن شعب إسرائيل بكفاح وكدح عظيم قد حوّل الصحراء القاحلة إلى جنات (حقول مزهرة مغلة)»[٣] .

وبالطبع يشير الأطلس إلى أن القدس هي عاصمة إسرائيل .

أما الكتاب المدرسي المسمى «رحلة الإنسان الناقصة أو "Man's Unfinished Journey ..." فقد جاء فيه عن الفلسطينيين :

«إن الفلسطينيين قد خلقوا المشاكل والأخطار في الأردن وسوريا ولبنان ، حيث أثر وجود عدد كبير من الفلسطينيين في الأردن على مركز الملك حسين ؛ ممادفعه لتصفيتهم وإخراجهم من بلده ، وبالنسبة لسوريا فقد فقدت بسببهم جزءاً من أرضها ، وكذلك لبنان الذي وقع فريسة الصراع بين المسلمين والمسيحيين بسبب الشعب الفلسطيني ؛ ممادفع الجيش السوري للوقوف مع المسيحيين ضد الفلسطينيين»[٤] .

وعن الحق اليهودي في أرض فلسطين جاء في الكتاب نفسه :

«إن اليهود سكنوا فلسطين منذ القدم ، واتخذوا القدس عاصمة لهم ،

---

(١) نفس الموسوعة ، ص ٣٦٨ .

(٢) موسوعة الأطفال ، ص ٣٧١ .

(٣) أطلس الأطفال المصور ، ص ١٣٩ .

(٤) كتاب رحلة الإنسان الناقصة ، ص ٧٩٠ .

وكان إبعادهم عن فلسطين فيما بعد سبباً في تآلف قلوبهم وازدياد طموحهم في العودة إلى فلسطين، والعمل على ذلك»[1].

«إنهم شعب عظيم أخرج للعالم أعظم مفكريه أمثال ماركس وفرويد وأينشتاين، وقد أخذوا من الحضارة الأوربية الحديثة جزءاً كبيراً؛ ممايثبت قدرتهم على التكيف والحياة في بيئة معادية لهم»[2].

ولايخفى مافي ذلك من مفاهيم مقلوبة تلقن للأطفال فتترسخ في نفوسهم، وتدفعهم إلى الاعتقاد بأن اليهود أصحاب حق، وأنهم شعب عظيم، ناهيك عما تناوله نفس الكتاب من وصف لظروف اليهود أيام النازية، وما لاقوه من عذاب، وإيراده لجزء من صلوات اليهود تقول :

«انفخ البوق إيذاناً بحريتنا... واجمع اليهود المشتتين من أرجاء الأرض الأربعة، واذهب بهم إلى فلسطين القدس... دعنا نعود إليها ونعيد بناءها اليوم وإلى الأبد»[3].

وعدا ذلك، يتناول الكتاب الأحداث المعاصرة بوجهة نظر مغلوطة، تقول بأنه من نتائج الصراع العربي الإسرائيلي في عام ١٩٤٨ لم تقم أية دولة فلسطينية، ولم توثق معاهدات سلام.. بل ظهرت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، متجاهلاً اتفاقيات التقسيم، والمعاهدات المختلفة منذ ذلك التاريخ وحتى وضع هذا الكتاب.. كما يتحدث عن نظرية التفوق الإسرائيلي، وانتصارها الساحق في حرب ١٩٦٧ الذي أدى إلى ظهور المنظمات الفلسطينية : «التي اتخذت من التخريب وخطف الطائرات طابعاً لها».

ويقارن الكتاب نفسه بين العرب وإسرائيل، فيتطرق إلى ما أسماه : «مشاكل العالم العربي كانتشار الفقر والجهل والمرض، وعدم

---

(١) نفس الكتاب، ص ٧٩٦ .

(٢) كتاب رحلة الإنسان الناقصة، ص ٧٩٦ .

(٣) نفس المرجع السابق .

الاستقرار السياسي، والتضخم السكاني».

ويقول إنه:

بالرغم من أن إسرائيل تعاني من عداء العرب المحيطين بها، والخوف من جيرانها.. إلا أنها استطاعت أن تتقدم في كافة المجالات الأخرى، وتتفوق عليهم، بالرغم من إنفاقها العسكري الضخم؛ وذلك بسبب هجرة اليهود من كافة أنحاء العالم الذين يتمتعون بقدر كبير من العلم والتكنولوجيا الحديثة (*).

ويرد في الكتاب الكثير من الإساءات إلى العرب فيما يتعلق بحياتهم وتقاليدهم، فمثلاً يضم الكتاب صورة لرجل وعائلته وصورة لبئر بترول وقد أتى تعليقاً عليهما أنه:

«بالرغم من أن الرجل العربي يعمل في البترول.. إلا أنه يعود للعيش في خيمة نائية مع أسرته، وبينما يرسل أبناءه الى المدرسة، مازالت ربة البيت ترتدي الحجاب السميك التقليدي»[1]..

وعلى نفس المنوال نجد كتاباً مدرسياً آخر ـ سلف ذكره ـ يتحدث عن «الشعوب والحضارات» "People & Cultures" فيتناول حياة البدو، ويستشهد بأسوأ الصور التي تسيء إليهم، كما يقول في مواضع مختلفة عن المرأة وعن البدو ـ الذين أسماهم «سكان الخيمة السوداء»:

«من وجهة نظرنا فإن المرأة البدوية ليست أكثر من عبد لايتمتع بأية حقوق»[2].

«إن الكثير من سكان الخيمة السوداء منهمكون بالبقاء على قيد الحياة مما لا يسمح لهم بالتفكير كثيراً في الحياة بعد الموت.... وتعتقد إحدى القبائل البدوية أن الجنة تقع تحت سطح الأرض، وأن القبيلة تعيش

(*) كتاب رحلة الإنسان الناقصة، ص ص ٨٠٢:٨٠٥.

(١) كتاب رحلة الإنسان الناقصة، ص ٧٩٠.

(٢) كتاب شعوب وحضارات، ص ١٥٢.

هنالك ككل، وأن أعضاءها لايشيخون أبداً، وأن كل رجل يعيش في خيمة كبيرة، ويمتلك قطيعاً كبيراً، وينجب الكثير من الأولاد.... إلخ»[1].

وبالطبع يدلل الكتاب - عن جهل بمعتقدات العرب المسلمين أو عن عمد - على سذاجة العرب واعتقادهم في أباطيل.

وعدا الكتب الدراسية - سالفة الذكر - نجد أيضاً أن الكتب التبشيرية تعمد أحياناً إلى الدعاية لشعب إسرائيل، من خلال نشر بعض القصائد والأدعية التي تتغنى بالقدس، وتتنبأ بأن شعب إسرائيل لابد عائد إلى أرض «فلسطين التي طرد منها»، إلى غير ذلك من مفاهيم.

كذلك الحال بالنسبة لبعض مجلات الأطفال، مثل مجلة "MN - Conny" التي تنشر قصصاً كاريكاتورية تُظهر فيها العرب بصورة وحشية غير إنسانية ؛ وذلك بالطبع يُحدث أثراً سلبياً لدى الأطفال تجاه العرب.

وحتى كتب الصلوات أو التي تُعرِّف بالديانات، تُكرِّس أيضاً حق اليهود في أرض العرب، وكنموذج لذلك الكتاب المسمى : "The Golden Treasury of prayers for Boys and Girls" الذي يورد الصلوات اليهودية التي تكرِّس هذا الحق، كما ونجد أن أفلام الرسوم المتحركة تورد بإلحاح رموزاً يهودية، وكمثال فيلم الفيديو مصباح علاء الدين "Alaa El-Din's Lamp" وغيره من أفلام الكرتون التي تورد شخصيات خارقة يرمز لها غالباً برموز يهودية، في حين ترد صورة العرب مشوهة في هذه الأفلام، فلا يصور العربي إلا بدويًّا ساذجًا، يجر جمله، ويحمل خنجره وهو رث الثياب، متلصص النظرات !!!

هذا وتعمد بعض المجلات أحياناً إلى الإساءة بشكل مباشر كما ورد في المجلة الفرنسية «تان تان» المسماة "Les Advintures de Tintin"

---

(1) كتاب شعوب وحضارات، ص ١٧٥ .

التي نشرت مغامرة لبطلها في «بلاد الذهب الأسود»، تصف فيها العرب بأنهم «جهلة، أميون، سذج، جبناء، ملاعين، وكلاب» إلى آخر مثل هذه الإهانات المتعمدة والمباشرة.

وهذه المجموعة القصصية المسلسلة «تان تان» "Tin Tin" بالذات يغشاها الدس في ثنايا القصص المصورة الملونة، التي تُرصد لها أعلى الإمكانيات الطباعية والفنية، كأسلوب جذب، فهي تصور في باريس، وتطبع في بلجيكا، وتكرّس الجهود لتوزيعها على أوسع نطاق، في شتى دول العالم، وسنشير هنا إلى قصة واحدة مما ورد في هذه المجموعة، وهي مغامرة للفتى (تان تان) تجري حوادثها في الصحراء، وبالتحديد في منطقة الخليج والجزيرة، وعنوانها ـ كما سبقت الإشارة ـ «تان تان في بلاد الذهب الأسود».. وهي تحكي عن تهريب صفقة أسلحة إلى أحد الشيوخ، ويفاجأ البحارة بأنها مادة الكوكايين، ويتم اكتشاف شخص أجنبي متخفٍ لوضع متفجرات في بترول محركات السيارات، وإذكاء حرب في المنطقة.... وهذه القصة مليئة بالعبارات التهكمية على العرب ـ خاصة عرب الخليج والبادية.

وهي ليست عبارات سخرية وحسب بل ألفاظ بذيئة، وتصوير للعرب وكأنهم قوم جهلاء سذج، ولأبناء الشيوخ أو الأمراء بالذات بأنهم مدللين لايتحملون أدنى مسؤولية، ويطلبون كل شيء.. وهذا في حد ذاته يكمن خلفه خطورة التعميم.. الذي يعتبر من أخطر العوامل المتعلقة بالصورة الذهنية.. فما يقال عن فئة يعممه الذهن على الكل.

كذلك نجد مجلة أخرى(*) لها جاذبية خاصة للأطفال، لاشتراكهم في تلوينها وقراءة مغامراتها الكرتونية، نجدها تعج بالإساءة للعرب.. ونجد الموسوعة المصورة المسماة " Disney's Wonderful World of Knowledge" التي تورد معلومات عن كل بلدان العالم تشير إلى

(*) Bugs Bunny Comic Album.

صعوبة الحياة في إحدى الدول العربية فتقول :

«إذ لولا ظهور البترول بها لأصبحت الحياة بها مستحيلة»[1] .

من كل ماسبق يتضح لنا كيف يحاول الغربيون من خلال أدب الأطفال نشر أفكار هدامة، والتشكيك في الإسلام كدين.. وتشويه صورة الإنسان العربي، والتبشير بديانات أخرى، والترويج لمعتقدات تتناقض، وتخالف القناعات العربية، خاصة فيما يتصل بقضيتنا الكبرى مع الصهيونية... كل ذلك في إطار جذاب، وبأسلوب يتفق وميول الأطفال، ويؤثر فيهم أعظم تأثير.

ولعل مااقتطفته من المراجع سالفة الذكر يمثل صدمة للمشاعر العربية، لمن لايقرؤون لغات أخرى، إذ لايتصور الفرد العربي العادي أن صورته مشوهة إلى هذه الدرجة، وأن سمعته يلوكها الغرب على هذه الصورة، لكننا هنا حرصنا على ذكر هذه النماذج المفجعة لعلها تحدث لدينا صحوة، وانتباهًا لما يُقال عنا، حتى فيما يقدم للأطفال؛ لنشعر بحجم الهجمة الغربية الشرسة، التي ترمي إلى تشويه الصورة العربية.. كخطوة على طريق تصحيحها.

---

(١) الموسوعة، ص ٥٥ .

الفصل الثانى

الصورة العربية فى الصحف العالمية

بعد استعراض ملامح الصورة العربية في الكتب الغربية بكل أنواعها.. نرى أنه من الواجب تحديد ملامح هذه الصورة في الصحف؛ للوقوف على محدداتها؛ حتى يتسنى لنا ترسّم الخطوات اللازمة للتصدي لما يكتب عنا نحن العرب في شكل حملات صحفية أحياناً.. وفي شكل أخبار متناثرة هنا وهناك من آن لآخر.. لكنها تصب جميعاً في خط واحد، هو التشهير بالعرب وتشويه صورتهم.

وفي محاولة لفهم أبعاد الصورة.. وانطلاقاً من الاهتمام بالتصدي للحملات الغربية بكل أساليبها، ونظراً لأهمية الصحافة، وأثرها المُلحّ، والمتكرر على الأذهان، نستعرض في هذا الفصل نقاط النقد التي تهتم صحافة أربعة من الدول الغربية بإبرازها؛ تشويهاً لصورة العرب أمام الرأي العام العالمي؛ وذلك للوقوف على نقاط أو محاور الالتقاء بين صحافة كل دولة وأخرى، والفروق في الرؤية بين كل منها.. هذه الدول هي فرنسا، وألمانيا، والمملكة المتحدة، والولايات المتحدة الأمريكية، حيث نلم بأوجه الاتفاق والاختلاف بين كل منها، وأكثر الأمور التي تهم كل دولة أكثر من غيرها فتبرزها في صحافتها.. وذلك لاشك له فائدة في تحقيق أفضل الأساليب للرد على كل منها وفقاً لاهتماماته.

ثم نستتبع ذلك باستعراض لنماذج مما يكتب عنا في صحافة بعض الدول الصديقة؛ حتى نرى التوافق أو الاختلاف في ملامح صورتنا في صحف العدو والصديق.. وأخيراً نتابع ملامح الصورة كما ترسمها

الصحف العربية المهاجرة خارج الوطن؛ لنرى ماتقدمه من مادة ترسم صورة عربية شوهاء، تستغلها صحف العالم وتعتبرها شهادة شاهد من أهلها.. لنقول في النهاية : هذه هي صورتنا كما نرسمها نحن، ونقدمها مادة سائغة لغيرنا؛ ليضعوا لها ظلالاً ورتوشاً موحية، ويقدموها في أسوأ صورها.

العرب في الصحافة الفرنسية

لاشك أن الصحافة من أكثر وسائل الإعلام تأثيراً على الرأي العام بإلحاحها اليومي والأسبوعي.. وقوة إمكانياتها في التوزيع والانتشار.. وأيضاً كثرة المنافذ التي يمكن أن تنفذ من خلالها إلى الهدف المرجو، عن طريق تلوين الأخبار تارة، والمقالات، والصور والرسوم الكاريكاتورية تارة أخرى، وشتى الفنون الصحفية المعروفة.

ذلك أن مقالاً في صحيفة توزع آلاف الأعداد، قد يكون له تأثيره الذي لايقل عن مائة كتاب لايطالعها إلا الخاصة المثقفة، ولا يتحقق لها الانتشار المرجو.. وقد لايتوفر لها عنصر الجذب، والأسلوب الخاطف المؤثر، المعتمد على التكرار، مع التنوع في الموضوع ذاته، وفقاً للأحداث الجارية.. ومحاولات تغطيتها بشكل مغرض يؤدي إلى أهداف محددة.

ولصحافة كل دولة أسلوبها في رسم الصورة المنفرة لشعب ما، أو أمة من الأمم؛ لخلق كراهية لهذه الأمة في النفوس، وبالطبع هناك فروق - وإن كانت طفيفة - بين صحافة الدول الغربية في تناولها للعرب وتعريف الرأي العام الغربي بهم، من خلال استعراض أخبارهم وتناول الأحداث العربية بالتحليل، وربطها بالماضي والتاريخ العربي، والطبيعة العربية.

فإذا تناولنا الصحافة الفرنسية وكيف ترانا وترسم صورتنا.. آخذين بمبدأ التدرج، فالصحافة الفرنسية والشعب الفرنسي - من خلال صحافته - لايكن عداءً مقيتاً للعرب من حيث كونهم شعباً، بوصف

الفرنسيين قومًا ذوي حضارة وثقافة، لايتعصبون تعصباً أعمى تجاه الأشياء والأشخاص، وإنما يأتي رفضهم وكرههم من منطلق تهديد مصالحهم؛ لذلك نجد أن الصحافة الفرنسية قد خفت فيها حدة الهجوم على العرب بوجه عام.. وإن ظلت الإساءة مركزة على عرب النفط، من منطلق اهتمام فرنسا بتوفير الطاقة، وعلى ليبيا بسبب الشعور الغربي بأنها وراء الأعمال التي يصفونها عادة «بالإرهاب».

ولما كان التقارب الفرنسي العربي قد بدأ بشكل جدي في العقود الأخيرة على المستوى الرسمي، فإن الصحافة الفرنسية قد انعكس عليها هذا التقارب الرسمي بصورة أو بأخرى، وعلى سبيل المثال بالنسبة لنظرة اليهود الفرنسيين إلى الاعتراف الفرنسي بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، على أنه أسلوب تبادل مصالح تتبعه فرنسا؛ من أجل توفير الطاقة بشكل منتظم، وثمنًا لهذا الاعتراف، وقد حفلت الصحف الفرنسية بتغطيات واسعة لزيارات الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان المتكررة لمنطقة الخليج والسعودية ومصر، وتبادل حكام المنطقة العربية ومسؤوليها الزيارات معه، ثم تبادل الرئيس ميتران الزيارات مع مصر، واستقباله للرئيس اللبناني عدة مرات، ثم تبادل الزيارات بين الرؤساء العرب وخليفته جاك شيراك منذ توليه السلطة،ومانيتج عن هذه الزيارات من بيانات مشتركة، وتصريحات متبادلة، تنضح بالتفاهم، وتحقيق التعاون، والتوازن بشأن المصالح المتبادلة، بين فرنسا وعرب النفط.. وعلاقتها بمصر، ودورها في الحرب اللبنانية.

ورغم انعكاس هذا التقارب على الصحف الفرنسية إلا أننا نجدها لاتخلو من محاولات للإساءة إلى العرب، تدور في فلك الإساءات الغربية الأخرى.. وإن كانت أخف منها حدة، وأكثر منها اعتدالاً.

وقبل الخوض في تفاصيل هذه الإساءات نوجز محاورها في نقاط محددة هي :

* التهكم الخفي على أساليب الحكم العربي، وخلافات الحكام، وسوء توزيع الثورة.

* الخوض في مسائل شخصية تتصل بقيادات منطقة الخليج.

* نشر المعلومات العسكرية وصفقات السلاح الفرنسي إلى العرب.

* حملة يهود فرنسا على التقارب الفرنسي العربي من أجل البترول في مقابل الاعتراف بالحق الفلسطيني.

* التتبع الإخباري ـ المتحيز أحياناً ـ للصراع العربي الإسرائيلي.

* التركيز على التصريحات العربية لدول النفط حول الأسعار والتخوف العربي من التهديدات الغربية المقابلة لذلك.

* الاهتمام بالسعودية بشكل خاص ومناقشة قضايا الشرق الأوسط من خلالها.

* ثم أخيراً وصف العرب بالإرهاب خاصة الليبيين والفلسطينيين؛ نتيجة لبعض الأحداث التي راح ضحيتها أفراد فرنسيين.

هذا ولابد من الإشارة إلى تطور شكل الإساءة في الصحف عامة بتطور الأحداث.. إذ سنلاحظ أن كل مرحلة قد واكبتها أساليب تتناسب معها ومع أحداثها.. ومن خلال استعراض نماذج الإساءة للعرب في الصحف الفرنسية في هذا المبحث ـ ثم الصحافة الألمانية فالإنجليزية والأمريكية في المباحث التالية ـ سنستطيع استخلاص أساليب كل مرحلة، ومعرفة الفروق في الرؤية الغربية لنا واختلافها من دولة لأخرى.. وترتيب درجة عداء كل منها للعرب متمثلاً فيما تنشره صحافتها، ودوافع هذا العداء الطبيعية، أو المتعلقة بالمصالح العامة الاقتصادية والسياسية.

فالملاحظ أن الصحافة الفرنسية تنجح إلى حد كبير في الربط بين المسائل الشخصية وأساليب الحكم العربية، والتعرض للخلافات بين الحكام العرب، وسوء توزيع الثروة في بلاد النفط.. كل ذلك من خلال

الحديث عن السعودية بشكل خاص كنموذج لبلاد النفط.. ويبدو هذا النجاح في الربط بين كل من هذه الأمور في عدة نماذج نختار منها ماكتبته «فرانس سوار» "france soir" تحت عنوان «السجادة الحمراء» واصفة المجتمع الراقي، وأطرف أحداثه في العالم كله، ذاكرة السيد عدنان خاشقجي كصاحب ملايين، يمتلك السيطرة والتحكم في قطاعات كثيرة من العالم، وعلى سبيل المثال : الفنادق في مصر، والبيوت الجاهزة في كوريا الجنوبية والسنغال، والمصانع في البرازيل، والسفن في أندونيسيا، وتعمد الصحيفة بعد ذكر كل ذلك إلى وصفه بأنه «ليس أكثر من سمسار سلاح»، إذ تقول الصحيفة :

«استغلت شركة لوكهيد رغبته في شراء إحدى الطائرات لحثه على إقناع الأمير سلطان وزير الدفاع الذي كان صديقاً حميماً له لشراء معظم طائرات لوكهيد العسكرية وتلقى في مقابل ذلك ستمائة مليون دولار من الشركة خلال خمس سنوات، وبعد عدة أشهر تلقى من شركة نور ثورب دفعة قيمتها ٥٥٠ مليون دولار لقاء خدماته.... حيث يقال بأن خاشقجي يستعمل أسلوبه ببراعة ودبلوماسية.... فهو الأفضل في تدبير كل شيء لمصلحتها بدون عجرفة أو إساءة، من بين المفسدين والفاسدين، فهو يحترم القرآن، وله مبادئ معينة في معاملاته وتصرفاته بين تكنوقراطيي البترول»[1].

وعن التهكم على أساليب الحكم العربي آخذين نموذجاً للسعودية كتبت «ديمان لافريك» "Demain L'Afrique" تحت عنوان «رب واحد لأفريقيا» مقالاً بقلم « ديك سرابي» "Dick Thuraby" يقول فيه :

«الوقت ليس مهماً اليوم لخلق دولة قوية، فالأهم أن تستغل الوقت لخلق صناعة كبيرة ودولة قوية، وذلك ماتفعله السعودية، فالحكم أوتوقراطي بسبعة إخوة تحركهم أمهاتهم كلاً تبعاً لعشيرته» .

---

(١) فرانس سوار، في ١١ / ٧ / ١٩٧٨، ص ٢ .

«وقد أصبح السعوديون قوة مؤثرة؛ والفضل في ذلك يرجع إلى الدخل الذي يربو عن ٤٢ مليار في السنة، واحتياطيها الضخم الذي يشكل ٢٢٪ من النفط العالمي».

«ولتفادي الخطر الذي يهدد العالم، وحماية للأماكن المقدسة، فإن الرياض بدأت تخطو نحو دورها المفقود في إعادة توزيع الدخل»(١).

وحول نفس الفكرة ـ وهي السخرية من نظم الحكم العربي ـ تعنى الصحافة الفرنسية من آن لآخر بالتعرض للخلافات بين القيادات، خاصة في دول الخليج من منطلق المساس بالنظم العربية من طرف خفي، والسخرية منها في معرض سرد خبري، يبدو للعامة موضوعياً ومجرد تحليل إخباري.

ففي «الميد»(٢) نُشر مقال يشير إلى تبعية السياسة الخارجية للإمارات لسياسة السعودية، رغم تعاطف أفراد الأسرة الحاكمة مع السياسة المضادة، وذلك يقودنا إلى الحديث عن اهتمام الصحافة الفرنسية بالسعودية بشكل خاص، إذ تأتي مناقشة قضايا الشرق الأوسط غالباً من خلال السعودية، كما أنها دائماً مضرب المثل في كل مناقشة لأي من الأمور المتصلة بالعرب، وبشكل خاص عرب الخليج.. وكمثال مناقشة الأمور الشخصية المتعلقة بالنساء، والقضايا الأخلاقية، وكنموذج ماكتبته مجلة «جورنال أفريك» في تحقيق بعنوان «أمراء حقيقيون أم مزيفون؟» يشير إلى استخدام العرب ألقاب أمير أو شيخ؛ لشراء أنفس السلع دون دفع الثمن، كذلك يفعل بعض الأوربيين، إذ يحتالون على أصحاب محال الجوهرات، ويدَّعون بأنهم عرب.. وفي خضم الحديث عن الشيوخ والأمراء الحقيقيين، ومايمارسون من أعمال لاأخلاقية في أوربا كتبت المجلة تقول :

---

(١) ديمان لفريك، في ٢١ / ٢ / ١٩٧٩، ص ٣٩.

(٢) الميد، ملحق الميد، في ١٥ / ١٢ / ١٩٧٩، ص ٣، ٤، ٦.

«يقع اختيار الأمراء الحقيقيين على أوربا لقضاء أوقات لهوهم؛ لأنهم يجدون هنلك حريتهم الشخصية بشكل أوسع، فالكثير منهم تعيش عشيقاتهم في باريس أو لندن، وأكثر الأماكن التي يعشقونها في أوربا هي محلات القمار، وعلى سبيل المثال وبالتحديد (فرج) السعودي الذي خسر ٣٠ مليون فرنك في ملاهي أوربا، والذي يقول : إن القمار أعظم متعة عندي حتى لوخسرت. وبذا يسيء العرب إلى سمعة العرب، ولكن من يجرؤ على الاعتراف بذلك»[١].

كذلك نجد مجلة "June Afrique" الفرنسية تصف المرأة العربية بما لايليق في مقال مشفوع بالصور، يصف العالم المغلق للمرأة العربية، وذلك تحت عنوان : «امرأة حضرت لقريتها»[*].

هذا وقد دأبت هذه المجلة بالذات على التركيز على أمور شخصية أكثرمن تركيزها على الأمور السياسية والاقتصادية، فقد نشرت تحت عنوان : «من أجل حفنة من البترودولارات» تتحدث عما أسمته «تجارة النساء تجتاح المدن الإفريقية، في سياق التقرب من الأخوة في الخليج»، حيث يمضي المقال في وصف سهرات إحدى الملاهي الليلية التي يقصدها عدد من العرب كرواد جدد، من السعودية والكويت، جاءوا وهم يلبسون عباءاتهم وكوفياتهم، ويرد في هذا المقال :

«إن ورقة المائة دولار كانت تخرج من جيوب هؤلاء الخليجيين بسهولة لايتصورها الخيال، فهم يعتقدون أن الدولارات هي التي تصنع الرجال.... وعندما يبدأ الرقص على أنغام الموسيقى الصاخبة يبدأ الخليجيون ينثرون نقودهم على هؤلاء الفتيات، فيضع الواحد منهم ورقة نقدية هنا وأخرى هناك....»[٢].

---

(١) جورنال أفريك، في ٢٤ / ١٠ / ١٩٧٩، ص ٦٢ - ٦٣.

(*) جين أفريك، في ١٩ / ١١ / ١٩٧٦، ص ٦٤.

(٢) جين أفريك، العدد ٩٩٤، الصادر بتاريخ ٢٣ / ١ / ١٩٨٠، ص ٦٢ - ٦٣.

وإن كانت هذه النغمة ـ وهي الإساءة للعرب من منطلق شخصي، والتهكم على تصرفاتهم الشخصية، وعاداتهم ـ لم تعد ذات موضوع بالنسبة للصحافة الفرنسية.. ولكن التركيز الآن على الشؤون البترولية، وتبادل المصالح الفرنسية العربية بشكل خاص. وعدا النواحي الشخصية، وضرب الأمثلة على السعوديين، بالذات، نجد الصحف الفرنسية ترى كل قضايا الشرق الأوسط من خلال السعودية وتعتبرها أكبر دولة في منطقة الخليج، والمحرك لكل السياسات الخارجية لدول المنطقة العربية.

وقد كتبت مجلة «لوبوان» "Le Point" تصف السعودية بأنها «القلعة المتهاوية»، وتصف الوضع السياسي فيها بصورة توحي بأن الوضع على وشك الانهيار، نتيجة لتفشي الرشوة والفساد، داخل مراكز الحكم والعائلة المالكة،وتوقع قيام الجيش بانقلاب عسكري على يد «فدائي سعودي» وتشير المجلة إلى أن عملية مكة، وأحداث أفغانستان، وثورة إيران جعلت الرعب يسود بلدان الخليج(١).

أما عن التقارب العربي الفرنسي من أجل الحصول على البترول، في مقابل الاعتراف الفرنسي بالحق الفلسطيني، وإمداد دول الخليج بالسلاح بقصد تنويع مصادر التسلح، فيأتي ذكره من خلال نشرات المعلومات العسكرية وأخبار الصفقات تفصيلاً.. وتغطية رحلات المسئولين الفرنسيين والعرب، واستعراض تصريحاتهم المتبادلة.. خاصة تصريحات المسؤولين البتروليين، حول أسعار النفط، واستخدامه كأداة ضغط ضد الدول الغربية، ثم تتبع الصراع العربي / الإسرائيلي بشكل أكثر اعتدالاً، ودون تعصب واضح ضد العرب، مما أثار حفيظة يهود فرنسا على هذا التقارب، وهذه المصالح المتبادلة بين العرب وفرنسا ودوافعها.

---

(١) لوبوان، العدد ٣٨٩، في ٣ - ٩ / ٣ / ١٩٨٠، ص ص ٦١ : ٦٣.

هذا وتشير الصحف الفرنسية إلى أنه بعد أن كانت السعودية ـ حتى وقت قصير ـ تتمسك بالصناعات العسكرية الجوية الأمريكية، أصبحت تفضل الإنشاءات الفرنسية؛ بسبب وقوع فضيحة لوكهيد.

والحقيقة أن التركيز على الزيارات العربية الفرنسية المتبادلة كان قد بدأ بإظهار النوايا الفرنسية الحسنة تجاه العرب، والتي تظهر في تصريحات الرسميين الفرنسيين.. فقد أشارت «لوموند»[1] إلى زيارة السيد «ريمون بار» لمصر، حيث صرح الوزير الأول بأن: فرنسا مستعدة لتقديم العون التقني للبلاد العربية المنتجة للمادة الدفاعية.

هذا وتعكس الصحافة الفرنسية اهتمام المسؤولين الفرنسيين بالبترول وأسعاره وأن الرئيس الفرنسي يتحرك في كل صوب في المنطقة، لتجنب حدوث أية هزات تتعرض لها فرنسا في مجال البترول، «ولتحاشي حدوث أية مغامرات، ولحماية الخليج الذي تعتبر حمايته مهمة بالنسبة لإيران ولفرنسا أيضاً»[2].

هذا وتنشر صحف فرنسا آراء الرسميين البتروليين في قطر والجزائر والإمارات نقلاً عن الصحف الأخرى الأمريكية واللبنانية كما هي دون إساءة[3] وإن كان الأمر لايخلو أحياناً من بعض التهكم في إطار السرد، خاصة في مجلة «جين أفريك» التي تعتبر من أكثر المجلات الفرنسية إساءةً للعرب في أمور كثيرة شخصية وعامة.. فقد كتبت هذه الصحيفة قبل سنوات ساخرة من التقارب الفرنسي السعودي، مشيرة إلى دوافعه بأسلوب تهكمي قائلة: «ذكرت مجلة لوكنار إنشن Le Canard Enchaine الأسبوعية الفرنسية المقالة التالية بعنوان (بالأرقام العربية...) «أحصى أحد الأخصائيين عدد زيارات رؤساء الدول

---

(١) لوموند، في ١٣ / ١١ / ١٩٧٦، ص٦ .

(٢) الفيجارو، في ٤ / ١٠ / ١٩٧٦ .

(٣) الفيجارو، في ٧ / ٢ / ١٩٧٧ كمثال.

والوزراء إلى السعودية عام ١٩٧٦ فوجد أن السعودية استقبلت ٢٣ رئيس دولة، و١٩ رئيس وزراء، و٣٠ وزير خارجية، و١٠٠ وزير، وتضرب هذه الأعداد الرقم القياسي بالنسبة للدولة التي لايتعدى سكانها بعض الملايين وتمتد على صحراء شاسعة. وبالتأكيد فإن تلك الزيارات المتعددة للمملكة السعودية ومنها زيارة جيسكار ديستان في يناير ١٩٧٧ ليست فقط من أجل طلب رضا الملك الخالد، والإعراب عن الإعجاب بلحيته.. بل إنه البترول الذي يجذب، وعشرات المليارات التي لم يقدر أعضاء العائلة السعودية على إنفاقها كلها على طاولات القمار (الروليت والباكرا). وما نقترحه هو جعل الرياض مركزاً للأمم المتحدة بدلاً من نيويورك، أليست الرياض اليوم هي العاصمة الدولية؟»[١].

هذا وكانت زيارات الرئيس الفرنسي المتكررة إلى منطقة الخليج، فرصة للصحافة الفرنسية كي تكتب عن دول المنطقة، وبالطبع جاءت بعض الكتابات مطابقة للواقع، وإن كان فيها تركيز على السلبيات أكثر من الإيجابيات، وتناولت أموراً شخصية أكثر منها سياسية، في إطار تعريف الشعب الفرنسي بعادات وطبيعة البلاد التي يزورها رئيسهم، كما جاءت بعض الكتابات إساءة صارخة للعرب في الخليج؛ من منطلق رفض اليهود الفرنسيين للتقارب العربي الفرنسي، ومحاولة إعطاء صورة مشوهة عن هؤلاء العرب.

وقد جاء مانشرته «الفيجارو»[٢] عن قطر ودولة الإمارات، غير مسيء بقدر ماهو تعبير عن رؤية أجنبية لمجتمع غريب عليها، فقد وصفت دبي بأنها «الواجهة الغربية للدولة» لما تتميز به من طابع غربي، وذلك في حد ذاته يعتبر رؤية خاصة أكثر منه محاولة إساءة، وقد أورد

---

(١) جين أفريك، في ١٠/٦/١٩٧٧، ص ٧١.

(٢) الفيجارو، في ٢٩/٢/١٩٨٠.

هذا المقال سرداً لمراحل التعاون بين الإمارات وفرنسا، ولمحة تاريخية عن دولة الإمارات، ونظامها السياسي.. وإن جاء في خضم هذا الحديث إشارة إلى أن سكان الإمارات كانوا في السابق يسمون «قراصنة الساحل»، وذلك إن كان يسيء للإمارات ذكره الآن، إلا أنه تسمية وردت في عدد من الدراسات التاريخية المغرضة، التي كانت بريطانيا صاحبة المصلحة في إطلاقها، وقد جاء ذكر نفس التسمية في مجلة «باري ماتش» مدعماً بصورة تؤيد هذه الصفة التهكمية، وإن جاء مقال «باري ماتش» أكثر إساءة من مقال الفيجارو، والذي ذكر بعض السلبيات المتداول مناقشتها في صحافة الإمارات نفسها، مثل عدم التنسيق في السياسة العمرانية بين الإمارات، مُرجعاً ذلك إلى أنه بسبب الاستشارات الأوربية الخاطئة، وهذه في حد ذاتها حقيقة، وإن كنا نكره أن نذكرها، وتذكرها عنا الصحف الأجنبية، كذلك موضوع كثرة عدد الوافدين إلى الخليج، خاصة من الهند وباكستان، والدول الآسيوية.

أما عن مقال «باري ماتش» - المشار إليه سلفاً - فقد زادت فيه رنة التهكم، ووضح أن كاتبه يتعمد التركيز على المساوئ.. إذ ذهب كاتبه إلى وصف النساء المواطنات في أسواق الإمارات بسخرية، وإلى انتقاد الشكل المعماري، والهياكل المعمارية «البشعة» المنقولة عن أسوأ النماذج الأوربية، ناهيك عن رنة السخرية العالية في المقال عن حب البدو للصحراء، بما فيهم رئيس دولة الإمارات، وترديد الطُرف المتداولة في العديد من الكتب الأجنبية عن الشيخ شخبوط الحاكم السابق لأبوظبي، ومحاولة حصر ممتلكات الشيخ زايد وقصوره، وتقدير دخله اليومي، ويتضح من المقال مصدر الحقد على العرب - وهو البترول - إذ يقول المقال عن مظاهر التقدم والتحديث بفعل البترول :

«إن سكان هذه البلاد كانوا في يوم من الأيام يتوقون ويشتاقون

للحصول على نزر يسير من هذا التحديث، الذي كان بعيد المنال.... ومع ظهور البترول تحول قراصنة الخليج الفارسي الذين كانوا يهاجمون السفن لسلبها إلى قراصنة من نوع آخر؛ عن طريق الابتزاز الذي يمارسونه بواسطة البترول»[1].

هذا ويعج المقال بالمقارنات والمفارقات بين القديم والحديث والربط بينهما بسخرية، وكمثال الجمل والبنايات العالية والسيارات الفارهة، والصيد بالصقور بهذه السيارات، وحنين رئيس دولة الإمارات إلى الرمال، وعودته إلى الصحراء، وعروض الأزياء العالمية في الفنادق في غيبة النساء في الحريم، ومحاولة نشر صور لتضخيم هذه المفارقات.

والواضح بصفة عامة وجود مجلة فرنسية بعينها يتضح في كل ماتكتب التحامل على العرب هي مجلة «جين أفريك»[*] التي أشرنا سلفاً إلى نوعية الموضوعات التي تتناولها، ونشير هنا إلى موضوع نشرته بمناسبة زيارة الرئيس ديستان لدولة الإمارات في مقال بعنوان «الهدايا» تطرقت فيه إلى الهدايا التي أعطيت للصحفيين (وعددهم ١٣٨) المرافقين للرئيس الفرنسي أسوة بالرئيس نفسه، وهي هدايا قيمة تلقوها من حاكم أبوظبي.. والتي حولوها إلى تبرعات لمؤسسات خيرية، على اعتبار أن رفض الهدية أمر غير مستساغ عند العرب، مع محاولة لتبرير هذا التصرف بأنه نزاهة صحفية، وبالطبع لم يخل الأمر من سخرية وتشبيه لهذه الهدايا بهدية الإمبراطور بوكاسا إلى الرئيس ديستان.

وكنموذج آخر لما تنشره الصحافة الفرنسية نجد فيما كتبته الكاتبة الفرنسية «جوزيت عالية» في العدد رقم ٣٩ من مجلة لونوفيل أوبزرفاتور الصادرة في باريس تحت عنوان «الخوف المتعاظم لدى الأمراء»

---

(١) باري ماتش، في ٧/ ٣/ ١٩٨٠، ص ص ٣ - ١٢.

(*) جين أفريك، في ١٩/ ٣/ ١٩٨٠، ص ٣٨.

خير مثال لما سبق ذكره، وذلك لاتصاله بموضوع آثار الثورة الإيرانية على المنطقة.. والمقال يعكس تصور الغرب لهذه الآثار، إذ تقول في مقدمة مقالها :

«لم يعد أغنى شخص في العالم أمريكياً. إنه شخص عمره ٦٠ سنة ذو وجه مالس وعيون سوداء لطيفة وذولحية صغيرة، وقلب طيب ورأس مملوء بالفلسفة، يقول بصوت ناعم : (الملك أو الشحاذ ذلك يكون لمدة قصيرة فقط ويتغير دائماً، إن الله أعطاني الفرصة وكذلك يمكن أن يعود فيأخذها مني ولايهمني ذلك».

ذلك الرجل هو حالياً ملك وأمير وشيخ أبوظبي.... إحدى إمارات البترول ـ وهو يملك كل مافيها، وتشكل عائداتها أعلى نسبة للدخل الفردي في العالم.

لكن الشيخ زايد يتذكر أنه فيما مضى بكى من الجوع، وقد كان ذلك قبل ١٥ سنة، وذلك تحت أحد خيام الشعر التي أيبستها الشمس، حيث كان يملك آخر حبات تمر وكان عددها ٣ حبات. وفي الحرم الذي يشبه إحدى الفيلات في موناكو اليوم، وداخل حديقة عملاقة لايمكن أن يقربها أي شخص امرأة عجوز تذكر من تحت حجابها أيام الماضي، وكيف كانت القوافل تسير في الصحراء، حيث كان المرء يمشي ليالي وأياماً مع الجمال حتى يصل إلى العين، وكان يُلجأ إلى تقطيع الولد قطعة قطعة لضمان سلامة الأم، وبعدئذ كان يُداوى الجرح بقليل من الملح.

في الإمارات ترى مسحة من الخيال، وكذلك بعض المعجزات، هنا ترى سيارات الكاديلاك، والقصور، والمستشفيات، والعمارات الفخمة، وكل هذا لم يؤد إلى حمل أهل هذه البلاد على نسيان الماضي، وكما يقول الشيخ زايد : (كل شيء أعطاه الله بإمكانه أن يأخذه).

والحقيقة أن التهكم في الصحافة الفرنسية يأتي من منطلق ضرورة الأسلوب الصحفي، أكثر منه من منطلق الكراهية والحقد على العرب،

فالمعروف أن الصحافة غالباً ماتميل إلى الموضوعات الحريفة، ونقل الصور المستترة والخافية على القراء، إذ يُعتبر الموضوع الصحفي الذي يذكر المحاسن دون المساوئ تقريراً رسمياً، وليس تحقيقاً صحفياً ناجحاً.. وإن كان الأمر لايخلو بالطبع في بعض الصحف والمجلات الفرنسية (كجين أفريك) من بقايا حقد في النفوس على عرب النفط بشكل خاص، كجزء من التحامل الغربي العام ضد العرب.. وإن كانت الصحافة الفرنسية بالذات قد بدأت تعتدل إلى حد كبير في عرضها لتصريحات الرسميين العرب، وفي تتبعها للصراع العربي الإسرائيلي، وذلك انعكاساً للاعتراف الرسمي الفرنسي بالحق الفلسطيني، وبمنظمة التحرير الفلسطينية، ثم أخيراً بالدولة الفلسطينية.. ونجد أن أية إشادة بالصهيونية أوتحقير متعمد للعرب لايرد إلا في المجلات التي تسيطر عليها عناصر يهودية.

ذلك عن نوعية الإساءات التي ترد في الصحافة الفرنسية للعرب، والتي لن نقل كلمتنا الأخيرة بشأنها لتقييم مداها، إلا بعد استعراض الصحافة الألمانية[1]، ثم الصحافتين البريطانية والأمريكية للوقوف على أوجه الاختلاف بينهم في رؤياهم للعرب، ومدى ودرجة تحامل كل منهم علينا.

العرب في الصحافة الألمانية[*]

قبل الولوج إلى تحليل الصحف الألمانية لابد من الإشارة إلى ملاحظة من واقع الاطلاع على الصحف الغربية عامة، هي أن الصحافة الفرنسية تعتبر أقل الصحف الغربية إساءة للعرب، وأن مايرد فيها من إساءة يرد في إطار الأسلوب الصحفي، وسرد الأحداث الجارية التي يأتي المساس

---

(١) د. سامي مسلم، صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية، ص ١٨٣، ص١٨٤.

(*) من أرشيف الرقابة الإعلامية بدولة الإمارات العربية المتحدة.

بالعرب كجانب منها، وليس كأساس.. لكن الحال يختلف بالنسبة للصحافة الألمانية كما سيتبين لنا في هذا المبحث... فالصحافة الألمانية تتفق مع الصحافة الفرنسية في نقاط هي :

* الاهتمام بالسعودية بشكل خاص كمرآة للعرب.
* التتبع الإخباري لانعكاسات الأحداث على المنطقة العربية.
* الاهتمام بالأمور الشخصية المثيرة للسخرية (وهي أشد في الصحافة الألمانية وبتركيز متعمد).

بينما تختص الصحافة الألمانية أكثر من الصحافة الفرنسية بمحاولات :

* النيل من الإسلام ونظم الحكم الإسلامي.
* الدعاية الصهيونية السافرة والنيل من الفلسطينيين.

ذلك على الرغم من الكراهية التقليدية التي يكنها الشعب الألماني لليهود، فنجد أن محاولة خلق مقارنات بين العرب واليهود أمر شبه دوري في الصحافة الألمانية، وكأن التعصب الألماني ضد اليهود قد تحول برمته نحو الأمة العربية. كما تحول التعصب الأمريكي ضد السود أوالهنود الحمر إلى العرب.

وتتبعاً لنماذج مما يرد في الصحف الألمانية من خلال المنطلقات السابقة، يمكننا التعرف على الأسلوب الألماني في الإساءة إلى أمة العرب والإسلام.

ولنبدأ بتفصيل النقاط التي تختص بها الصحافة الألمانية عن الصحافة الفرنسية، وأولها النيل من الإسلام، فالنيل من عرب فلسطين، ثم نستعرض بعد ذلك نماذج لما تتفق فيه الصحافة الفرنسية والألمانية مع بعضهما البعض، ومع غيرهما من صحف إنجليزية وأمريكية.

فأما عن الإسلام والنيل منه، ومحاولات تشويهه بتعمد، وعن جهل بالحكمة من تشريعاته، فنجد على سبيل المثال في مجلة دير

شبيجل[1] مقالاً يصف الإسلام بأنه مجموعة قوانين وتنبيهات، ويبين هذا المقال أن الإسلام لايعي معنى الحياة العصرية، وأنه لاعلاقة للإسلام بالمجتمع المعاصر، كما يلوم الدول الإسلامية الحديثة على أن نظم الحكم فيها لاتتطابق تماماً مع القواعد الإسلامية، والقرآن الكريم، ولايكتفي بالقول فقط ولكن يعمد أيضاً إلى الصور ليستعرض أساليب القصاص الإسلامي من القتلة[2].. كما ينشر صورة يدعي أنها للنبي تعطي تصوراً خاطئاً ـ بل ومخيفاً ـ لمن لم يقرأ المقال بعناية.

كما نجد مجلة «بونتي» تنشر سلسلة مقالات بقلم «ماكس بيير شيفر»، عن حياة الرسول (ﷺ) تعطي صورة مشوهة عنه، وتصفه بما ليس فيه ـ وحاشاه أن يكون كذلك ـ ومن هذه الصفات أنه :

«رجل ماكر يجري وراء المال؛ ولذلك تزوج امرأة تكبره بخمس عشرة سنة»[3].

ومن منطلق الحديث عن الرسول (ﷺ)، وعن الإسلام يتحدث هذا الكاتب عن التخوف الغربي والسوفيتي من انتشار ما أسماه «حمى الدعوة الإسلامية»، خاصة بعد أحداث إيران وأفغانستان.

وحول نفس الموضوع كتبت «إشترن» تحت عنوان «ساعة المحاربين المقدسين»، تتحدث عن الوضع في الدول الإسلامية، وتتناول الدوافع والأسباب التي أدت إلى قيام الثورات الإسلامية، وعودة البعث الإسلامي، وتقول في هذا التقرير إنه :

«بعد ١٤٠٠ سنة من تأسيس الإسلام نجد حرباً جديدة على وشك أن تبدأ كتتمة للحرب المقدسة التي بدأها المسلمون ضد غير المسلمين منذ ١٤٠٠ سنة»[4].

---

(١) دير شبيجل، في ١٢/٢/١٩٧٩، ص ص ١٠٢ : ١١٢.

(٢) الصور على صفحات ١٠٤، ١٠٥، ١٠٩ من المجلة.

(٣) بونتي، العدد ٥، في ٢٤/١/١٩٨٠، ص ص ٢٦ - ٥٢.

(٤) اشترن، العدد ٥١، في ١٣/١٢/١٩٧٩، ص ص ٢٧ - ٣٣.

كما يتناول هذا التقرير سيرة الرسول باعتباره مؤسسًا للإسلام يعتمد على عدة وقائع حقيقية.. لكنه يحورها ويفندها في غير صالح النبي (ﷺ) إجمالاً، بحيث تعطي صورة خاطئة عن الإسلام ورسوله.

وبنفس الأسلوب كانت نفس المجلة قد نشرت قبل ذلك بعدة أشهر تقريراً مشابهاً عن الإسلام تحت عنوان «قوة النبي - الإسلام بدأ يغزو العالم بأسره»، وفي هذا التقرير تعريف بحقائق تاريخية عن الإسلام هي إجمالاً صحيحة، وكلها عن العقائد والممارسات الإسلامية، وتبدو موضوعية وإيجابية بالنسبة للإسلام، وفي صالحه.. لكن التقرير مدعم بصور تستعرض وسيلة الإعدام وفقاً للشريعة الإسلامية، وصور تظهر احتفالات الشيعة بالعاشوراء من محرم، وتنضح هذه الصور بالدم [1]، مما قد يثير الاشمئزاز في نفوس الغربيين، وذلك دون الإشارة إلى أن هذه الممارسات غير مقبولة من جملة المسلمين، وأنهم يعترضون عليها..

والحق يقال أن الصحف الألمانية - في تركيزها على النيل من الإسلام - تنهج جميع السبل، وتستخدم شتى الوسائل، من استشهاد بوقائع التاريخ، أو ممارسات العقيدة أو حتى القرآن.. ودليلاً على ذلك مانشرته مجلة «دير شبيجل» تحت عنوان : «الأصابع الذهبية في الخليج - الثورة المعمارية في بلاد البترودولار العربية»، إذ تقول :

«تعتبر شبه الجزيرة العربية الآن أعظم ورشة بناء في العالم، فبواسطة مليارات البترودولارات تنمو مدن بأكملها وعمارات رائعة في الصحراء.

ذلك أن الإمارات التي كانت في يوم من الأيام أفقر البلاد أصبحت الآن الأكثر تطوراً» [2].

---

(١) اشترن، العدد ١٢، في ١٥ / ٣ / ١٩٧٩، ص ص ٣٨ - ٦٥، ص ١٩٥، ص ١٩٦.

(٢) دير شبيجل، العدد ٣٧، في ١٠ / ٩ / ١٩٧٩، ص ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

ومن خلال مثل هذه الملاحظات الآنية، والتي تبدو ظاهراً أنها موضوعية وليست ضد دول الخليج أو أية دولة عربية.. بل تبدو وكأنها حريصة على إنفاق أموال البترول فيما يفيد، والاستغناء عن مثل هذه البنايات الفارغة، ومن خلال هذه النظرة الموضوعية إجمالاً، يعرج المقال على النيل من الإسلام عن طريق القول بأن هذا التعمير لايتفق والإسلام والقرآن الكريم، ويستشهد في ذلك بسورتين من القرآن، ذكر أرقامهما (٢٦، ٨٩)[1] وهما سورة الشعراء وسورة الفجر؛ ليدلل على أن الإسلام ضد البناء والعمارة، كما يشير إلى حديث نبوي[2] يعطي هذا المعنى..وبالطبع يكون الاستدلال خاطئاً لأنه مبني على فهم خاطئ لمعنى الآيات الكريمة، وإن أعطى الثمار المرجوة في مجتمع يجهل تماماً الإسلام وتعاليمه، ويصدّق أفراده كل مايُقال لهم عنه.

هذا ويتباكى المقال على مخالفة دولة الإمارات لتعاليم الإسلام، وإضاعة التقاليد العربية، وتلاشيها وسط الإنشاءات الحديثة، مغالطين في تفسير الآيات، فالإسلام لم ينه عن البناء وإنما نهى عن الافتتان به، والالتهاء به عن طاعة الله، والتجبر والغرور بالعمارة، متصورين أنها مصدر خلود، مذكراً أن لهم رجعة إلى ربهم، فلا يتصورون أن البناء سيحميهم من يوم الحساب..

هذا وقد عمدت الصحافة الألمانية إلى التهكم على الإسلام، متمثلاً في الثورة الإسلامية في إيران، والمد الإسلامي عموماً، ومحاولة تصوير أن الإسلام قد خوىَ من أي مضمون، حتى أن رجال الدين الإسلامي يبحثون عن عمل لهم ككرادلة كاثوليك، وذلك في رسم كاريكاتيري

---

(١) ﴿أتبنون بكل ريع آية تعبثون، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون﴾، سورة الشعراء، آية ١٢٨، ١٢٩، و﴿ألم تركيف فعل ربك بعاد، إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد، وفرعون ذي الأوتاد﴾ سورة الفجر، آية ٦: ١٠.

(٢) «لا تبنوا مالا تسكنون».

نشرته مجلة «بونتي».

وانطلاقاً من وضع السعودية كقوة لها تأثيرها ؛ بوصفها مهبط الدين الإسلامي، ومصدر التأثير على السياسة العربية ـ من منطلق قيمتها الدينية ـ يكثر الهجوم عليها، وحينما تتناول بالهجوم يكون لذلك جانبان : سياسي، وديني، ويساء للإسلام والمسلمين من خلالها، وعلى سبيل المثال التقرير المعادي الذي نشرته «دير شبيجل» تحت عنوان «هل أقمت صلاتك» والذي جاء فيه :

«إن بعض الناس قد تعبوا من الصلاة طوال اليوم، ومن العيش من أجل الدين فقط.

ومعظم السعوديين وخصوصاً القادة يعيشون حياة مزدوجة، فمن ناحية هم يظهرون التدين الشديد، ومن ناحية أخرى يتمتعون بمباهج الحياة على الطريقة الغربية.

فالسعودية كانت حتى اليوم إحدى القوى العظمى التي تحكم العالم بنفطها وأموالها.. لكن هذه القوى بدأت تضعف، فالنقود لاتستطيع أن تشتري لهم الأمن ـ كما كانت تفعل للشاه ـ لذلك فمن المحتمل أن يحدث لهم ماحدث للشاه.

وهم يحاولون عن طريق أموالهم السيطرة على كل شيء، وعلى كل الناس، بل هم سبب الفساد المستشري.

والملك خالد كريم جداً مع منظمة التحرير وفي نفس الوقت قد وعد بتزويد الولايات المتحدة بمزيد من النفط.

والمرأة مازالت عبارة عن ملكية منقولة للرجل، فهي لاتتمتع بأية حقوق، ولا بأي قدر من الحرية.

والحكومة السعودية تعامل الأجانب كما لو كانوا عبيداً، فهم يتمتعون بحقوق ضئيلة، ومزايا قليلة جداً.

والمؤسسات الحكومية شديدة الفساد، فأي رجل بوليس يملك اعتقال

أي شخص.. ورغم أن الكحول محرمة فالسعودية تعتبر أكبر بار في الشرق الأوسط، والحوادث الجنسية منتشرة، وكذلك العلاقات الجنسية المزدوجة»[1].

وعن السعودية نشرت «إشترن»(*) تحت عنوان «ليس كل مايلمع ذهب حقيقي» تقريراً يصف السعودية الحديثة، والتأثيرات السيئة والحسنة للثروة الفاحشة على هذه البلاد وأهلها، ويقول هذا التقرير إن السعودية أصبحت غنية جداً، وإن السعوديين لايعرفون كيف ينفقون ثرواتهم، وماذا يفعلون بها!! ورغم أن السعوديين أكثر شعب مسرف في أمواله، فهم «طماعون جداً» يستغلون العمال الأجانب ويطالبون بأجور عالية للسكن، كما أن الأجانب لهم حقوق أقل من المواطنين، وفقاً للقانون الذي يطبق بصرامة على الأجانب فقط.

ويؤكد التقرير أنه رغم كل ذلك فإن الفساد منتشر بين المواطنين السعوديين.

ولعل النغمة الثانية الغالبة في الصحافة الألمانية، والتي تتناقض تماماً وكراهية الألمان لليهود هي الدعاية الصهيونية السافرة، ومحاولات النيل من كل ماهو فلسطيني.

ففي العديد من الصحف الألمانية نجد النيل من الإسلام، ثم النيل من الفلسطينيين، وتمجيد إسرائيل، وكمثال مانشرته «إشترن» (**) عن الموساد، واصفة إياه بأنه أكثر جهاز سري يُخشى منه في العالم، وأخطر هذه الأجهزة على الإطلاق.

ويستشهد على ذلك «بالأعمال الضخمة لجهاز المخابرات الإسرائيلية» مثل الانتقام من عملية ميونخ بقتل الفلسطينيين في

---

(١) دير شبيجل، العدد ٣٤، في ٢٠ / ٨ / ١٩٧٩، ص ١٨٠، ص ١٢١.
(*) إشترن، في ٢ / ٨ / ١٩٧٩، ص ص ٢٢ - ٣٨.
(**) إشترن، في ١٣ / ٣ / ١٩٨٠، ص ص ١٣٠ - ١٣١.

بيـروت وحـادثة عنتـيـبي، مما يعـد بحق خـيـر دعـاية للمـخـابرات الإسرائيلية.. ناهيك عن محاولات استثارة العواطف تجاه اليـهود، حتى لو اقتضى الأمر ذكر المذابح الألمانيـة لليـهود، وكمثال التحقيق الذي نشرته إشترن[1] عن المحرقة، والذي تضمن وثائق وتصريحات من بعض اليـهـود المسنين الذين عـاصـروها، ويعتـبرون شـهود عيان لما جرى في المحرقة، التي أقيمت لليهود خلال حكم هتلر.

كذلك تبنّي مجلة «دير شبيجل» [2] لآراء اليـهود الإسـرائيليين، في تحـميلهم الذنب لألمانيـا فيـما جـرى لهم من اضطهـاد، ومطالبتـهـم لهـا بأخـذ موقف في صـفـهم، كل ذلك فـي مقابل الإسـاءة لعرب فلسطين، وكمثال مانشرته نفس المجلة في نفس العدد قائلة :

«إن الكثـير من الإرهابـيين من أعـضـاء منظمة التحرير الفلسطينية الذين هربوا إلى إسـرائيل يقـولون إن ياسـر عـرفـاتُ يُحـضـر لأعـمـاله الإرهابيـة في السـفـارة السـوفـيتـيـة في بيروت، وإن الاتحاد السـوفـيـتي يزودهم بالبنادق والمدربين والخـبـراء، وإن الروس يحاولون الدخـول إلى الشرق الأوسط عن طريق منظمة التحرير» [3].

ولايخـفى مـافي ذلك من وصـف للفلسطينيين بالإرهاب، ومـحـاولة لإدخـال الريبــة في نفـوس العــرب منهم، لأنـهم رأس الحـربـة التي سيستخدمها السوفيت لغزو المنطقة.

وصفة الإرهاب سائدة في الصحافة الألمانيـة بالنسبة لعرب فلسطين. بل وفي معظم الكتـابات الغربيـة سـواء الصحفيـة أوالأدبيـة وفي الكتب السـيـاسـيـة أيضـاً، ولذا يـجب أن لا نعجب كثيراً مما يدور على الأرض الفلسطينية ويشهده العالم دون أن يطرف له جفن.. فالفلسطينيون في

---

(١) اشترن، العدد ١٢، في ١٥ / ٣ / ١٩٧٩، ص ص ٧٤ - ٩٩٠.

(٢) دير شبيجل، العدد ٣٨، في ١٧ / ٩ / ١٩٧٩، ص ص ١٩ - ٢٢.

(٣) دير شبيجل، العدد ٣٨، ١٧ / ٩ / ١٩٧٩، ص ص ١٥٦ - ١٦٠.

الغرب إرهابيون عتاة.

وكمثال مكرر نشرت «إشترن» تحقيقاً من إعداد «برن دورلر» بعنوان «مدرسة الإرهاب» يدَّعي فيه أن الطفل الفلسطيني يُلقن مشاعر الكراهية منذ الصغر، إذ يتحدث التحقيق عن معسكر للأشبال من أطفال الفلسطينيين، الذين كانوا يحصلون على ثقافة حرب عصابات خاصة في المخيمات اللبنانية، وتتراوح أعمارهم بين ٨ : ١٤ سنة، يتدربون ليصبحوا فدائيين، إذ يتعلمون كيف يستعملون كل أنواع البنادق والأسلحة «كما يتعلمون من يجب عليهم أن يكرهوا»[1] وهنا أيضاً لايخلو الأمر من دس وتأليب، إذ يقول التحقيق «إن حكومة لبنان ليس لها أية سيطرة على أرضها؛ لذلك فهذه المدارس تتركز في لبنان»[2]. وهنا أيضًا نستطيع أن نرصد لماذا ينظر العالم الغربي لاستشهاد أطفال وشباب فلسطين بقلب بارد وضمير ميت لأن تشويه صورتهم قد بدأ مبكرًا جدًا.

هذا وتزخر الصحافة الألمانية بالتتبع الإخباري للأحداث ذات الانعكاس على منطقة الخليج، وتحليل هذا الانعكاس بإغراض واضح، إلى جانب الربط بين هذا التحليل والأمور الشخصية، ومحاولة السخرية من الخلافات العربية، وكمثال محاولة الإشارة إلى التهديد الأمريكي لبلاد النفط، والإيحاء بتوقع قيام حرب نفطية جاء ذكرها في مجلة «بونتي»[3].

كما نشرت «دير شبيجل»[4] كاريكاتيراً لكيسنجر وشيوخ النفط، في مجال عقد صفقات نفطية، وتساؤلات عما إذا كان هناك حرب نفطية أم لا؟!

وحول صفقات النفط وأسعاره نشرت نفس المجلة في عدد آخر مقالاً

---

(١)، (٢) إشترن، العدد ٣٦، في ١٩٧٩/٨/٣٠، ص ص ٣٢ - ٤٠.

(٣) بونتي، العدد الصادر في ١٦/٨/١٩٧٩، ص ص ١٢ - ١٥.

(٤) دير شبيجل، العدد ٣٨، في ١٧/٩/١٩٧٩.

بعنوان : «شيوخ البترول البهلوانات» يتناول بالإساءة شيخ إحدى الإمارات ويقول :

«إنه وجد طريقة مثيرة لتجاهل أسعار البترول الرسمية لمنظمة الأوبك.. إذ يقوم بإجبار شركات البترول الأجنبية العاملة في بلاده على بيع كل البترول له بالسعر الرسمي، ثم يعيد هو بيعه لزبائنه بأسعار السوق السوداء»[1].

هذا وتتفنن الصحف الألمانية في الإيحاء بتصدع الجبهات الخليجية الداخلية، والخوف المتنامي لدى المسؤولين فيها، والخلافات القائمة بينهم، والتي توحي بالانهيار الداخلي الكامل، وعلى سبيل المثال مانشرته مجلتي «ديازيت» و«ديرشبيجل» من تحقيقات قامت بها إحدى الصحفيات والتقت فيها بعدد من المسؤولين، لتأتي على ألسنتهم بتصريحات تستغلها فيما تهدف إليه من إيحاءات، إذ قالت «ديازيت»:

«لم يحدث أن تنازل أي من الحكام عن سلطته وهو على قيد الحياة.. لكن الشيخ شخبوط فعل ذلك.

فبعد أن حكم أبوظبي وبني ياس لمدة ٣٨ سنة وبعد شد وجذب مع الإنجليز أقنعه أبناء قبيلته بالتنازل عن السلطة لأخيه الأصغر الشيخ زايد.

فترك الحصن البدوي الذي قتل فيه والده عام ١٩٢٦ بواسطة عمه الذي قتل بدوره عام ١٩٢٨ بواسطة ابن أخيه.

وقد تم نقل شخبوط إلى منفاه في لندن بطائرة من طائرات الطيران الملكي، وأعلنت العائلة بأنه قد تم اتخاذ هذه الخطوة من أجل مصلحة المجتمع؛ لأن الشيخ شخبوط لم يكن قادراً على إدارة قضايا بلده المالية بما يتفق ومصلحة شعبه....

فقد كان الشيخ شخبوط في ديوانه الأميري يقاتل تقدم الزمن، إذ

---

(١) دير شبيجل، العدد ٤٥، في ٥/ ١١/ ١٩٧٩، ص ١٣٩ .

كان يخبئ الملايين من البترودولارات، وكان يقول لمستشاريه الإنجليز: «لاأريد أن أعرف منكم كيف يجب أن أنفق النقود.. ولكن أريد أن أعرف كيف أدخرها».

كما كان يقول شخبوط: «إن الذي جعل العرب عظماء هو النفط وليس قوة العقل»[1].

أما «دير شبيجل» فقد كتبت تحت عنوان «انهيار الاتحاد» تقريراً سلبياً عن دولة الإمارات أشارت فيه إلى خلافات قد تؤدى إلى فصم عرى الاتحاد، يتضح منه أسلوب الربط بين التاريخ والأحداث المعاصرة، واستغلالهما في الإيحاء بالتصدع الداخلي.

إذ ذهبت تقول:

«تتعرض الإمارات إلى خطر الانهيار بسبب الصراعات القائمة بين الشيوخ....

وسبب ذلك قيام كل إمارة بإجراءات خاصة بها من شأنها أن تفكك الاتحاد....

والأمثلة كثيرة على هذه الإجراءات، التي تدل على الغيرة والتنافس بين حكام هذه الإمارات، التي زادت حدتها منذ سقوط الشاه في إيران، الذي كان يمنحهم حماية مجانية»[2].

ومن الواضح وبعد مرور سنوات بل عقود على هذه التحليلات والاستنتاجات أن دولة الإمارات واتحادها يزالان قائمين.. وأن التناقض في الإجراءات الذي طالما تناولته الصحف الغربية باختلاف جنسياتها ليس أكثر من التناقضات في الإجراءات والقوانين بين الولايات الأمريكية على سبيل المثال.

من كل ذلك يتضح لنا كيف تلون الأحداث والأخبار، وتحلل وفق

---

(١) ديازيت، في ٢٠/٧/١٩٧٩، بقلم كول شارتر.

(٢) دير شبيجل، العدد ٢٨، في ٩/٧/١٩٧٩.

المطلوب الإيحاء به !! وكيف تستغل الفرص بوقوع حدث لتدبج المقالات، وتجرى التحقيقات التي تضرب على كل الأوتار في آن واحد، وتعطي صورة عن السلبيات دون الإيجابيات، بما يعطي تصوراً لمدى مايكنه الإعلام الألماني للعرب، ومحاولات تصيد أخطائهم على المستوى الشخصي والرسمي، بشكل يفوق الإعلام الفرنسي.. وإن كان موازياً لمثيله في الصحف الإنجليزية والأمريكية كما سيتضح لنا فيما بعد.

ولعل ما تكتبه الصحافة الألمانية مُسيئة إلى العرب هو ماحدا بباحث عربي هو د. سامي مسلم إلى تقديم رسالته للدكتوراه عن «صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية» كما اهتم مركز دراسات الوحدة العربية بطبع هذه الأطروحة ضمن سلسلة «أطروحات الدكتوراه».

وقد تعرض الباحث في دراسته لملاحظات أولية حول صورة العرب في صحافة ألمانيا الغربية، والعوامل المكونة لأبعاد الصورة، ودور وسائل الإعلام في تكوين الصورة، ثم تناول العناصر التاريخية للصورة العربية عند الألمان، من الحرب العالمية الأولى، وحتى حرب يونيو ١٩٦٧، وأثر السياسة العربية حيال ألمانيا في هذه الصورة، ثم تعرض لصورة العرب في ضوء حرب الشرق الأوسط الرابعة.. وفي خلال هذا العرض اهتم بأثر الانتصار العسكري في تغيير الصورة المقولبة، بسبب الإعجاب بالإنجازات العسكرية، وعنصر المفاجأة الذي كان سمة أساسية في هذه الحرب، والذي كان من شأنه التشكيك في الصورة المقولبة الموجودة، وعلاقة ذلك بتقييم إسرائيل.

وقد ركز الباحث على صورة الإنسان العربي المصري، والإنسان العربي السوري، والإنسان العربي الفلسطيني.. وماتلا الحرب من عمليات إنسانية كتبادل الأسرى، وتقييم دور القادة السياسيين، إذ بدأ الرئيس السادات كليبرالي واقعي، والرئيس الأسد كبعثي معتدل،

وفيصل كمدافع عن التراث، وحسين كملك شجاع.

وأخيراً اهتم الباحث بشكل مكثف بما نشرته الصحف الألمانية عن الفلسطينيين، ودورهم في حرب أكتوبر ١٩٧٣، وكيف أن الصحافة الألمانية قد قللت من شأن اشتراك الفلسطينيين في القتال... وصنفت الفلسطينيين كمعتدلين ومتطرفين.

هذا وقد خلص الباحث د. سامي مسلم إلى عدة استنتاجات حول صورة العربي في صحافة ألمانيا الاتحادية، مؤداها أن هذه الصورة قد تطورت حتى نشوب حرب أكتوبر ١٩٧٣ بشكل يتوازى وتطور العلاقات بين ألمانيا وكل من إسرائيل من جهة، والأقطار العربية من جهة أخرى بشكل سلبي؛ نتيجة لتدخل العرب في مسألة اعتراف ألمانيا بإسرائيل، وقيام تبادل دبلوماسي معها.

وقد نعتت إسرائيل في تلك الصحافة على أنها «البلد الصغير الشجاع المدافع عن وجوده ضد التهديد العربي».

وامتدح الجندي الإسرائيلي عبر هذه الأجهزة الإعلامية «لإنجازاته البطولية المتسمة بنكران الذات».

وبالمقارنة مع هذه الصورة لإسرائيل، فقد صوَّرت هذه الصحافة العرب ونعتتهم «بالمتأخرين، وغير المتطورين»، وبأنهم بشكل عام «لم يكونوا جنوداً شجعاناً، فهم يفرون جزعاً أمام الجيش الإسرائيلي المنتصر».

«وأدانت هذه الصحافة المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي، ووصمت الفدائي الفلسطيني بالإرهاب»[1].

بينما أكد الباحث على أن حرب أكتوبر قد حسَّنت الصورة العربية في صحافة ألمانيا؛ نتيجة لتعرضها لاختيار العرب توقيتًا مناسبًا

---

(١) د. سامي مسلم، صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية، ص ١٨٣، ص ١٨٤.

للحرب، ونجاحهم في كتمان السر، وكيف كان ذلك مفاجأة للصحافة الألمانية.. التي أشادت أيضاً بفاعلية التنسيق بين الأقطار العربية المشاركة في الحرب.. وبشجاعة الجندي العربي وثباته، وهي حقيقة تناولها بحث آخر للدكتورة نادية سالم عن «صورة العرب في الصحافة الأمريكية» سنعرض له فيما بعد.

من كل ماسبق يمكننا القول بأن نقاط الالتقاء بين صحافة أربع دول غربية تكاد أن تكون أكثر من نقاط الخلاف بينها، إذ لايوجد خلاف تقريبا إلا في اختيار نقاط الإساءة، ومستوى التركيز عليها، وأسلوب معالجتها.

وقد وضح من استعراضنا لما تنشره صحافة كل من فرنسا وألمانيا.. أن الصحافة الألمانية تفوق الصحافة الفرنسية إلى حد كبير في درجة إساءتها للعرب، وفي اختيارها لأهم النقاط السيئة، وهي التي تمس ضمير هذه الأمة مباشرة لتعلقها بالدين، وبقضية العرب الأولى (قضية فلسطين) أوقضية الشرق الأوسط المسماة الآن بقضية السلام، والتعرض لهذه النقاط بالتشويه.

وفيما يلي نستعرض بعض ماكتبته الصحف الإنجليزية لنتبين موقفها منا!!.

العرب في الصحافة الإنجليزية

لابد في البداية أن نحدد المحاور التي تدور حولها الصحف البريطانية في إساءتها للعرب، والتي لاتختلف كثيراً عن مثيلتها في الصحف الغربية الأخرى.. وإن تميزت بالتركيز على تناول المسائل الخلقية والشخصية بشكل مكثف؛ لتشويه الصورة العربية في نظر الرأي العام كبداية وأساس يمكن بعد تحقيقه إيراد أية إساءات حول نقاط أخرى، فتجد صدى وقبولاً لدى الرأي العام العالمي، الذي تكونت لديه خلفية

سيئة عن العرب كأمة، ولعلنا الآن نجني ثمار ما بذرته الصحافة الغربية في الموقف المعادي لأحداث انتفاضة الأقصى الأخيرة، وعدم تقبل الغرب لنضالنا العادل والنظر إليه بوصفه لونًا من الإرهاب.

وباختصار شديد نذكر محاور إساءة الصحف البريطانية للعرب بصفة عامة، وفقاً لترتيب أهميتها بالنسبة للصحف، وكثرة ورودها فيها وهي :

- تناول الشؤون الشخصية والخلقية بالتشويه.
- استعراض السياسات الداخلية للدول العربية بإغراض (والاهتمام بالسعودية بشكل خاص).
- الإساءة للإسلام والمسلمين.
- تشويه التاريخ العربي.
- إحقاق اليهود في فلسطين كبديهية.

هذا وتنجح الصحافة البريطانية بدرجة كبيرة في الربط بين هذه النقاط، وعلى سبيل المثال الربط بين المسائل الشخصية والسياسات الداخلية، والشؤون المحلية العربية.

كذلك الربط بين المسائل الشخصية، والإسلام كدين، مع التركيز على السعودية كنموذج للدول العربية، وكنموذج للدولة الإسلامية معاً؛ من منطلق شعورهم بأهميتها اقتصادياً بالنسبة للغرب، وأهميتها الدينية والسياسية بالنسبة للعرب، و(عرب الخليج بشكل خاص).

وبعد، لابد من إيراد نماذج لما تنشره الصحف البريطانية للاستدلال على أسلوب الإساءة بالنسبة لكل نقطة من النقاط السابقة، فبالنسبة للأمور الشخصية والخلقية، نجد أن الصحافة البريطانية لاتألو جهداً، مستخدمة شتى الأساليب، مدعمة لما تقول بالخبر والصورة، معتمدة على الكاريكاتير، كأسلوب ساخر يخدم بنجاح في هذا الصدد على المستوى الجماهيري.. .مدعمة من أجهزة الإعلام الأخرى ـ كالتلفزيون ـ

التي تركز على إبراز العيوب الشخصية للعرب؛ وكمثال استغلال قضية جَلد امرأة إنجليزية، وسجن زوجها في السعودية للإساءة للعرب، من خلال إنتاج فيلم تسجيلي عن إعدام الأميرة السعودية.

وقد بذلت الصحافة البريطانية قصارى جهدها للدعاية له، والكتابة عنه، وعن أصداء عرضه في المنطقة العربية، وفيما يلي نستعرض ما كُتب في صحف المملكة المتحدة منذ بداية عام ١٩٨٠حول الشؤون الشخصية ومحاولات تشويه الشخصية العربية، فنجد جريدة «الديلي ميرور» اللندنية تورد تحقيقاً بعنوان :

«فتيات الجنس يغوين الأغنياء العرب بالذهاب إلى النوادي».

جاء فيه.

«كما تغري النار الفراشة أغري أغنياء النفط العرب بالذهاب إلى أرقى الأماكن الليلية حيث يقدم الجنس»[١].

وكمثال آخر أكثر لفتاً لنظر القارئ مانشرته «الديلي إكسبريس» على صفحتها الأولى، تهكماً على العرب، وسخرية منهم في صورة رسم كاريكاتيري يمثل رجلاً عربياً باللباس الخليجي ومعه امرأة، وهو يخاطب رجل دين إسلامي قائلاً :

«لقد حصلت عليها لتوي من التصفيات!»[٢].

وهذا نموذج من آلاف الرسوم التي تسخر من العرب فيما يختص بالغنى الفاحش، والشغف البالغ بالنساء، والتصرفات الشخصية المتميزة بالنزق.

هذا وليست الصحف الشعبية وحسب، بل حتى المجلات النسائية لاتخلو من موضوعات تتفكه على العرب وتصف إسرافهم وبذخهم، وكمثال الموضوع الذي جاء في مجلة "Woman Own" [تحت عنوان :

---

(١) الديلي ميرور، في ١٢ / ١ / ١٩٨٠.

(٢) ديلي إكسبريس، في ١٥ / ١ / ١٩٨٠.

«من يريد أن يصبح مليونيراً؟!»، والذي تطرق إلى الحديث عن الثري العربي «مهدي التاجر» كأحد أثرياء العالم، والذي قالت المجلة عنه :

«إن له أكثر من نمط في الحياة، وهو يقول عن نفسه : إنني أشعر دائماً بأنني واحد من أغنى الرجال في العالم.... فأنا أملك من بليون إلى بليونين، وأشعر أني أستحق أكثر من ذلك، وأعرف أنه لايوجد سوى حكومات قليلة تستطيع أن تعطي وخلال ساعات قرضاً بمليار دولار كما أستطيع أنا».

«والتاجر أنيق إلى حد ما ـ فخلال سنتين أنفق أكثر من ثلاثمائة ألف دولار لحساب خياطه الخاص، أما ممتلكاته في المملكة المتحدة وحدها فتضم قصراً في مواجهة الهايد بارك، والآخر في كنجزتون هيل، ومكتباً في ماي فير، ومنطقة للصيد بثلاثة ملايين دولار في استكلندا.... ويقول التاجر ضاحكاً : إنني أريد فراغاً أكبر في بيتي لتعليق لوحاتي الزيتية»[1] .

هذا ويستطرد المقال في وصف تاريخ مهدي التاجر وعلاقته بحاكم دبي فيشير إلى أنه :

«بدأ في الظهور كأكبر الأغنياء عندما أخذ يدير مكتباً للجمارك في دبي كميناء للتهريب سيئ السمعة، وقد كان ناجحاً جداً في جمع ريع أو مصدر دخل وفير عن طريق جعل رجال الأعمال يطلبون مساعدته في مفوضاتهم بشأن تعاقداتهم مع الحاكم الذي كان يُصغي إلى نصيحته»[2] .

وما دام الحديث عن الثراء والأثرياء يورد الموضوع مثالاً عربياً آخر من السعودية فيقول عنه :

«لقد ذهب إلى ماربيللا في إسبانيا؛ لينثر بعضاً من الجنيهات على

---

(١) "Woman's Own" ١٦ : ٢٣ فبراير ١٩٨٠، ص ٤٤ - ٤٥.

(٢) "Woman's Own" ١٦ : ٢٣ فبراير ١٩٨٠، ص ٤٤ - ٤٥.

مزرعة للنقاهة الصحية، فهو وأولاده الذكور احتلوا أكثر من طابقين في فندق يتكلف أربعة آلاف دولار يومياً....

وقد أحضر لهم معه ثلاث طائرات إحداها بوينج ٧٠٧ والأخريان هليكوبتر، بالإضافة إلى خمسة وعشرين سيارة رولز رويس ومرسيدس وكاديلاك وثلاثة يخوت. وقد قيل إنه لم يكن هناك نساء.... لأن الأمير كان يرتاح لأيام قليلة»[١].

كما يورد المقال نفسه نموذجاً عربياً ثالثاً هو السيد «عدنان خاشوقجي» الذي يورد صورة له داخل طائرته الخاصة.. توضح مدى البذخ، مع إشارة إلى سفراته المتعددة التي تبلغ ١٦٠ ألف ميل شهرياً.

هذا ونجد في عدد واحد من مجلة المفترض أنها للمغتربين وتصدر في لندن، سلسلة من السخريات من الشؤون الشخصية للعرب، تتمثل في كاريكاتير يصور رجلاً عربياً حوله مجموعة من النساء العاريات يتحدث في الهاتف[٢].

وعلى صفحة أخرى خبر بعنوان «بطلات السرقة من المحال» جاء فيه أنه:

«وفقاً للتقرير الوارد من لندن فإن النساء العربيات يتربعن على قمة دوري السرقة من المخازن التجارية، حيث إنهن تفوقن على الإيطاليات والإسبانيات والسريلانكيات، وحتى السارقات الأمريكيات، ويذكر مثلاً لذلك أن سيدة عربية استطاعت سرقة ١٣ محلاً في يوم واحد، وهذا دليل على حبها لمهنتها، وأنها كانت تسرق أغلى الملابس والجواهر والعطور»[٣].

هذا وتعمد الصحف البريطانية عامة إلى الربط بين الأمور السياسية

---

(١) نفس المرجع السابق.

(٢) المجلة الدولية للمغتربين "Expots International" فبراير ١٩٨٠، ص ٤.

(٣) مجلة "Expots Internationa" ص ٥.

والشخصية، وإرجاع كل خطأ عربي إلى الإسلام، في محاولة لتشويه صورته، وكنموذج لذلك ماكتب في الصحف الإنجليزية حول فيلم «موت أميرة» وأسيء فيه إلى المملكة السعودية، وإلى الدين الإسلامي معاً.

فمثلاً استعرضت ثلاث صحف ومجلات إنجليزية هي «الديلي إكسبريس»، و«الديلي ميل»، ومجلة «ناو» قضية عرض فيلم «موت أميرة» بأسلوب مغرض دُسَّ من خلاله على الإسلام والأوضاع الاجتماعية في مجتمع السعودية كنموذج للدولة الإسلامية، فقد جاء في «الديلي إكسبريس» تحقيق بعنوان «لماذا لاتزال الحياة بالنسبة للمرأة كابوساً مزعجاً» دُعم بصورتين لعملية قطع رأس بواسطة السيف، إحداهما حقيقية والأخرى للفيلم المشار إليه، والذي كانت «الديلي إكسبريس» قد نشرت عام ١٩٧٨ خبراً عن إعدام أميرة سعودية بعنوان: «ثمن حب أميرة ـ القتل بحد السيف» وتجدد هذا الحديث بمناسبة معاقبة السعودية لمواطن بريطاني وزوجته بالجلد لمخالفتهما لقوانين تحريم المواد الكحولية.

وقد علقت الصحيفة على ذلك بعبارات سيئة منها:

«كم هو العدل منقوص وجائر وغير متواز بالنسبة للمرأة في هذه الدولة الصحراوية...

أما جريمتهم فقد كانت الزنا، تلك الجريمة التي يعاقب عليها بالموت طبقاً لقوانين الصحراء القبلية القاسية.....».

«لطالما تمتع الأمراء والشيوخ بالحرية التي تتيحها لهم عائدات النفط فانغمسوا في مراتع البغاء في بلدان الغرب....».

«إن عدداً كبيراً من النساء العربيات لازلن يعاملن كالعبيد في قصور الحريم»[1].

---

(١) ديلي إكسبريس، في ١ / ٤ / ١٩٨٠.

وتحت عنوان «الليالي العربية» نشرت الديلي ميل مقالاً عن الفيلم نفسه جاء فيه :

«إن عرض فيلم (موت أميرة) في تليفزيون آي تي في... قد جعل شيوخ جدة والرياض يلتزمون منازلهم ليلاً....».

«وقد تم تهريب وتسريب هذا الفيلم للسعودية.. رغم الجهود المكثفة التي بذلتها مكاتب الجمارك لعدم إدخال هذا الفيلم... وهو يشاهد بالفيديو في بيوت سرية هناك»[1].

أما مجلة «ناو» فقد نشرت مقالاً حول الموضوع نفسه بعنوان «مجلس حرب ملكي وراء موت أميرة» جاء فيه :

«استدعى الملك الحانق خالد أقرباءه من المملكة المتحدة هذا الأسبوع... وجاء هذا الرحيل الجماعي عقب عرض فيلم تليفزيوني عن الحب المحرم الذي أعدمت من جرائه الأميرة ميشة قبل ثلاث سنوات....».

«إن السعوديين كالإنجليز يحبون العيش في لندن، ويأتي بعضهم دون شك من أجل المتع والتسهيلات المتوفرة هنا كالنساء والكازينوهات والمشروبات....».

«إن الشعب العربي شعب حساس جداً، وسرعان مايغضب من الفكرة التي تحمل أي تهكم من قبل الغرب....».«والمسلمون الورعون يرون أن البريطانيين قد ذهبوا بعيداً هذه المرة... ويرون أنهم أصابوا طرف العصب الديني....».

«إن الإجراءات التي اتخذت كانت هي الإجراءات التي تفرضها العادات القبلية أكثر مما تفرضها التعاليم الدينية، لذلك فالقضية جرت تسويتها فيما بين العائلة السعودية الحاكمة....».

«وقد واكب ذلك قضية أخرى أصبحت تواجه الملك خالد المريض من

---

(١) ديلي ميل، في ١٩ / ٤ / ١٩٨٠، ص ١٩ .

جراء مقال نشرته الفاينتشال تايمز حول عمولات دخلت حسابات بنوك بعض أبناء العائلة السعودية من جراء صفقات بترول أجريت حديثاً»[1].

ومما سبق يتضح كيف تستغل قضية واحدة لتفتيح ملفات أمور أخرى كثيرة؛ لاستكمال الصورة المشوهة التي يحاول الغربيون رسمها للعرب.

ومن خلال الحديث عن الفيلم نفسه كتبت «الإكونومست» مسيئة إلى الأسرة المالكة السعودية مدافعة عن التعاليم الإسلامية، التي يتضح منها نظرة المجلة الموضوعية إلى الفرق بين الإسلام والممارسات القبلية، ومنها يتضح أن صحف الصفوة تختلف في تناولها للأمور عن الصحف الشعبية، التي لاتتوخى الدقة.. بل تهاجم لمجرد الهجوم، ويتضح هذا الفرق بمطالعة ماكتبته الأكونومست:

«إن موضوع فيلم (موت أميرة) أثار نقطتين:

أولاً: المزج بين الحقيقة والخيال.

ثانياً: انحراف السعودية عن العدالة الإسلامية، فالمخرج كان يحاول أن يعطي صورة عن الخلفية الوحشية كما في العصور الوسطى... فهو ليس رومانسياً.. بل يحكي قصة فتاة طائشة قبض عليها وهي تبحث عن اللذة والسعادة غير الشرعية، دفعت حياتها وحياة شريكها ثمناً لذلك....».

«فالإعدام نفذ فيها وفي عشيقها دون محاكمة.. بل بناء على أوامر جدها.. وهذا لم يتم بقانون الإسلام بل بقانون القبيلة»[2].

ذلك في حين ربطت مجلة «ناو» بين هذا الموضوع وبين العلاقات السياسية السعودية / البريطانية بأسلوب ساخر، في كاريكاتير يمثل رجلاً يتحدث في الهاتف مع مسؤول، ووقف خلفه اثنان باللباس العربي وهو يقول:

---

(١) ناو في ١٨/ ٤/ ١٩٨٠.

(٢) الأكونومست، في ١٩ - ٢٥/ ٤/ ١٩٨٠، ص ١٣، ١٤.

«أعتقد أن رسالة من مدير التلفزيون يذكر فيها أنه كان يفضل لو تقطع يده اليمنى عن أن يخالف قصراً»[1].

وذلك تعليقاً على المساعي الجارية لإصلاح العلاقات السعودية البريطانية، التي أثر عليها كثيراً عرض هذا الفيلم، هذا وقد كانت السعودية دائماً محوراً للإساءات الغربية؛ من منطلق كونها المركز الإسلامي الأول، والطعن فيها هو طعن في التعاليم والعقائد الإسلامية من خلال الإساءة إلى شعبها، وعاداتها، وتقاليدها.

كما كانت خلال النصف الثاني من عام ١٩٧٩ بسبب أحداث الحرم المكي، وآثار الثورة الإسلامية في إيران، والتي استغلت في الصحافة الغربية والإنجليزية بالذات كثغرة هوجم من خلالها النظام السعودي، والإسلام، والحياة الاجتماعية في السعودية، ثم كانت مناسبة عرض فيلم «موت أميرة» مناسبة أخرى للإساءة للسعودية، ناهيك عن الإساءات التي تأتي عرضاً دون مناسبات، تستغل لعمل حملات صحفية مكثفة ضد هذه الدولة بالذات... وقد تركزت الكتابات الصحفية عن السعودية في استعراض آثار الثورة الإيرانية داخل السعودية، ومظاهرات الشيعة في المنطقة الشرقية، وبروز خلافات بين الأمراء؛ مما هز وضع الأسرة الحاكمة، وأدى إلى تغييرات في المناصب القيادية.. ونشطت لذلك الصحف الغربية في نشر انتقادها لتصرفات الأمراء.. وتصوير الأحداث داخل السعودية على أنها سخط عام على النظام القائم.. مما جعل الصحف تجزم بأن بقاء النظام السعودي لن يزيد عن عامين إلى خمسة أعوام على الأكثر[2].

أما عن الإساءة إلى الإسلام من خلال الإساءة إلى السعودية فنورد نموذجاً عليها من مجلة «التايم» التي أوردت مقالاً بعنوان «الإسلام في

---

(١) ناو في ٢ : ٨ مايو ١٩٨٠، ص١٨.

(٢) راجع «الفاينشال تايمز» في ٥ / ٢ / ١٩٨٠ و «المدل إيست»، عدد يناير ١٩٨٠، ص ١٠.

مواجهة الغرب»[1] جاء فيه أن هذا النفوذ المعادي للأئمة بدأ يقلق الزعماء المسلمين الآخرين كالعائلة الحاكمة السعودية.. كما جاء في المقال مامؤداه أن عداوة الإسلام للغرب ناتجة عن إدخال الغرب للحضارة في قراه الغارقة في اللازمن، وأن العلم والتكنولوجيا الغربيين قد جرحا الكبرياء الإسلامي جرحاً غائراً، فأصبح الإسلام أداة لبعض الكراهيات ضد أمريكا والغرب. كما تناول المقال السنة والشيعة بالمقارنة، وقال بأن الفرق بينهم أكبر من الفرق بين الكاثوليك والبروتستانت.. وأن على الإسلام إذا أراد أن يصبح منافساً للرأسمالية والماركسيه أن يأخذ بالتطور، وذلك قد يضعف تركيبه الأخلاقي والروحي إلى الأبد.. ذلك أن الإسلام لم يثبت حتى الآن أنه أداة تغيير اجتماعي أوأن له برنامجاً يستطيع مجابهة العالم الحديث[2].

هذا ونجد أن التهكم على الإسلام كدين وفكر يرد كثيراً في الصحف البريطانية في شكل رسوم كاريكاتيرية وأخبار طريفة ساخرة.. وعلى سبيل المثال مانشرته مجلة المغتربين تحت عنوان: «التغلب على مشاكل اللغة» والذي يقول إن:

«امرأة عربية من سلالة الرسول محمد (ﷺ) قامت بتأليف كتاب بعنوان (التغلب على مشاكل اللغة) عدد صفحاته ٢٧٤ صفحة منها ٢٦٠ صفحة بيضاء تماماً ولذا فهي مقروءة عالمياً»[3].

ولايخفى مافي ذلك من تهكم على الفكر العربي الإسلامي.

وفيما عدا الشؤون الشخصية والإساءة إلى الإسلام تعتني الصحف البريطانية باستعراض أحداث المنطقة خبرياً، وإيراد تحليل للشؤون والسياسات العربية الداخلية خاصة في منطقة الخليج، والجزيرة

---

(١) التايم، في ١٧ / ١٢ / ١٩٧٩، ص ٢٢ - ٢٣.

(٢) التايم نفس المرجع السابق.

(٣) التايم نفس المرجع السابق.

العربية.. ومن خلال مقالات التحليل الإخباري، وتلوين الأخبار تستكمل الصورة المشوهة للعرب في الصحافة البريطانية.

وكنموذج للاهتمام البريطاني بعلاقات دول الخليج وخلافاتها مانشرته «الفايننشال تايمز» في مقال تحليلي استنتجت فيه أن عمان بعد أن استقرت داخلياً سوف تتجه إلى ترسيم حدودها الشمالية؛ لتحديد المناطق المختلف عليها خصوصاً واحة البريمي؛ ذلك أن الخلاف ليس على درجة كبيرة من الخطورة والأهمية إذ إن معظم الحدود متفق عليها باستثناء هذه الواحة [1].

وكانت مجلة «إيفنتس» "Events" قد كتبت تحت عنوان «حرب المستشارين» [2] عن ترسيم الحدود بين السعودية والإمارات العربية المتحدة. فأفاضت في الحديث عن تاريخ المنطقة منذ سنة ١٩٦٥، ثم ذهبت إلى موضوع الحدود فنشرت تفصيلاً للاتفاق بشأنه مشيرة إلى أن من قام بالمجهود الكبير في الوصول إلى هذا الاتفاق، هو مهدي التاجر.. وإلى وجود خطأ في ترسيم الحدود بعد الاتفاق كان نتيجة ضم بعض الأراضي العمانية إلى المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات العربية المتحدة.

ولايخفى بالطبع مايرد في ثنايا مثل هذه المقالات من دس وإثارة للحساسيات لأن الحديث عنها يستتبع بالضرورة الولوج إلى مناقشة قضية التجنس في دولة الإمارات، وإلى موضوع قبائل الشحوح المتواجدة في رأس الخيمة وإلى محاولات إبراز نقاط الخلاف وتجسيدها .

ومايحدث عادة في كتابة الموضوعات ذات الطابع السياسي هو محاولة الصحف البريطانية إيراد خلفيات تاريخية يتم فيها تشويه أحداث التاريخ، ووصف عرب المنطقة بالقراصنة، ووصفها بأنها «ساحل القراصنة» والقول كمثال بأن :

---

(١) راجع الفاينانشال تايمز في ١٧ / ١١ / ١٩٧٦ .

(٢) ايفنتس، في ١٥ / ١٠ / ١٩٧٦ .

«أسرة القواسم اشتهرت شهرة واسعة واكتسبت صيتاً سيئاً كقوة بحرية كبيرة في منطقة الخليج، وكان أسطول تلك الأسرة مصدر رعب لسفن أثرياء التجارة بسبب أعمال القرصنة»[1].

هذا وتتبنى الصحافة البريطانية مهمة التلويح بالتهديدات الأمريكية في ثنايا ماتكتبه عن الأحداث الداخلية في منطقة الخليج، كما تحاول الإيهام بخطورة الموقف، والتخوف والقلق السائد في المنطقة.

وعلى سبيل المثال مانشرته جريدة «هيرالد تربيون» تحت عنوان «الاضطرابات سوف تتركز في مضيق هرمز»[2].

هذا وتعنى الصحافة البريطانية بانعكاسات الأحداث العالمية على المنطقة العربية، كما تعنى بالشؤون الداخلية وتأثرها بهذه الأحداث، ويتمثل ذلك فيما نشرته «الفايننشال تايمز» تحت عنوان «كيف يستفيد معيدو التصدير بسوق دبي من التناقض الإيراني» ويستعرض هذا المقال كيف استفادت دبي من أحداث إيران في تجارتها، وقد جاء في هذا المقال مانصه :

«إن باستطاعة دبي دائماً العودة إلى ممارسة تجارتها القديمة فيما إذا نفد النفط، هذه التجارة التي تعتبرها الحكومات المجاورة تهريباً، بينما يراها المسؤولون في دبي بصورة أخرى نوعاً من إعادة التصدير .....».

«وقد علق أحد المراقبين على ذلك قائلاً : عندما تحدث أية ثورة أوفوضى سياسية في أي من الهند أو إيران أوباكستان فإن دبي تحصد الأرباح.....».

«ومنذ الثورة الإيرانية وإحصائيات حكومة دبي تظهر ارتفاعاً ضخماً في التجارة.....».

---

(١) هنا لندن، فبراير ١٩٨٠، ص ١٢، مقال بعنوان «أصول دولة الإمارات العربية المتحدة».

(٢) هيرالد تربيون، في ٢٢/١٢/١٩٧٩.

«وتعتمد معظم الأسماء الكبيرة في دبي وأغلبها إيراني الأصل على هذه التجارة»[1] .

وتناولت هذا الموضوع أيضاً مجلة «الميد»، وهذه المجلة بالذات كان لها النصيب الأكبر بين الصحف والمجلات البريطانية التي تهتم بمناقشة الشؤون الخليجية في أدق تفاصيلها المتعلقة بالشؤون الداخلية لكل دولة[2] .

والحقيقة أن المحور الأخير الذي ذكرناه سلفاً والذي لايرد ذكره كثيراً في الصحف البريطانية هو إحقاق اليهود في أرض فلسطين، فهو مالاتركز عليه صحف المملكة المتحدة إلا بصفة عابرة في المجلات المتخصصة التي تورده وكأنه معلومات بديهية، وكمثال مجلة «عالم المعرفة» التي أوردت موضوعاً بعنوان «إسرائيل أرض الميعاد» تحدثت فيه كخلفية تاريخية لدولة إسرائيل وكأنه دعاية صريحة لها [3] . والواقع أن عدم الاهتمام بهذا الأمر يتناقض وتاريخ بريطانيا، التي منحت اليهود هذا الحق من البداية.. ولكن الصحافة البريطانية لاتركز عليه حالياً بشكل مباشر.. إلا أنه في ثنايا تناولها لأي حدث يُشتمّ هذا الإحقاق.. ويرد وكأنه بديهية لاجدال حولها.

هذا وقد كان لي شرف إعداد دراسة ميدانية وتحليل لمضمون الصحافة البريطانية فيما تنشره حول صورة عرب الخليج بالذات [4] .

ومن خلالها اطلعت على كم هائل مما تنشره الصحف البريطانية على اختلافها كصحف صفرة، وصحف شعبية، وخلصت إلى عدة نتائج حول الفروق في الرؤية الصحفية البريطانية لنا، والصورة الذهنية المنطبعة لدى الشعب البريطاني، حول عرب الخليج بالذات، فوجدت

---

(١) الفاينشال تايمز، في ٢٨ / ٣ / ١٩٨٠، ص ٦ .

(٢) الميد، في ١١ / ٤ / ١٩٨٠، مايو ١٩٧٩، ١٢ مارس ١٩٨٠ .

(٣) راجع عالم المعرفة، العدد ١٣، في ١٩ / ٤ / ١٩٨٠، ص ٣٥٤ - ٣٥٩ .

(٤) أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في الصحافة من جامعة القاهرة - كلية الإعلام، أكتوبر ١٩٨٨ .

أن صحف الصفوة تتناولهم بموضوعية، حيث يتم هذا التناول من خلال موضوعات جادة عادة.. في حين أن الصحف الشعبية أوما يسمى «صحف النفاية» تسيء إليهم كثيراً، إذ تتناول أموراً شخصية، وتركز على المساوئ والفضائح، وهذا الأمر ليس جديداً عليها، فهي صحف صفراء تبحث غالباً عن هذه النوعية من الأخبار الطريفة، حتى بالنسبة للبريطانيين أنفسهم، وليس العرب فقط.

كما خلصت إلى أن الصورة الذهنية المنطبعة لدى البريطانيين عن عرب الخليج، صورة طيبة، إذ إنهم مقبولون في معظم العلاقات الاجتماعية ـ كالصداقة والجيرة والزواج والزيارة... وما إلى ذلك، خاصة بالنسبة لمن عاشوا فترة في المنطقة، ويعرفون أهلها عن قرب، ويقومونهم بموضوعية، إذ يذكرون المحاسن والمساوئ، ولايركزون على جانب واحد من الصورة.

كذلك اهتم بهذا الموضوع ـ صورة العرب في الصحافة البريطانية ـ باحثاً آخر هو الدكتورحلمي خضر ساري(*)، إذ كانت أطروحته لنيل درجة الدكتوراه بمثابة دراسة اجتماعية، تتبعت الصورة من زمن الحروب الصليبية إلى القرن التاسع عشر، ثم القرن العشرين، من خلال الأدبيات الأكاديمية والتعليمية، والكتب التعليمية الشعبية، وكتب التاريخ والعلوم الاجتماعية المقررة للتدريس ثم في وسائل الاتصال الجماهيرية والتلفزيون.

وقد تعرضت الدراسة لحربي يونيو ١٩٦٧، وأكتوبر ١٩٧٣، ثم المبادرات السلمية وأثرها في تشكيل الصورة.. وهي على أية حال دراسة جديرة بالمطالعة.

(*) منشورات دراسات الوحدة العربية - سلسلة أطروحات الدكتوراه رقم ١١، «صورة العرب في صحافة بريطانيا ـ دراسة اجتماعية للثبات والتغيير في مجمل الصورة».

من خلال مطالعة عينة عشوائية من الصحف والمجلات الأمريكية خلصنا إلى أن محور اهتمام الصحافة الأمريكية المكتوبة عن العرب، هو تشويه صورتهم، في مقابل تمجيد إسرائيل، كنتاج عام لكل مايكتب عن الشؤون الشخصية وعن السعودية، وسياسة الأسر الحاكمة في الخليج من جراء قيام الثورة الإيرانية.. كل ذلك يوظف لخدمة القضية السياسية الأم، التي يهتم الإعلام الأمريكي ككل بشحن المواطنين الأمريكيين بالنسبة لها ضد العرب، ومع إسرائيل على طول الخط، وذلك حتى يتسنى لأمريكا دعم إسرائيل بشتى الوسائل دون اعتراض ما من أية هيئة برلمانية أوشعبية.. فالكل مشحون ضد العرب، ومع اليهود كأفراد، وكأمة على مستوى الفهم الشخصي، أو السياسي.. ولعل آثار ذلك قد وضحت منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وما تلاها من أحداث في الأراضي الفلسطينية المحتلة.. والدعم المطلق لإسرائيل والدفاع الشرعي الفلسطيني عن الحق ووصفه بالإرهاب.

والحق يُقال إن الصحافة الأمريكية قد نجحت إلى حد كبير - في غياب الإعلام العربي المدروس - في وضع العرب كقوم في صورة سيئة ومشوهة في ذهن المواطنين الأمريكيين، وذلك باتباع أساليب شتى، يحكمها بالأساس فهم ووعي إعلامي بكيفية توجيه الرأي العام، فالصحافة الأمريكية تختار الوقت المناسب تماماً للترويج لأية فكرة، متمشية مع الأحداث، كما أن الصياغة الصحفية تخدم الفكرة من حيث اختيار الألفاظ السلبية والمسيئة دائماً، في مقابل اختيار العبارات والصفات الإيجابية بالنسبة لليهود عامة، وإسرائيل خاصة، في مقارنة مباشرة أحياناً، وغير مباشرة أحياناً أخرى.

كما أن اختيار مكان نشر المادة الصحفية يترتب عليه أيضاً الوصول

إلى الهدف، فعلى سبيل المثال تبرز الأخبار المسيئة للعرب، وتنشر في الصفحات الأولى وبعناوين ملفتة للنظر، في حين يراعى عدم إبراز ما يشين إسرائيل من أخبار.. ناهيك عن استخدام الكاريكاتير كأسلوب عميق التأثير، يعمد إلى التشهير بالعرب، ويؤتي نتائج أفضل مما تؤتيه مئات الأخبار والمقالات.

وتركز الصحف الأمريكية على السعودية بالذات أكثر من غيرها فيما تكتبه عن العرب، سواء على المستوى الشخصي أوالسياسي، ونورد فيما يلي نماذج لما تكتبه الصحف والمجلات الأمريكية عنها في مناسبات عديدة، منها حادثة مكة وارتباطها بثورة إيران، ومنها إنتاج فيلم «موت أميرة»، وكلها فرص تنتهزها صحف أمريكا، وتستغلها أسوأ استغلال، سواء كسرد خبري مغرض، أوكتحليل لخلفيات الأحداث، وكمثال لذلك ماكتبته «النيوزويك» مستغلة خبراً عن المرض المفاجئ للملك الراحل خالد، لتنتهزها فرصة للحديث عن الأسرة السعودية ومدى الاهتمام الغربي بالمملكة العربية السعودية، الذي يتضح من تحقيق مطول جاء فيه:

«جعلت أحداث إيران وأفغانستان المملكة السعودية بمثابة الدعامة الأساسية لأمن المعسكر الغربي في المنطقة العربية، ولقد وضعت هذه الأحداث السعودية تحت المجهر الدولي».(١)

ويخوض المقال في الحديث عن الأمن السعودي الذي اهتز كأسطورة، ويشير إلى أن النظام السعودي هش، وإلى موضوع خلافة الملك خالد، والحوادث الشيعية في المنطقة الشرقية من السعودية، والتي كانت من آثار الثورة الإيرانية وإذاعتها التي تبث للخليج، كما يشير إلى الفساد المستشري في السعودية على أنه أكبر خطر يهدد العائلة السعودية

---

(١) نيوزويك، في ٣/٣/١٩٨٠، تحت عنوان «الدعاية الأمنية المزعومة لأمريكا».

الحاكمة، والذي كان نتيجة من نتائج البترول، والثراء الفاحش لثمانمائة أمير سعودي، ويشير إلى فضائح وعمولات يتقاضاها الأمراء؛ لتسهيل عقد صفقات مع شركات مقاولات عالمية.

هذا وقد كان إنتاج فيلم «موت أميرة» دافعاً ثانياً للخوض في السياسة السعودية والإساءة إلى الأسرة الحاكمة فيها، وتناولها بكل سوء.. وعلى سبيل المثال لا الحصر، كتبت مجلة «تايم» الأمريكية تحت عنوان «مسرحية موت تعكر صفو عائلة مالكة»، مقالاً جاء فيه:

«إن الذي أغضب السعوديين إلى جانب عرض الفيلم الذي يتضمن بعض الحقائق الاجتماعية والتاريخية المجهولة هو الطريقة التي صورت بها حياة نساء العائلة المالكة. إذ يصوِّر الأميرات العربيات كمغفلات ليس لهن من هم سوى مشاهدة التلفزيون، وسماع موسيقى الرقص، وممارسة الجنس المحرم.... كما تظهر بنات العائلة المالكة وهن يقطعن الصحراء في سيارات ليموزين بحثاً عن علاقات غرامية عابرة»[1].

ويشير المقال - المدعم بالصورة لمقتل الأميرة - إلى اضطراب العلاقات بين السعودية وكل من بريطانيا وأمريكا؛ بسبب هذا الفيلم.. ولايخفى مافي هذا المقال من إشارة إلى أن الفيلم يصور واقع الحياة في السعودية.. بل إن بعض الصحف الأمريكية الأخرى عمدت إلى الإشارة إلى أن الفيلم قد تم عرضه على ٥٠ من الخبراء في الحضارة العربية والإسلامية فقالوا بأن الفيلم «متوازن وحساس»[2].

هذا وتهتم الصحافة الأمريكية برصد آثار الثورة الإيرانية على البلاد العربية، وتصويرها على أنها أثارت الرعب في المنطقة المحيطة بإيران. وعلى سبيل المثال مانشرته «نيوزويك» تحت عنوان «خليج المخاوف» متناولة انعكاسات الثورة الإيرانية على دول الخليج، مصورة أنها أدت

---

(١) تايم، في ١٩ / ٥ / ١٩٨٠.

(٢) نيوزويك، في ١٩ / ٥ / ١٩٨٠، ص ٥٨.

إلى زيادة اهتمام شيوخ الخليج بمصالح وأماني شعوبهم، دون إغفال للإشارة إلى أن السعودية كانت أكثر البلدان العربية تأثراً بهذه الثورة. فيشير إلى أن البحرين قد منعت بيع لحم الخنزير - وهي الدولة الأكثر تحرراً في الخليج - وذلك نظراً لتخوف الحكومة البحرينية من بوادر الثورة الإسلامية.. كما يقول المقال بأنه:

«على امتداد منطقة الخليج أخذ الحكام الذين طالما اعتبروا أنفسهم مطلقي السلطة، يدركون بشكل واضح عدم قدرتهم في وجه القوى الراديكالية الداعية إلى التغيير. فعلى حد قول أحد المحللين الملمين بقضايا الشرق الأوسط فإن الجميع يعلمون بأن المنطقة قابلة للانفجار»[1].

ولايخفى مايتضمنه مثل هذا القول من تكريس لصفة «سلطوي»، التي يصم بها الغرب العرب جميعاً، ناهيك عن الحديث عن سوء توزيع الثروة في العالم العربي، وفي دول النفط بالذات.

ويشير المقال إلى إجراءات توزيع الثروة في الكويت عن طريق تكثيف الخدمات الممنوحة للمواطنين.

ويشير إلى سمة «استعراضي» من خلال الحديث عن تفكك عرى اتحاد الإمارات، التي يقول عنها:

«حتى عهد قريب لم يكن بين المشيخات السبع التي تتألف منها الإمارات العربية المتحدة أي شيء مشترك ماعدا الاسم....».

«إن التفاوت بين المشيخات، ورحلات الاستعراض الشخصي للشيوخ نتج عنها التنافس على بناء المطارات والمشاريع الصناعية، كذلك التنافس على طريقة إدارة البلاد»[2].

وجدير بالذكر أن هذه النغمة ظلت سائدة حتى منتصف عقد

---

(١) نيوزويك، في ٣/٣/١٩٨٠، ص ٢٠.

(٢) نفس المرجع السابق.

التسعينيات، وهي الإيهام بأن اتحاد الإمارات هش وسوف ينهار، وأنه لولا وجود سمو الشيخ زايد لتداعى، وكأنها أمنية يتمناها الغرب لأنجح تآلف عربي.. وحمداً لله أن خاب ظنهم على مدى عقدين أو يزيد.

هذا ويشير نفس المقال إلى اهتزاز نظرة دول الخليج بالنسبة للسعودية بعد حادث الحرم المكي، حيث بدأوا يشعرون أن الحكام السعوديين فقدوا سيطرتهم؛ نتيجة لابتعادهم عن شعبهم، ونتيجة «للتفاوت الكبير في توزيع الثروة مابين فقر مدقع واستهلاك غير منطقي».. ذلك إلى جانب تخوف دول الخليج من امتداد الثورة الإسلامية، الذي وصل إلى حد إمكانية وصفه «بالكابوس الذي لايُرجَح أنه سيزول».

كما تشير مجلة أمريكية أخرى إلى إمكانية أن تكون السعودية إيران ثانية، وذلك في مقال يحمل عنوانه هذا المعنى:

«العربية السعودية ـ هل تكون إيران التالية!»[1].

وقد تناول هذا المقال إشارة إلى خلفيات حادثة الحرم، كما تحدث عن العلاقة الخاصة بين السعودية وأمريكا واستجابتها لمطالبة الرئيس الأسبق كارتر بزيادة ضخ البترول.. رغم ما يُكنه السعوديون له من بغض.. وإشارة إلى أن الاستجابة الدائمة لواشنطن، قد تكون سبباً في ضيق بعض أفراد الأسرة الحاكمة وثورتهم.

وعدا الخوض في السياسات العربية ومحاولات الإيهام بتفاقم الخوف في المنطقة، ومافيها من سلبيات سياسية، يرد أيضاً في الصحف الأمريكية إساءات شخصية كثيرة في إطار الحديث عن السياسة، فعلى سبيل المثال ماجاء في المقال المنشور في «الريد ردر ايجست» السالف ذكره مثل القول بأن:

«ضخامة الدخل من النفط أدت إلى انتشار الفساد في السعودية كما

---

(١) ريدر دايجست، مايو ١٩٨٠، ص ٦٨ : ٧٤، بقلم كارل روان.

سبق أن أدت في إيران.. حتى بين أفراد العائلة المالكة نفسها.. فهناك تقارير حول زيادة البغاء في السعودية، وكذلك حول قيام المسلمين بشرب الخمور، وحول تصاعد نسبة الجرائم»[١].

كما تشير مجلة أمريكية أخرى إلى مدى الإسراف العربي وذلك تحت عنوان «ليلة عربية بـ ١٠,٠٠٠ جنيه إسترليني»[٢]

أشارت فيه إلى دعوة أحد الشيوخ للفرقة الموسيقية المسماة «هوب هورية» لإحياء ليلة رأس السنة الميلادية في أحد الفنادق التي يملكها شخصياً.. وقد دفع مبلغ العشرة آلاف جنيه إسترليني مقابل عزف الفرقة لمدة خمس ساعات فقط وقضاء ٢١ ساعة فقط خارج وطنها «ودفع أثرياء النفط العرب كل المصاريف» على حد تعبير المجلة.

وفيما عدا النيل من الشؤون الشخصية.. نجد أن المجلات الأمريكية تعمد أيضاً إلى السخرية من الدين الإسلامي، خاصة بعد ما بدأ المد الثوري الإسلامي يشتد.. ذلك إضافة إلى محاولات نشر النزعات الإلحادية، من خلال المقالات الفلسفية، ومن خلال فن الكاريكاتير كأسهل السبل، وأقصرها، وأكثرها تأثيراً.. وكمثال لذلك ماتنشره مجلة «بانش» من نكات متطرفة تمس الأديان عامة والأنبياء.. وحتى وجود الله، بأسلوب ساخر يصور أن الله يمكن خداعه[٣].

كما تعمد إلى الإساءة إلى العرب من خلال الكاريكاتير أيضاً وكنموذج تصويرهم ككلاب حراسة على أوطانهم وأرضهم بعد رفع العلم الأمريكي عليها بخديعة من كارتر الذي يصور مرتدياً الغترة العربية والعقال [٤].

وفي مقابل كل ماتنشره الصحافة الأمريكية مسيئة إلى العرب في

---

(١) نفس المرجع السابق.
(٢) "News of the World...."، في ٦ / ١ / ١٩٨٠، ص ١٣ .
(٣) بانش، في ١٦ / ١ / ١٩٨٠، ص ٧٨، ٩٤ .
(٤) بانش، العدد نفسه، ص ٩٧ .

شؤونهم السياسية والشخصية بما يمس تقاليدهم، ومقدساتهم، تنشر الصحف الأمريكية كل ما يوحي بعظمة اليهود وعظمة الدولة الصهيونية عسكرياً وسياسياً، وكل ما من شأنه إثارة التعاطف مع اليهود.. وحصولهم على التأييد العالمي؛ وذلك برسم صورة جيدة لهم، في مقابل رسم صورة مشوهة للعرب، وتمتلئ الصحف والمجلات بوصف الضعف العربي، ويتم ذلك بتمجيد القدرة العسكرية الإسرائيلية، في مقابل ماينشر عن أعداد الجيوش العربية وقدراتها المتخاذلة.. حتى عن حماية أراضيها وثرواتها.

ذلك عدا ما يكتب عن السياسة الداخلية لإسرائيل، وماتتسم به من ديمقراطية وحرية، في مقابل مايكتب عن الدول العربية، ونظم الحكم فيها التي تتسم بالقبلية، وتسيير الأمور فيها، الذي تحركه نزعات فردية أو علاقات أسرية، وعشائرية، ناهيك عما توصف به نظم الحكم العربية من فساد ـ كما سبق إيراد نماذج لذلك ـ بالإضافة إلى محاولات استثارة العواطف تجاه اليهود بإعادة ذكر تاريخهم مع النازية، وماتعرضوا له من مذابح جماعية، ومحارق بشرية، وماقاسوه من ويلات ونكبات على مر العصور[1]

بذلك نكون قد استعرضنا بعضاً مماتنشره الصحف الأمريكية كنموذج لما يسيء إلى العرب ويسوءهم في حياتهم السياسية والشخصية، ومايمس عاداتهم ومقدساتهم.. وذلك في إطار الدراسة الشاملة لصحافة أربعة دول غربية هي فرنسا، وألمانيا، والمملكة المتحدة، والولايات المتحدة الأمريكية.

هذا ولابد من التنويه إلي أن دراسة الصحافة الأمريكية قد جاءت مختصرة إلى حد ما، قياساً بحجمها، كعدد صحف، ومدى انتشارها، وكميات توزيعها داخل الولايات المتحدة، وفي شتى أنحاء العالم..

---

(١) نيوزويك، في ١٠/ ٣/ ١٩٨٠، ص ٢٨.

ولعل اتجاهنا إلى الاختصار قد كان له مايبرره، نظراً لأن ماتنشره يتركز في نقاط قليلة تدور كلها حول محور واحد هو التعصب الأمريكي ضد العرب، المتأثر بالدعاية الصهيونية ضدهم.. ومن منطلقات محددة الاهتمام بالمنطقة العربية، ومنطقة الشرق الأوسط لحساب إسرائيل.. والرغبة في توفير الطاقة.. والنفوذ إلى المنطقة العربية، والهيمنة عليها بهذا المفهوم.

كذلك جاء المبحث الخاص بالصحافة الأمريكية مختصراً لوجود دراسة جيدة للإعلام الأمريكي مع التركيز على الصحافة بعنوان «الإعلام الأمريكي والعرب» من إعداد دكتور أدمون غريب.. ضمّنها شرحًا وافًا لأساليب الإعلام الأمريكي في قولبة الشخصية العربية داخل نمط ثابت في أذهان الشعب الأمريكي، خدمة للأهداف الصهيونية، كذلك تضمنت تحليلاً لأسباب نجاح الإعلام الصهيوني، وفشل الإعلام العربي في تغيير الصورة العربية المشوهة.. مع رسم للخطط الإعلامية القصيرة المدى، والطويلة المدى، التي تمكننا من تغيير صورتنا لدى المواطنين الأمريكيين.

هذا ويمكننا القول دون مبالغة بأن الاختصار كان واجباً أيضاً لأنه مجرد إضافة إلى عديد من الدراسات القصيرة والأطروحات الجامعية التي تناولت بالدراسة صورة العرب في الإعلام أو في الصحافة الأمريكية، نشيرهنا إلى بعض منها لمن يريد الاستزادة في هذا المجال.

ونخص بالذكر رسالة الدكتوراه الخاصة بالراحلة المرحومة الدكتورة ناديه سالم خبير ورئيس وحدة بحوث الرأي العام والإعلام السابقة بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية بالقاهرة ـ والتي تحمل عنوان «صورة العرب والإسرائيليين في الولايات المتحدة الأمريكية»(*). والتي خلصت فيها الباحثة إلى أن الصحافة الأمريكية حرصت على

(*) منشورات معهد البحوث والدراسات العربية للتربية والثقافة والعلوم، عام ١٩٧٨.

رسم صورة مشوهة للعرب، في مقابل صورة جيدة للإسرائيليين، وقد قارنت الباحثة بين الصورتين وأثر الحروب الكبيرة، وتغيير القيادات على هذه الصورة، ورأت أن لنتائج الحروب آثاراً بالغة في تغيير الصورة الذهنية، حيث كانت نتائج حرب يونيو ١٩٦٧ أحد الأسباب التي ألصقت بصورة العربي العديد من الصفات السيئة.. كما أن لانتصار أكتوبر ١٩٧٣ أثره أيضاً في تحسين الصورة العربية خاصة الصورة المصرية، بينما ظهرت صور فرعية للإنسان العربي، منها صورة الفلسطيني الذي وصف بـ «الإرهاب والتعصب» وكم من الصفات الذميمة، كذلك ظهرت صورة أخرى فرعية للعربي الخليجي أو النفطي.. ألصقت بها عدة صفات سيئة منها: «الابتزاز والثراء المفاجئ، والسفه والإسراف»، إلى آخر قائمة الإساءات التي درجت الصحافة الأمريكية على ذكرها.

ولعله ليس مستغرباً أن تركز الصحافة الأمريكية، أو الصحافة الغربية بوجه عام، على الإنسان الخليجي بالذات، من منطلق أنه صاحب ثروة للغرب مطامع فيها، ويحسدونه عليها، ويشعرون أنه ليس أهلاً لامتلاكها، أو التحكم فيها لمجرد وجودها في أرضه.

كذلك ليس من المستغرب أن يحظى الإنسان الفلسطيني بكمٍّ من الاهتمام الإعلامي الغربي، من منطلق أنه صاحب قضية ـ أو طرف في قضية ـ للغرب دور مؤازر للطرف الآخر فيها، أو مؤيد لعدوه.. خاصة وأن هذه القضية هي لب قضية الشرق الأوسط، التي تؤرق العالم منذ مايزيد على نصف قرن.

وعوضاً عن الاسترسال في استعراض نتائج دراسة الدكتورة نادية سالم نشير فيما يلي إلى بعض الدراسات القصيرة، التي تناولت الصحافة الأمريكية، وصورة العرب فيها.. ومنها على سبيل المثال لا الحصر: بحث الدكتور جاك شاهين عن «وسائل الإعلام الأمريكية

والصورة النمطية للعرب»، ودراسة دكتور وليد خدوري «النفط وأجهزة الإعلام الغربية» ، ودراسة دكتور محمد الرميحي «صانعو صور عرب الخليج»، ودراسة دكتور أدمون غريب المشار إليها سلفاً.. وكلها بحوث قدمت إلى ندوة الصحافة الدولية لعام ١٩٧٩ في لندن.. وقد طبعت فيما بعد في كتاب ضم هذه الأبحاث ومادار حولها من مناقشات (*) باللغتين العربية والإنجليزية.

ولعله من الضروري هنا عمل مقارنة مختصرة أو خلاصة لما قدمناه عن الصحف الغربية في الدول الأربع، قبل أن نشير بإيجاز أيضاً إلى دور الصحف العربية المهاجرة في إمداد الصحف الغربية، بمادة غزيرة تساعدها في مهمتها في تشويه الصورة العربية.. وأيضاً ماتنشره صحف بعض الدول الصديقة، وماترسمه كحدود وملامح لصورتنا العربية، وتفيد منه الصحف الغربية في حملتها ضدنا.

الخلاصة

في نقاط محددة نورد فيما يأتي ماخلصنا إليه بشأن صورة العرب في الصحافة الغربية بغرض تحديد الأساليب الإعلامية المتبعة ضدنا كأمة عربية إسلامية، وكشعوب ودول منفردة.. وحتى كأشخاص؛ ليكون التخطيط للرد على هذه الافتراءات، وضد هذه الأكاذيب على نفس الدرجة، وبما يلائم حجم وأسلوب الحملة، من صحافة دولة إلى أخرى، فليس المهم هو قطع أو طمس، أو منع هذه المواد الصحفية من التداول داخل الوطن العربي.. بل المهم هو التصدي لهذه الحملات خارجياً بما يناسبها وبنفس لغتها.

وقبل البدء في ذلك لابد من القول بأن القاسم المشترك بين صحافة

(*) الإعلام الغربي والعرب، منشورات وزارة الإعلام والثقافة بدولة الإمارات العربية المتحدة.

الدول الأربع في إساءتها إلينا هو :

* تناول الشؤون الشخصية العربية بالسخرية .

* التهكم على أساليب الحكم العربية وعلى تسيير الأمور الداخلية .

* التركيز على المملكة العربية السعودية ؛ كنموذج للدول العربية والإسلامية .

وحول هذه النقاط تدور معظم الكتابات الصحفية في الدول الأربع بينما نجد كمثال أن :

* النيل من الإسلام كتاريخ ، وكمد ثوري معاصر ، تركز عليه الصحافة الألمانية والإنجليزية على وجه الخصوص بشكل بالغ التعصب ، بينما لانجد له أهمية كبيرة فيما تنشره صحف فرنسا وأمريكا .

كذلك نجد أن :

* تمجيد إسرائيل وإحقاق اليهود في الأرض العربية .. هو قاسم مشترك بين الصحف الألمانية والأمريكية ، وذلك يتناسب والتأييد الأمريكي لإسرائيل ، بينما يتناقض وكراهية الألمان التاريخية لهم .. وإن كان من الممكن اعتباره رد فعل لعقدة الشعور بالذنب التي يشعر بها الألمان حيال اليهود ، نتيجة لما مارسوه ضدهم من تعصب بشع واضطهاد شديد .. ذلك في حين أن الصحف الفرنسية تهتم فقط بتتبع أخبار الصراع العربي الإسرائيلي .. ويأتي ذلك بكثير من الموضوعية تناسباً مع الخط السياسي الفرنسي السائد للتقرب من العرب ـ خاصة عرب النفط ـ وإقامة علاقات اقتصادية وثقافية معهم ، والحصول على البترول في مقابل الاعتراف بالحق الشرعي للفلسطينيين ، وتخفيف حدة التحيز ضد العرب في قضيتهم الأساسية . كما نجد أن الصحافة الإنجليزية لاتهتم كثيراً بهذا الأمر بحيث تظهر تحيزاً واضحاً لليهود .. رغم أن بريطانيا هي أساساً التي منحت اليهود حق إنشاء وطن لهم في فلسطين ، وإنما نجد تكريساً لهذا الحق في الصحافة الإنجليزية في المجلات

المتخصصة، ودوائر المعارف وما تنشره من دوريات.

أما عن النقاط المشتركة بين الصحف الغربية جميعاً فنورد فيما يلي الأساليب المتبعة في تأكيد كل منها، والتي تعكس اهتمام الغرب بتشويه الصورة العربية.. والاهتمام برصد كل مامن شأنه تكريس هذه الصورة من شؤون عامة وخاصة، ومحاولة الربط بين كل منها في المقالات والتحقيقات، التي تجرى عن البلاد العربية، والتغطيات الإعلامية لأحداث المنطقة، وفي التتبع الإخباري الذي يعمد إلى تلوين الأخبار بما يخدم الهدف الأساسي، وهو تشويه الصورة العربية في ذهن المواطنين الغربيين في أوربا وأمريكا.

ومن هذه الأساليب:

- التهكم على أساليب الحكم العربية المتسمة بالقبلية.
- التركيز على المسائل الشخصية التي تمس القيادات العربية.
- الترويج لبعض الفضائح الخلقية المتصلة بالنساء العربيات (السرقة والانحراف).
- نشر الأخبار التي تعكس الإسراف العربي، والبذخ الجنوني.
- تدعيم الأخبار الشخصية بصور، واستخدام فن الكاريكاتير، كأسلوب تشهير أكثر تأثيراً.
- نشر العديد من الأخبار السياسية والعسكرية العربية في توقيت لا يخدمها إعلامياً.. بل قد يسيء إليها.
- التركيز على تصريحات المسؤولين العرب بشأن النفط وأسعاره، وبشأن القضايا العربية، مع اختيار عبارات مبهمة أو مبتورة من التصريحات؛ لتكون عناوين جذابة.
- نشر ما من شأنه أن يثير العرب داخلياً على قيادتهم؛ بسبب سوء توزيع الثروة.
- التركيز على الخلافات العربية وتضخيمها، وإثارة الحساسيات بين

الأشقاء بتأصيل هذه الخلافات تاريخياً.

ـ المزج بين الماضي والحاضر والواقع، والمبالغة في كل ما يكتب عن العرب؛ بحيث تدس المفاهيم الخاطئة وسط الحقائق.

ـ محاولة تشويه التاريخ العربي فيما يكتب كخلفيات للموضوعات الآنية.

ـ تعمّد التركيز على المساوئ، وذكر السلبيات، وإغفال كل وجه إيجابي.

أما عن النيل من الإسلام كجانب هام أيضاً يتخذ منفذاً للإساءة إلى العرب، فتدور الإساءة من خلاله حول عدة نقاط هي:

* التشكيك في الإسلام كرسالة سماوية.

* الإساءة إلى نبي الإسلام (ﷺ).

* التهكم على العبادات وأساليب العقاب الإسلامية، وحقوق المسلم (كتعدد الزوجات).

* تصوير الإسلام على أنه سبب تخلف العرب حالياً، وأنه بداية تاريخهم.

* التخويف من المد الثوري الإسلامي.

* تصوير الإسلام كدين خاوٍ من أي مضمون، والمسلمين كقوم شعارات، أبعد مايكونوا عن تنفيذ تعاليم دينهم.

وتأتي في النهاية الصورة التي نجحت الصحافة الغربية بالتعاون مع الإعلام الغربي عامة في رسمها للإنسان العربي على أنه إنسان:

متخلف، مخادع، إرهابي، يهتم بملذاته إلى حد الإسراف، مسرف إلى حد الجنون، عاشق للمال والمقامرة به، أفاك لايؤتمن، يُغلّب المصالح الشخصية على المصالح العامة، لص مبتز، جبان متخاذل، جنسي نهم، مولع بالنساء، وساذج إلى حد البلاهة.

أما عن المحور المقابل لكل ماسبق وهو تمجيد إسرائيل، وإحقاقها في

الأرض العربية، فذلك مالا نجد داعيًا لتفنيده؛ لأنه ضد لكل ماسبق.. ومحاولة لتمجيد قوم في مقابل الحط من قوم آخرين.

وعوضاً عما سيأتي بيانه تفصيلاً في الباب الثاني نشير هنا فقط إلى إمكانات التصدي للحملات الإعلامية الموجهة ضد العرب؛ من خلال ترشيد السلوك العربي في الخارج - كواجهة للعرب - لأنه يقع تحت سمع وبصر الصحفيين الغربيين، كتصرفات فردية، وكتصريحات رسمية، وبعدها نقول إنه يمكننا تغيير الصورة العربية المعكوسة في الذهن الغربي؛ من خلال إعلام خارجي قوي ومدروس، مدعم بتصرفات رشيدة تؤكده.

الشؤون العربية في صحافة الدول الصديقة

إذا كانت الشكوى مُرة من الإساءات المتكررة للعرب، وتناول الشؤون العربية بإغراض في الصحف الغربية، إن لم نقل في كل وسائل الإعلام الغربية - فإن الشكوى تكون أكثر مرارة من إساءة تلحق بنا في صحف ووسائل إعلام بعض الدول المجاورة والصديقة، والتي يحظى مواطنوها بحسن الضيافة العربية كوافدين إلى المنطقة العربية.. ناهيك عن الإساءة للعرب في الصحف العربية نفسها كحملات متبادلة.. وفي الصحف العربية المهاجرة.

لذا فقد رأيت لزاماً عليَّ أن أتناول الأساليب التي تناقش بها شؤوننا العربية في صحافة دولتين صديقتين هما: «إيران» و«الهند»، والصورة التي تعكسها هذه الصحف عن العرب عامة، وعن عرب الخليج خاصة.. والتي تتميز أحياناً بنظرة غير موضوعية على الإطلاق.. تضع اعتبارات مصالح رعاياها فوق المصالح المحلية والإقليمية لدول الخليج.

وفي هذا المبحث مناقشة لما كان متوقعاً من هذه الصحف، وماهو واقع فعلاً من تناول سيئ للأمور العربية.. مع تركيز على السمات

العامة لكتابات هذه الصحف، سواء الصادرة باللغة الأوردية، أو الإنجليزية،.أو الفارسية، أو العربية.

استكمالاً لما بدأناه من حديث عن الصحافة العالمية، التي تسيء إلى العرب وتشوه صورتهم.. نناقش صحافة دولتين من المفترض أنهما من الدول الصديقة، التي تربطها بالعرب صلات جوار، ومصالح متبادلة، ولهما رعايا كثر في البلاد العربية، خاصة في دول الخليج.. وكان من المفروض أو المتوقع أن يكون لصحافة هاتين الدولتين موقف مؤيد للعرب سياسياً، ومتفهم للأوضاع الداخلية العربية اجتماعياً.. ولكن على خلاف ماهو متوقع نجد أن صحافة بعض الدول الصديقة تسيء إلى العرب على غرار الصحف الغربية وأشد، دون مراعاة لعلاقات الصداقة والجوار.. ودون أدنى حد من الموضوعية.. وذلك يضاعف من العبء الملقى على عاتق ومسؤولية الإعلام العربي الخارجي، الذي يتطلب والحال هكذا إعطاء الكثير من الاهتمام لتوعية الرأي العام ووسائل الإعلام في الدول الصديقة أسوة بالدول المعروفة بمعاداة العرب؛ لتحسين صورتنا لديهم.

وإذا كان الغرب يسيء إلينا أحياناً عن عمد متجاهلاً الحقائق، فإن إساءته أحياناً تأتي عن جهل بحقائق الأمور.. لكن الدول المجاورة والصديقة إساءتها دائماً من منطلق التعمد، مع علمها بالحقيقة، ومحاولة تجاهلها خدمة لمصالحها أو مطامعها في الدول العربية.

هذا وسنتناول في هذا المبحث صحافة: الهند وإيران كنموذج، سواء منها المكتوبة بالأوردية أو أي من اللهجات الهندية المتعددة[1]، كذلك المكتوبة بالإنجليزية، والصحف الإيرانية باللغتين الفارسية والعربية.

وتتمثل صحافة هاتين الدولتين في الصحف والمجلات التي تتضمن

---

(1) المرجع في هذا الموضوع أرشيف الممنوعات في إدارة الرقابة بوزارة الإعلام - بدولة الإمارات العربية المتحدة.

موضوعات موجهة إلى الجماهير العربية، كالصحف الإيرانية الصادرة باللغة العربية.. كذلك الصحف الهندية التي تعج بالموضوعات المتعلقة بالشؤون العربية، وأحوال العاملين في منطقة الخليج، وخطورة مثل هذه الصحف في إمكانية تداولها بين جمهور غير الموجهة إليه، حيث يصدر بعضها بالعربية أو بالإنجليزية، التي يجيدها الكثير.. فالصحف والمجلات الهندية الصادرة بالإنجليزية كثيرة العدد[1] إلى جانب المجلات الأوردية والمليبارية والفجراتية.

أما الصحف والمجلات الإيرانية فتتمثل في مجلات: «صوت الأمة» و«الشهيد» و«الجهاد» التي تصدر جميعها باللغة العربية، ومجلة «إطلاعات هفتكي» الصادرة باللغة الفارسية.

هذا ونجد أن معظم الصحف الهندية تصدر باللغة الإنجليزية ممايحقق لها انتشاراً أوسع ويروج لما تنشره.. كما أن الصحف الإيرانية تصدر في غالبيتها باللغة العربية، مما يوضح النية من إصدارها، ألا وهي أن تكون موجهة إلى العرب؛ بغرض التأثير في اتجاهات الرأي العام العربي، فيسهل عن طريقها تصدير الثورة، والترويج لأفكارها وتأليه زعمائها.

هذا ونجدها معادية للعرب بشكل سافر.. حتى قبل نشوب الحرب العراقية الإيرانية، ومناصرة العرب للعراق آنذاك... وقبل أن تحتل إيران الجزر الإماراتية الثلاث: طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبوموسى، وقبل سفور الوجه الكريه للأطماع الإيرانية في البحرين أو الإمارات،

---

(١) كنموذج للمجلات الهندية الصادرة بالإنجليزية، مجلات:
المجلة الشهرية "Goy Today"ومجلة «كارفان"onlooker النصف شهرية، ومجلة "India Today" النصف شهرية، و"Time of India" اليومية، ومجلة "Sunday" الأسبوعية، ومجلة"Bombay" الأسبوعية، والمجلة الشبابية الشهرية "Youth Times" وجريدة "Indian Express" والمجلة الأسبوعية "The IIlus-traed Weekly of India" ومجلة "Film Fair" النصف شهرية، والمجلة النصف شهرية المسماة "This Fort Night" ومجلة "Imprint" الشهرية.

وتآمرها على مصر بتدريب وتصدير الإرهابيين إليها.

أما عن الموضوعات التي تتطرق لها صحافة الدول الصديقة، فنجدها تختلف باختلاف اهتمامات كل دولة، فالصحافة الهندية تركز على النواحي الاجتماعية والشخصية، والأمور المتصلة بمصالح وأوضاع رعاياها في الدول العربية، وتتناول هذه الأمور بغير موضوعية وفق مصالحها، ودون اعتبار لمصالح هذه الدول.. في حين أن الصحافة الإيرانية تهمها الشؤون السياسية والحركات المناوئة للحكام؛ وذلك من منطلق اهتمامها بتصدير الثورة إلى منطقة الخليج، وتأليب الشعوب على حكامهم.

وبصفه عامة يمكن أن نقول إن الموضوعات التي تتناولها الصحافة الهندية هي:

- الشؤون المحلية ذات الصلة بالعمالة والهجرة.
- التهكم على المشروعات الاقتصادية الكبرى.
- رصد آثار الركود الاقتصادي.
- التندر بالثراء الفاحش وإبراز المفارقات الاجتماعية.

ونادراً مانجد أن الصحافة الهندية لها موقف سياسي معاد للعرب، اللهم إلا النادر القليل، الذي يأتي في إطار أحاديث وموضوعات صحفية عن بعض الشخصيات.

أما عن الصحف الإيرانية فإن جل اهتمامها هو الشؤون السياسية والدينية المنطلقة عن هدف واحد هو تصدير الثورة.

ويمكن حصر الموضوعات التي تتطرق لها في:

* الشؤون الإسلامية والمذهبية.
* الإساءة إلى الزعماء العرب والحض على الثورة عليهم.
* الرصد الخبري لآثار الثورة الإيرانية على دول الخليج.
* تتبع الحركات الثورية أو المناوئة لنظم الحكم.. وتأييد نشاطها.

هذا وتركز الصحف الإيرانية على السعودية والعراق بالذات في إساءتها للزعماء العرب.. وفي رميهم بالإلحاد وبالطائفية، وبالعمالة للاستعمار، والسماح بإقامة قواعد عسكرية على أراضيهم.. ثم يلي ذلك الحكام الخليجيون الآخرون.. حيث تهتم الصحافة الإيرانية برصد أخبار التظاهرات.. والحركات المعادية لنظم الحكم.. ناهيك عما تكتبه عن السياسة المصرية وتصديها للجماعات الإسلامية التي تمارس العنف والإرهاب.

الصحف الهندية

إن الإساءة للعرب التي تمثلت في موقف شبه معاد لايتلاءم وطبيعة العلاقات التي تربط الهند بالعرب، وبمنطقة الخليج على وجه الخصوص، هذه الإساءة التي اتخذت طابع الحملة المكثفة في العديد من المجلات على اختلاف طبيعتها، من مجلات فنية وشبابية وصحف يومية، قد واكبت هذه الحملة القرارات التي صدرت في معظم دول الخليج، وخاصة في دولة الإمارات بشأن تنظيم العمالة، والحد من الهجرة.. ويمكن القول بأنها قد جاءت كرد فعل على هذه القرارات والإجراءات.. وليس صحيحاً إلى حد كبير القول بأن ما تنشره الصحف الهندية هو نتيجة لأنها صحافة غير رسمية.. ذلك أن هذا القول مردود عليه بأن كم الإساءة قد تزايد بعد هذه القرارات بشكل ملحوظ.. رغم تمتع الصحافة الهندية بالحرية منذ أمد، لم تكن فيه تسيء إلى العرب بهذا القدر.. كما أن بعض الصحف الرسمية قد شاركت في الحملة على العرب، وكمثال المجلة الشهرية "Goy Today" الصادرة عن وزارة الإعلام الهندية،هذا وقد عمدت الصحف الهندية إلى النقل عن الصحف الغربية المعروفة بمعاداتها للعرب، خاصة الصحف البريطانية، دون مراعاة لعلاقات الصداقة.. رغم أن ماتنشره لايدخل

في إطار السبق.. بل هو مادة منقولة منتقاة بهدف الإساءة إلى العرب.

وعلى سبيل المثال لما تتناوله الصحف الهندية فيما يختص بالشؤون الداخلية في دولة الإمارات العربية ماكتبته مجلة "Sunday"تحت عنوان «دبي ـ كابوس الباحثين عن الثروة» وجاء فيه سرد تفصيلي لأحوال اثنين وسبعين من عمال البناء الهنود، كانوا يحلمون بالثراء السريع في طريقهم إلى دبي، بعد التعاقد على رواتب شهرية مجزية، وبدلات سكن، مقابل ثماني ساعات عمل يومياً، ثم فوجئوا بحلمهم يتبدد.. إذ تقول المجلة:

«كان العمل يبدأ في الخامسة صباحاً وغالباً ماكان يستمر حتى الحادية عشرة ليلاً، وكان على العامل أن يستمر بلا توقف، والامتناع عن ذلك، كان يقابل بالضرب المبرح، من قبل المقاولين الباكستانيين، الذين كانوا يستعملون القضبان الحديدية، وزوايا الرفوف وكل ماتقع عليه أيديهم في عقاب المستخدمين. وأحياناً كان يصب على أجسادهم الماء الساخن»[1].

ويستمر المقال في وصف مالاقاه العمال الهاربون من عنف، رغم تدخل الشرطة.. ولايخفى مافي ذلك من مبالغة وتصوير مشوه لأحوال العمالة في دولة عربية، وكيفية معاملتهم، وعجز الشرطة عن حمايتهم!!

هذا وقد تناولت مجلة «كارفان» موضوع العمال الهنود في الإمارات، في مقال بعنوان «الأوضاع غير المتساوية» وردت فيه مغالطات ومبالغات لاحد لها.. وبشكل يتضح منه مدى نقمة الصحافة الهندية على قوانين العمل في الإمارات، وفي هذا الصدد تصم هذه الصحف الإمارات بوصمة العنصرية والتمييز، وقد جاء في هذا المقال نصاً:

«إن مايغضب العمال الهنود الوافدين هو الأوضاع غير المتساوية في

---

(1) Sunday الهندية في ١٠/٨/١٩٨٠، ص ٣٤.

قوانين العمل بدولة الإمارات العربية المتحدة، بالنسبة للهنود وبالنسبة لمعظم العمال الوافدين من جنوب آسيا، بما في ذلك الباكستانيين، في حين أن الوافدين بطرق غير مشروعة من ذوي البشرة البيضاء مثل المصريين والسوريين والفلسطينيين يسمح لهم بالبقاء في البلاد والاستمرار في أعمالهم، في حين يجمعون ويرحلون بالقوة الوافدين الآخرين، إلا بالطبع إذا كانوا قادمين على أساس الرشوة» . (١)

ويتناول هذا المقال أحوال العمال الهنود القادمين بطرق مشروعة إلى الإمارات ـ وبالذات إلى دبي ـ بكثير من المبالغة والإساءة، فيفند الأعباء والمشاكل التي تصادفهم، وفي مقدمتها كذب الوعود التي وعدوا بها، بالنسبة للمرتبات والبدلات، فيفاجأون بعدم وجود بدلات سفر أو سكن، وبنقص المرتب الموعودين به، ويرد في المقال أيضاً مقارنة إذ يقول إنه في مقابل «تسع ساعات عمل متواصل بدون راحة ودون أجور إضافية»... وبتقييد الحرية بإيداع جوازات السفر لدى صاحب العمل ليتحكم في عملية التسفير فوراً، إذا اشتكى العامل أو احتج.. ذلك بالإضافة إلى السكن في «كوخ خشبي أو سقيفة جمل مهجورة وبدون وسيلة تهوية أو تسهيلات مرحاضية أو وسائل صحية» ذلك بالإضافة إلى حرمانه من أي نشاط ثقافي، أو ضيافة، ويصف العامل الهندي في الإمارات بأنه «معزول منبوذ بالرغم من وصايا القرآن». (٢)

هذا وقد تناولت مجلة "Probe India" أحوال العمال الهنود في الإمارات بالمقارنة بأحوالهم في الكويت فوصمت الإمارات بممارسة التمييز في المعاملة بين الهنود وغيرهم.. وأنهم يقعون تحت طائلة الابتزاز من الوكلاء في الهند، ومن أصحاب العمل في الإمارات.. وقد جاء المقال بعنوان «من الأعماق... تزايد الخداع لابتزاز العمال في الخليج. فمال

---

(١) كارفان، في ٢٥ / ٦ / ١٩٨٠، ص ١٥ .

(٢) نفس المرجع السابق.

للحصول على وظائف ووظائف من أجل المال...»[1]، ويتتبع هذا المقال أوضاع الهنود في العالم من أمد، وكرامتهم المرعية، ووجههم المشرق في كل مكان، فيما عدا وجودهم في الخليج، الذي لا يمارسون فيه سوى أعمال الخدمة والبستنة والسياقة وغسيل الملابس والسيارات.

وتنتهز المجلة الفرصة لإيراد تهكم ساخر من الدول العربية، فتقول:

«إن الخليج الذي طالما عرف بأنه الخليج الفارسي أصبح يعرف الآن بالخليج العربي ـ كما يهتم العرب بتسميته لما اكتسبوه مؤخراً من ثروات وبترول. إن العرب يركبون الموجة المواتية، ولن يدهشنا لوأنهم طلبوا تسمية المحيط الهندي بالمحيط العربي»[2].

ولابد من ملاحظة أن المجلات الهندية لم تأخذ هذا الموقف من العرب، وعرب الخليج بالذات، إلامؤخراً، حينما بدأت دول الخليج في عمليات تنظيم وتقنين الهجرة إليها.. فعمدت الصحف الهندية إلى التركيز على السلبيات والانتقادات لمجتمع الخليج، والسخرية والتهكم عليه.. ومن النماذج على ذلك أيضاً مانشرته المجلة المسماة "Bombay" ساخرة من العرب وأسلوب حياتهم، خاصة عرب النفط.. إذ خصصت عدة صفحات لصور ورسوم للعرب بلباسهم التقليدي الهدف منها السخرية ومصحوباً بهذه الصور والرسوم إساءات بالغة لهم جاء فيها:

«أين تجد العرب؟.. بإمكانك أن تجدهم في تجمعات فندق أوبروي، ولوبي الرؤساء والتجمعات العالمية الأخرى...!».

«إن العرب ياتون إلى بومبي للبحر والخدم والتدخين ولمحلات الخمر والأغاني»[3].

وتستمرئ هذه المجلة الأسلوب الساخر فتورد تعليقاً على صورة

---

(١) Probe India في ١٠/٦/١٩٨٠.

(٢) "Probe India"، في ١٠/٦/١٩٨٠.

(٣) "Bombay" ٢٢/٥/١٩٨٠، ص ٩ - ٢٣.

لأجنبي يشم رائحة إنسان عربي ويقول:

«ماهي رائحة العربي؟... عطر ونفط من جوفان»[1]:

وتعليقاً على صورة أخرى لأجنبي يحاول أن يرفع الحجاب عن وجه امرأة عربية مع زوجها.. يقول:

«إذا أردت أن لا تسيء إلى العرب فلا تقدم لهم لحم الخنزير ولاتلمس وجه زوجاتهم»[2]

وفي صفحة أخرى تورد المجلة رسماً كاريكاتيرياً يصور عربياً وسط نساء عاريات على حوض للسباحة وإحداهن تقول:

«لقد دخل هنا لشيء طاهر ونقي مثل النفط تماماً»[3].

وتتهكم مجلة أخرى باسم"Gulf Malayalee"على العرب؛ بنشر كاريكاتير على غلافها[4] يسيء إلى العرب، باتهامهم باستعباد البشر، ويمثل عربي يركب إنسان كجمل ويقوده بالسيف. كذلك نجد مجلة أخرى فنية ورد بها في باب بريد القراء، أو ما أسمته المجلة «صندوق الأسئلة» "Question Box"خطاب يقول:

«أطلب من الحياة أن أختار الثلاث، وأحب الاثنين وأتزوج واحدة ـ كعربي يتزوج بالثلاث ويختار الاثنين ويحب واحدة»[5].

وعوضاً عن التهكم والسخرية والكاريكاتير.. تعمد الصحف الهندية إلى استخدام الألفاظ الموحية ضمن إيرادها لأي سرد خبري أو تعليق.

وكنموذج لذلك ماورد في جريدة "Indian Express"حول قرار دولة الإمارات بمنع الزواج من أجنبيات الذي أوصى به المجلس الوطني هناك، وجاء فيه:

«هناك عدد من الفتيات الهنديات خصوصاً من حيدر آباد وبومبي

---

(١)، (٢) نفس المصدر السابق.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) في عدد يونيو ١٩٨٠.

(٥) Film fare في ١ - ١٥ / ٩ / ١٩٨٠، ص ٢٣.

ومدينة كيرلا، هن ضحايا لمثل هذا الزواج»[1].

وحول موضوع أحوال الهنود في الإمارات، كتبت مجلة "India Today" مقالاً تحت عنوان «الهنود في الخليج، وملاحقة السراب» يستشهد بمثالين من الإمارات في دبي وأبوظبي. فيستعرض التباين الكبير بين حياة الناس في دبي في البنايات العالية.. وحياة الهنود:

«الذين يعيشون في الشوارع وفي ممرات الأبنية، وفي الحظائر المخصصة لإيواء الجمال» [2].

ويورد هذا المقال حادثتين توضحان مدى التلاعب بمصائر الهنود بوعود كاذبة، يضطرون أمامها إما للرضوخ للأمر الواقع، أو العودة خائبين إلى بلادهم، أو مقاضاة أصحاب الأعمال الذين يعمدون إلى عدم الحضور للمحكمة.. مما يضطرهم في النهاية إلى التحول إلى منظفي سيارات في الطرقات بدلاً من العودة، وفي إطار هذا الحديث تقول المجلة:

«والشيء الأكيد في الخليج أن ذروة الازدهار والعمار قد ولت من ناحية، ومن ناحية أخرى نجد أن الثورة الإيرانية قد جعلت حكام هذه المنطقة يرتجفون، حتى أن هذه الدول تفكر حالياً وجدياً في تعريب الوظائف، والتخلص نهائياً من العمال الأجانب، هذا في الوقت الذي يعمل فيه العمال السيريلانكيون والكوريون والفليبينيون وفقاً لشروط غير متوفرة للهنود والباكستانيين بحال من الأحوال.....».

«ومن المعروف أن الإمارات تعرضت خلال عامي ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ لفترة من الركود الاقتصادي أدت إلى توقف المشاريع وإفلاس بعض البنوك.. وعلى سبيل المثال تم بناء مركز دبي التجاري بكلفة ٢٠٠ مليون دولار، ثم أصبح خالياً، ولاحياة فيه، نظراً لحال الانكماش الاقتصادي الذي عانته الإمارات.

---

(١) Indian Express في ١٧ / ٣ / ١٩٨٠، ص ١.

(٢) India Today، في ١٥ / ٤ / ١٩٨٠، ص ٣٤.

وساد الأوساط الحاكمة تفكير في عدم بناء المزيد من المستشفيات والمدارس؛ نظراً لأن معظم سكان الإمارات (٧٥٪) من الأجانب»[١].

وهكذا تستغل الصحف الهندية الفرصة لتقييم الأوضاع الاقتصادية والسياسية داخل الإمارات في إطار تقييم أوضاع الهنود في الخليج، وتلحق ذلك بنشر صور تحمل شيئاً من الإساءة للعرب.

واستكمالاً للصورة نشرت صحيفة «انقلاب» اليومية الأوردية خبراً يعكس جانباً آخر من مشاكل الهنود مع العرب، يحمل كثيراً من المبالغة، وذلك تحت عنوان «في الدول العربية تتعرض الهنديات لمعاملة سيئة» وجاء فيه مايتضمن تشهيراً بالعرب، ليس في بلادهم فقط ولكن كسياح في الهند بكثير من التشويه خاصة في معاملتهم للهنديات، إذ قالت الصحيفة:

«إن الفتيات العائدات من الشرق الأوسط تتلخص قصتهن في أنهن يتعرضن للجلد والتعذيب، وأنه يقام عليهن مزاد بيع وشراء.. ويعاملن معاملة سيئة كأنهن شيء قذر جلب من الهند»[٢].

وغير خفي الخلط بين الصور العربية. .فالحديث عن عرب الخليج بالذات، ومع ذلك فالعنوان يقول الدول العربية، دون تفريق.. وصلب الخبر يقول الشرق الأوسط دون تفريق أيضاً، وهو تعميم مخل يعتبر من سمات الصور الذهنية السائدة.

هذا ويستمر هذا المقال في سرد أحوال العرب السياح فيحكي عن عملية احتيال قامت بها فتاة هندية مع زائر عربي، إذ وعدته بالزواج وخدعته، وحصلت منه على مبلغ كبير ثم هربت منه واختفت عنه، وأمثال هذه الحوادث كثيرة؛ لذلك قرر بوليس مدينة حيدر آباد مراقبة الشيوخ في تنقلاتهم، كما أشار الخبر نقلاً عن مصادر البوليس إلى أن:

---

(١) India Today ، نفس المصدر السابق.

(٢) انقلاب، في ١٧ / ٩ / ١٩٨٠، ص ٢ .

«أكثر من ثلاثة آلاف فتاة هندية من بين فتيات مدينة حيدر آباد قد وصلن إلى الشرق الأوسط على أنهن زوجات للعرب.. ولكن انقطعت الأخبار عن أحوالهن، فحتى الآباء لايعرفون عن مصيرهن شيئاً»[1].

وغني عن البيان هنا، وفيما يلي من نماذج، تأثر الصحف الهندية بالنظرة الغربية للعرب، خاصة النظرة البريطانية، والصورة التي ترسمها صحف بريطانيا للعرب عامة، ولعرب الخليج خاصة.

هذا وتعمد الصحف الهندية إلى الخوض في الشؤون الشخصية للعرب وسلوكهم وأسلوب حياتهم، بكثير من النقد الساخر، الذي يوضح مدى إسرافهم، ويصورهم في أسوأ صورة، سكيرين، مولعين بالنساء، مبذرين... إلى آخر هذه الصفات التي دأبت الصحف الغربية على لصقها بالعرب.. والتي علت رنتها في الصحف الهندية؛ كرد فعل لإجراءات من حق أية دولة أن تتخذها تنظيماً لشؤونها الداخلية، خاصة إذا شعرت أن الزمام قد أفلت منها أو كاد بسبب المتسللين إليها من الوافدين الآسيويين.. رغم أن هذه الإجراءات التي بدأت مع بداية الثمانينيات لم تؤت ثمارها إلا عام ١٩٩٦ إذ نجحت الإمارات في تسفير أكثر من مليون آسيوي دخلوها بطرق غير شرعية.

وقد عمدت الصحف الهندية كذلك إلى التركيز على الشخصية السعودية بالذات، كنموذج للإنسان العربي المسلم، وذلك أيضاً منهاج الصحف الغربية المعادية للعرب، وكنموذج لما تنشره صحف الهند في نقد تصرفات شخصية، مانشرته مجلة «جترلكا» متناولة تاريخ السعودية، وتمكن الملك بن سعود من بسط نفوذه عليها، ثم تخوض في الحديث عن ترف الأمراء السعوديين، إذ تشير إلى حفل أقيم في إسبانيا، وأنفق عليه الملايين، كما تشير إلى أن أحد الأمراء قد أهدى سيارته الجديدة المرسيدس إلى سائقه.. وتقول المجلة: «إنه يحيي الليالي الحمراء

---

(١) المصدر السابق، نفس المكان.

ويبدد فيها أمواله»[1].

وقد كان موضوع عرض فيلم «موت أميرة» فرصة للمجلات الهندية، لتنشر رأيها في التقاليد العربية، وفي الأسرة الحاكمة السعودية، بشيء من التجني، عن جهل بحقائق الأمور، إذ كتبت مجلة "Goy Today" الصادرة عن قسم الاستعلامات في الحكومة الهندية، تحت عنوان «صخب في بيت آل سعود»، جاء فيه حديث عن ثروات البترول، وأحكام القرآن، والشرائع، بشكل جانبه الصواب.. كما استخلصت المجلة في النهاية أن التقدم والثروة سيغيران هذا الواقع السعودي تغييراً جذرياً، وأن المرأة السعودية لابد ستتحرر من القيود المفروضة عليها.

كما قالت المجلة بأن «خروج فتاة مع من تحب دون مباركة وموافقة الأهل يعرضها للقتل في بلدان العالم العربي»[2] وغير خفي ما في ذلك من مبالغة، فالأمر ليس بهذه العمومية في بلدان العالم العربي، فحرية المرأة في الحب والاختيار والخروج مع من تحب ليس عقابه القتل ولاحتى في السعودية، التي عممت المجلة نموذجها على كل العرب.. هذا وقد خاضت المجلة في موضوع أحداث الحرم المكي، وربطت ذلك بسخط الناس على عقلية الأمراء فقالت:

«إن الحكام السعوديين مرهفو الحس جداً تجاه النقد الذي يوجه إلى عقليتهم الدينية وحياة الأمراء سواء من الداخل أو من الخارج.....».
«ولكن الحياة بدأت تتغير ببطء وقطار التقدم لايمكن إيقافة بسهولة، ولذلك سيأتي وقت ستكون المطالبة بالتغيير الجذري حتمية.....».

«ونظراً لقلق السعوديين من تطور مجتمعهم الهائل فإن التقاليد المفروضة على المرأة سوف تنفرج يوماً»[3].

---

(١) جترلكا، في ٢٩ يوليو ١٩٨٠، ص ٢٤ .
(٢)، (٣) Goy Today، مايو ١٩٨٠، ص ٢٠ ـ ٢١ .

وقد تناولت موضوع موت أميرة مجلة "Society" واستغلته كفرصة للخوض في شؤون السعودية الاجتماعية والسياسية، كما نشرت صوراً من الفيلم، وأشارت إلى أن قصته واقعية، وراح كاتب المقال يتساءل: لماذا لم يتحرك العرب لإنقاذ الأميرة التي كان كل ذنبها أنها أحبت رجلاً عادياً من غير البيت السعودي؟.. كما يعلق على موقف السعودية المتصلب الذي دعم الفيلم.. رغم أنه من أفلام الدرجة الثالثة فنياً.

ويسخر الكاتب من موقف السعودية التي حاولت ـ كما قال ـ طمس أي أثر للفيلم بكل الوسائل «بالمذكرات، والعلاقات الطيبة، والمال، والتهديدات بقطع البترول»[1].

ولعل أبلغ الإساءات هي المعتمدة على الكذب المتعمد، والمبالغة، ومن الأمثلة عليها مقال بعنوان «الشيوخ والرقيق» نشرته مجلة "On-looker" تهاجم فيه دول الخليج والسعودية، وتدعي بأن وجود الحريم والجواري أمر ما يزال موجوداً في هذه الدول وأن:

«سوق الرقيق الأبيض نشيطة هذه الأيام.. إذ يجلب معظمه من الدول النامية كالهند وباكستان والسودان، ويقوم السماسرة العرب بجلبهن إلى هذه الدول دون جواز أو وثيقة رسمية..وهناك طرق مختلفة لممارسة هذه التجارة كالرحلات الثقافية، التي تتستر وراءها هذه التجارة، وكالرحلات المقدسة للحج والعمرة، التي تكمن وراءها هذه الغاية أيضاً، كما فعل تاجر هندي باع أربعاً من زوجاته اللاتي كن معه في سفره للحج ـ لصديقه العربي الثري، وأطلق سراحهن بالطلاق لصالحه...».

«ولهذا جذور تاريخية، فالملك بن سعود قد تزوج على الأقل ١٣٥ مرة، وإن لم تكن على ذمته أكثر من أربع زوجات في وقت واحد؛ وهو لذلك كان يطلق امرأة كلما كان ينوي الزواج من جديدة، وقد سار ابنه

---

(١) Society، يوليو ١٩٨٠، ص ٤٨ ـ ٤٩.

سعود على طريقته فتزوج كثيراً.. ولكن لم يترك المستندات التي تشير إلى عدد زوجاته، أو عدد جواريه. ونظام الرقيق لاينحصر فقط في الفتيات بل يكثر الطلب على الرجال كرقيق، حتى أن رئيساً إفريقياً ذهب إلى السعودية وكان كلما احتاج إلى نقود يبيع أحداً من رقيقه، الذين كانوا يرافقونه في السفر»[1].

ويسيء هذا المقال إلى الإسلام بالقول بأن هروب العبد من سيده في الإسلام يعتبر من الجرائم التي يعاقب عليها بالقتل؛ ولذلك فقد «أمر الملك سعود بقتل ١٢ عبداً قد فروا من الرياض»[2] ويؤكد الكاتب أن تجارة الرقيق الأبيض نشيطة في دول الخليج ولكن باسم آخر هو الخدم والحراس.

هذا وتعمد الصحافة الهندية إلى المقارنة بين حياة الملوك والأمراء وحياة العامة بما يوضح الفرق الشاسع؛ وذلك بالكلمة والصورة كما فعلت مجلة (فلاش) في مقال بعنوان «العالم العربي يفلت من يد أمريكا» وفيه إساءة إلى حكام السعودية الذين وصفهم المقال بأنهم:

«يضيعون ثروتهم في القمار وإحياء الليالي الحمراء والأخذ بأسباب الرفاهية والملذات في وقت يحتاج فيه الشعب إلى لقمة العيش، وإن كان حكام السعودية قد بدأوا يشعرون بالقلق بعدما رأوه من عاقبة شاه إيران»[3].

وقد زود هذا المقال بصور توضح التباين بين حياة الملك السعودي وشعبه الذي يسكن الأكواخ - على حد تعبير المجلة، وعلى نفس المنوال كتبت مجلة "Yowa Darshan" مقالاً تهاجم فيه عرب الخليج في أمر شخصي هو صيد الطيور - الذي اشتهروا به، ويشير إلى مجيء أحد

---

(١) Olooker ١٥ يوليو ١٩٨٠، ص ٤٧.

(٢) فلاش، في ٤ / ٦ / ١٩٨٠، ص ٢٤ - ٢٩.

(٣) المرجع السابق، نفس المكان.

الأمراء لدولة صديقة لصيد طائر الحبارى الممنوع صيده في الهند، فيتهكم على ثروة الأمير وخدمه، وبترول العرب وتبذيرهم المال في الصيد والجري وراء الملذات، ويسخر من اعتقاد عرب الخليج في أن طائر حبارى يقوي الطاقة الجنسية[1].

هذا ويعتبر هذا المقال في تفاصيله إساءة بالغة للعرب، إذ يصف الكاتب مقدار المال الذي أنفق للحصول على إذن من الحكومة الهندية بالصيد. وعلى ما أسماه «أبهة الأمراء»، وحتى عنوان المقال قد جاء ساخراً وهو «الصيد الأميري» كما أبرز الموضوع بالصور على غلاف المجلة.

أما صحيفة «بلتز» الأسبوعية الأوردية فقد نشرت مقالاً عنوانه «ثروة البترول غير المحدودة... ضحية لمجون الأمراء السعوديين» جاء فيه:

«إن الأمراء السعوديين يقومون باختلاس أموال الدولة وتبديد ثرواتها، وقد تعرضت الخزانة السعودية لهزات اقتصادية؛ بسبب هذا الاختلاس؛ والسبب تهريب الأموال إلى الخارج، مخافة يوم يضيق فيه العيش على الأمراء والكبار في السعودية....».

«وهناك قلق في بلاط الحكومة بسبب اختلاس ملايين الدولارات.. لكن الأمراء المتقلبين في ثروة البترول لاتوجد لديهم خطة أو نظام لإنفاق هذه الثروة الغالية في الخدمات العامة....».

«فثروة البترول التي هي نعمة من الله تبدد دون طائل»[2].

ويستمر المقال في سرد أدق تفاصيل موضوع الاختلاس، ورأي البنك الدولي، ويستشهد في ذلك بما كتبته مجلة «الإكونومست» إذ دأبت الصحف الهندية على النقل عن الصحف الغربية كل مايسيء إلى العرب.

وبعيداً عن تناول الشؤون الشخصية والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية العربية بالإساءة في الصحف الهندية، نجدها أيضاً وبتركيز

---

(١) Yowa Darshan في ١٢/٩/١٩٨٠، ص ١٩-٢٣.

(٢) بلتز، في ٧/٦/١٩٨٠، ص ٨-٩.

أقل تخوض في تحليل السياسات العربية الداخلية، خاصة مايتصل منها بالمملكة العربية السعودية والسياسة في الخليج، وتعمد الصحافة الهندية في هذا المجال إلى تبني وجهة النظر الغربية المنشورة في صحافة الغرب.. وليس تقصي الحقائق من داخل البلاد العربية نفسها، واستطلاع الآراء الرسمية والشعبية فيها؛ لذا يأتي كل ما تنشره جملة وتفصيلاً تكراراً لما يُنشر في هذه الصحف.

ذلك كله إلى جانب تبني الصحف الهندية لبعض الآراء المعادية للعرب والمؤيدة للصهيونية - رغم أن الهند كدولة من دول عدم الانحياز يفترض أنها دولة صديقة ومناصرة للحق العربي - وكمثال لذلك ما نشرته مجلة "This Fort Night" تحت عنوان «ابنة دايان في دلهي» وعلى لسان ابنة دايان من أن:

«المستوطنات أمر شرعي.. وكفاح الفلسطينيين إرهاب، وجهود السادات شجاعة وحب للسلام، والجولان أرض غير مردودة إلى سوريا»[1].

وعدا نشر المجلة لدعوة ابنة دايان لإقامة علاقات طيبة بين الهند وإسرائيل.. فإن مجلة أخرى ملبارية تسمى «مليالانادو» قد كتبت عن «زيارة موشي دايان السرية للهند».. وطالبت المجلة حكومة الهند بالاعتراف بإسرائيل، والتعاطف معها، إذ يورد تصويراً عاطفياً لمذابح اليهود الأطفال والنساء، ويصف ذلك بأنه:

«جريمة كفارتها الوحيدة أن نعترف بإسرائيل، اعترافاً كاملاً، فقد عاد اليهود إلى وطنهم بعد جولتهم كلاجئين في جميع بقاع الأرض مدة عشرين قرناً.. وسياسة العرب مع إسرائيل هي (تدمير إسرائيل)؛ ولذلك فشلت جميع المحاولات الإسرائيلية لتسوية الأمور بطرق سلمية.. وهذه الظروف هي التي حملت إسرائيل على خوض المعركة واحتلال سيناء.. ويجب ألا ننسى أن إسرائيل هي الدولة الديمقراطية

---

(١) This Fort Night في ١-١٥ يونو ١٩٨٠، ص١١.

الوحيدة في الشرق الأوسط الوحشي اللاديمقراطي»[1].

ولايخفى ما في مثل هذه الآراء من معاداة للعرب تتناقض وكون الهند دولة صديقة.. ولايبرر نشرها أن الصحافة الهندية حرة وليست موجهة.. ذلك أن مثل هذه الآراء لم يبدأ تكثيفها بهذا الشكل الساخط على العرب، وعلى سلوكهم الاجتماعي والسياسي إلا كرد فعل واضح لما يظن بأنه إساءة للرعايا الهنود في المنطقة العربية.

الصحافة الإيرانية

أما عن الصحافة الإيرانية والمتمثلة في الصحف المكتوبة باللغة العربية، وبعض الصحف التي توجه مادتها للعرب مثل مجلات: الجهاد ـ صوت الأمة ـ الشهيد، وكلها بالعربية، ثم مجلة «إطلاعات» الفارسية، فإن لها موقفاً لايمكن تجاهله؛ لأن له خطره على الرأي العام العربي في منطقة الخليج والجزيرة العربية.. ذلك أن الصحافة الإيرانية سواء منها ذات الطابع الديني أو الطابع السياسي، توجه جل مادتها لهدف محدد هو تصدير الثورة إلى المنطقة العربية باستخدام شتى الأساليب، سواء بتمجيد إيجابيات الثورة وتأليه زعمائها، أو بالإساءة إلى زعماء الخليج، وتفنيد سلبياتهم، وذلك من خلال الخبر والمقال السياسي، أو الديني على حد سواء.

فعلى صعيد الإساءة للقادة العرب كتبت مجلة «الجهاد» قبل قيام الحرب العراقية الإيرانية عدة مقالات تهاجم نظام الحكم العراقي وحزب البعث الحاكم، والرئيس صدام حسين.. مستغلة مناسبة استشهاد «محمد باقر الصدر» وشقيقته في العراق ذريعة للنيل من نظام الحكم العراقي، وتحريض القوات المسلحة العراقية ضباطاً وجنوداً على الثورة على النظام، والتغيير تيمناً بما حدث في إيران.. بل وأكثر من ذلك تستثير هذه

---

(١) الجهاد، العدد٣، مارس ١٩٨٠، ص ٣٩.

المقالات العمال وموظفي الحكومة وتستعديهم ضد حكومتهم.

والملاحظة الظاهرة للعيان أن مثل هذه الأمور تتناول في أكثر من صفحة من المجلة وفي شتى المواد التحريرية، من خبر إلى مقال بل وحتى القصائد[1] ضد العراق، ناهيك عن تكييل الاتهامات «بالانحطاط والعمالة والخيانة» وطمس وجه الإسلام، حتى ولو استدعى الأمر استخدام ألفاظ كالقول:

«المجرمون، الجلادون، المنحطون، الإرهابيون، البرابرة، الظلمة، العلمانيون، أعداء الإسلام، الطائفيون، ذوو الطباع الخبيثة، المهرجون، البغاة...»[2] إلى آخر هذه الألفاظ.

وعدا السب والقذف في حق القادة العراقيين، نجد أن مجلة «الجهاد» بالذات، رغم كونها مجلة دينية المنحى، إلا أنه يمكن اعتبارها جزءاً من الإعلام الموجه إلى الدول العربية، والذي يصدر باللغة العربية، ويهتم بالدرجة الأولى بالشؤون العربية من وجهة نظر الثورة الإيرانية؛ لذلك فهي تورد التصريحات العربية والأخبار وتتناولها بالتحليل والرد، ويمكن اعتبارها جزءاً من محاولة تصدير الثورة الإيرانية، كما تورد تعليقات على بعض الشؤون الداخلية في ليبيا، واليمن الجنوبي، ومصر، ناهيك عن العراق التي تكرس لها جل كتاباتها، والتي يأتي الحديث عنها دائماً شديد اللهجة ومدعماً بالرسوم الموحية، ومليئاً بالحث على الثورة على النظام، الذي يوصف بالعمالة لأمريكا تارة وللسوفيت تارة أخرى، وبأنه «عشيرة تكريتية متوحشة» تفتقد لدعم الجماهير و«تمارس نشاطاً عدوانياً وطائفياً»[3].

أما مجلة صوت الأمة (الإيرانية) الصادرة باللغة العربية، والتي

---

(١) الجهاد، العدد ٣، مارس ١٩٨٠، ص ٣٩.

(٢) الجهاد، العدد ٣، مارس ١٩٨٠، ص ٣-٤-٥-٤٣-٤٤ على التوالي.

(٣) راجع الجهاد، في ٢٥/٦/١٩٨٠، ص ص ٨-١٢.

تصدرها وزارة الإرشاد، وتهتم بالنواحي الفكرية والسياسية إلى جانب الشؤون الدينية والاجتماعية.. وهي كمجلة رسمية تعنى بتفنيد مميزات النظام الإيراني الجديد على شعب إيران، وتقديم نتائج الثورة، والإشارة إلى أنه نظام قائم على الإسلام في سياسته الداخلية والخارجية، كما تتعرض لبعض رئاسات العرب بالإساءة، خاصة صدام حسين والسادات قبل رحيلة وجعفر النميري قبل خلعه، والسلطان قابوس، وتتهمهم جميعاً بأنهم أذناب للاستعمار[١].

كما تشير المجلة إلى بعض الدول العربية دون تحديد للأسماء وتتهم قياداتها بالتلاعب بشعوبهم، وجذبهم إلى القيم التافهة[٢].

وإن كان ذلك مطابقًا للواقع فإنه لا يمكن إنكار أنه سبيل لتصدير الثورة وتأليب الشعوب على حكامها.

هذا ونجد أن الاتهامات تكال جزافاً وتجمع بين أطراف عربية مختلفة كالقول بمحاربة الثورة الإسلامية والتشكيك في إسلاميتها خصوصاً عبر المحور الساداتي / الصدامي / النميري[٣] إن كان التركيز أساساً على العراق بالذات حتى قبل نشوب الحرب معها.. فماذا عساه يكون التكثيف الإعلامي ضدها بعد الحرب.. ثم ماذا حدث بعد انتهاء هذه الحرب والاتفاق الإيراني العراقي؟؟ وسكوت إيران على اجتياح الكويت عام ١٩٩٠!! سنجد أن الأمر مختلف تماماً؛ ممايؤكد أن التوازنات السياسية والخلافات أو الاتفاقات تؤثر تأثيراً جذرياً على التناول الصحفي بموضوعية أو بمبالغة.. بمعنى التحيز مع أو ضد.

أما مجلة «الشهيد» الصادرة أيضاً باللغة العربية.. والتي تتميز بالطابع الديني فهي أيضاً تركز على النظام العراقي، وتتهمه «بتهريب السلاح

---

(١) صوت الأمة، في ١٨ / ٣ / ١٩٨٠، ص ١٣-٢٦-٢٨-٢٩-٥٨.

(٢) صوت الأمة، في ١٨ / ٣ / ١٩٨٠، ص ٣١،٣٧.

(٣) صوت الأمة، في ١٨ / ٣ / ١٩٨٠، في ٢ / ٧ / ١٩٨٠، ص ٢٦.

عبر الحدود المشتركة»[1].. لكنها أيضاً تكيل الاتهامات لمعظم الدول الخليجية، وتتهمها مثل العراق بالعمالة لأمريكا فتُشير إلى أن بعض دول الخليج قد أباحت للأساطيل الأمريكية مياه الخليج وشواطئه، وذلك في مقال بعنوان «أساطيل أمريكا تبحث عن ملجأ على شواطئ الخليج»[2].

وفي نفس المقال تشير المجلة إلى المظاهرات المحلية في دول الخليج على أنها أثر من آثار الثورة الإيرانية [3].

أما مجلة «إطلاعات هفتكي» الصادرة باللغة الفارسية، فقد هاجمت السعودية مستغلة في ذلك الحديث عن حصار الحرم المكي، واصفة المعتصمين بأنهم «ثوريون يبلغ عددهم ثلاثة آلاف رجل».. وتتبنى المجلة تصريحات مندوب ما أسمته بـ «المنظمة الثورية لجزيرة العرب» وسرده لتاريخ «الحركة الإسلامية» وقياداتها، وتحديد هدفها، بأنه «تخليص البلاد من التسلط الأجنبي» كما تقول المجلة بأن الحركة كان بإمكانها «إسقاط النظام حتماً»، وتصف النظام السعودي بأنه «نظام دموي هاجم الحرم وقتل هؤلاء الثوار»[4].

وبعد هذا الاستعراض للإساءات التي تمارسها صحافة اثنين من الدول الصديقة.. إذا ماأضيفت إلى إساءات الصحافة الغربية والصحافة العربية المهاجرة، والحملات الصحفية العربية المتبادلة وما تضم من إساءات للصورة وللشخصية العربية والقيادات العربية سياسياً واجتماعياً، على الصعيدين العام والشخصي.. تُرى ماهي الصورة التي تظهر بها الشخصية العربية أمام الرأي العام العالمي؟! ومامقدار المسؤولية الملقاة على عاتق الصحافة العربية الملتزمة في الرد على هذه الافتراءات؟! لإظهار الوجه المشرق للشخصية العربية داخلياً وخارجياً.

---

(١)، (٢) الشهيد، العدد ٣٢، في ٢ / ١ / ١٩٨٠،ص ٢١-١٤-٢٨ على التوالي.

(٣) المرجع السابق نفسه.

(٤) إطلاعات، في ٦ / ٧ / ١٩٨٠، العدد ١٩٩٤،ص٣٢.

صورتنا مرسومة بأيدينا

استعرضنا سلفاً .. الصورة التي ترسمها لنا الصحافة في أربع دول غربية، وفي دولتين صديقتين، وفيما يلي الصورة التي يرسمها كل منا للآخر، من خلال الحملات الصحفية المُتبادلة على الساحة العربية، ومن خلال ما تكتبه الصحف العربية المُهاجرة عن النظم العربية على اختلافها، حيث نشرح السمات العامة لهذه الحملات الصحفية، ونقدم نماذج لما تنشره صحف مصر، ولبنان، والكويت والصحف المهاجرة، والآثار التي تترتب على هذه الحملات .. سواء بالنسبة للرأي العام العربي أو العالمي؛ لأن ذلك سيوضح لنا صورتنا كما نرسمها بأيدينا، وكما ننشرها على العالم؛ لينقل منها مايناسب حملاته من ملامح وسمات، وينقل عنا ماندين به بعضنا البعض، وذلك استكمالاً للصورة من كل جوانبها.

فإذا كان الغربيون يسيئون إلينا بقدر مايشوهون صورتنا، ويلونون أخبارنا، ويحللونها بإغراض في صحفهم - كما أوضحنا سلفاً - فإن صحافتنا العربية ظلت تسيء إلينا، بقدر أكبر من خلال ماكانت تمارسه من حملات عدائية متبادلة، تؤثر على الرأي العام المحلي للبلد الصادرة فيه، كما تؤثر على الرأي العام العربي المطالع لهذه الصحف، والأسوأ أن مراسلي الصحف العالمية ينقلون أحياناً عن بعض هذه الصحف مايصادف أهواءهم، ويتفق ووجهة نظرهم المعادية لأمتنا العربية .. ناهيك عما تمارسه الآن الفضائيات العربية من حملات ضد قيادات عربية، ويطالعه العالم كله من خلال السماوات المفتوحة.

وقبل أن نستعرض السمات والخصائص العامة التي تميز هذه الحملات، نشير إلى هوية هذه الصحف، والموضوعات أو الأحداث التي

استغلتها في حملاتها.

فأما عن هوية هذه الصحف فهي وفقاً لترتيب الكثافة أو حدة الحملات:

- **الصحافة المصرية**: ممثلة في الصحف اليومية الثلاث (الأهرام والأخبار والجمهورية) ومجلات روزاليوسف والمصور وآخر ساعة وأكتوبر.

- **الصحافة اللبنانية**: ممثلة في مجلات صباح الخير، الموقف، الكفاح العربي، السفير، الأسبوع العربي، والمستقبل العربي.

- **الصحافة الكويتية**: ممثلة في صحيفتي القبس والوطن، ومجلتي مرآة الأمة وصوت الخليج.

وإذا أخذنا عينة زمنية كنموذج للموضوعات المطروقة من خلال هذه الحملات خلال العامين ١٩٧٩ / ١٩٨٠ فهي كمثال:

* الخلافات العربية.
* أحداث اقتحام الحرم المكي.
* أحداث أفغانستان.
* التصرفات الشخصية للساسة العرب.
* التحرك الأمريكي في منطقة الخليج والجزيرة.

وتتناول الصحف العربية هذه الأمور كأخبار ملونة بشكل مغرض، تركز فيه على إبراز أخبار الخلافات العربية وتجسمها بأكبر من حجمها، وتتهكم على رؤساء بعض الدول، ومايتخذونه من قرارات أو يمارسونه من لقاءات واتفاقات ومؤتمرات، وذلك بالإضافة إلى النيل من عرب البترول كساسة وتصرفاتهم كأثرياء، والتركيز على مايدور داخل دول النفط من شؤون داخلية مرتبطة بالأمن، وبالعمالة، والمشروعات العمرانية، ووصم هذه الدول بالتمييز بين العاملين على أرضها، وبانتشار الفساد والرشوة والعمولات في تسيير أية أمور داخلية،

ومحاولة الإيهام بانعدام الأمن والأمان فيها، وتخوف حكامها من شعوبهم، وما يتضمنه ذلك من تشهير شخصي، ومحاولات للربط والتشبيه بين مايحدث في السعودية كمثال وماكان يحدث في إيران قبل سنوات من إسراف وتبذير في أموال النفط وأوجه إنفاقها.

أما عن الأساليب المستخدمة للتعبير عن كل ماسلف ذكره من أمور فيمكن إيجازها في نقاط محددة هي:

- التهكم الضمني من خلال الصياغة.
- السخرية السافرة من خلال الكاريكاتير والتعبير اللغوي.
- السب المباشر واستخدام ألفاظ نابية.
- المبالغة والتهويل خاصة في العناوين.
- التصريحات الكاذبة، ونسبة أقوال مغرضة بقصد الوقيعة.
- استخدام أسلوب التعميم بالنسبة لما هو خاص.
- نشر مايعتبر سراً عسكرياً أو سياسياً خاصاً.
- تبني آراء الجبهات الشعبية والمعارضة لبعض الدول.
- الهجوم السافر على الرؤساء من منطلق الخلاف السياسي.
- إبراز بعض الأخبار وتلوين بعضها.
- النقل عن الصحف الأجنبية بما يسيء للعرب.
- الإساءة للشعوب وليس فقط للحكام.
- التنبؤ الذي من شأنه إثارة البلبلة والحساسيات.

ومن خلال اتباع أي من الأساليب السابقة أو الجمع بينها تسهم الصحافة الصادرة في المنطقة العربية في تشويه الصورة العربية، ومسخها، ناهيك عما تقوم به الصحف العربية المهاجرة من دور أخطر.

ومن النتائج السيئة التي تترتب على ما تمارسه الصحف العربية من حملات عدائية متبادلة، تتسرب بعض أنبائها إلى العوام فتثير لديهم كوامن وحساسيات تتعلق بالطائفية والخلافات بين الفئات الحاكمة

والحكومة.. والتشكك في صدق ما يُنشر محلياً من أنباء، توردها الصحف الأخرى بصورة مبالغ فيها، ذلك بالإضافة إلى ماتحدثه هذه الحملات من آثار داخل الدول الصادرة فيها من توسيع الهوة بين مشاعر الشعوب تجاه غيرها من الشعوب العربية، ولعل أسوأ آثار هذه الحملات المتبادلة هو استخدام الغربيين لها كوسيلة للتشهير بنا ككل، طالما أن هذه صورتنا التي نرسمها بأنفسنا، أو بتعبير أدق التي يرسمها كل منا للآخر.

وبعد هذا الاستعراض السريع لهوية الصحف العربية المسيئة والأساليب المستخدمة فيها والموضوعات المطروقة في هذه الحملات ونتائجها أو آثارها داخلياً وخارجياً ـ لابد من الإشارة إلى أن بعض ماسبق ذكره من نقاط، لايمكن إدراجه في إطار الحملات العربية المتبادلة، ذلك أن الكويت وحكامها وما يتصل بها من أمور لاتتناول بسوء في الصحف المحلية الصادرة في دولة الإمارات كمثال، ومع ذلك نجد بعض الصحف الكويتية تحرص على نشر بعض الأخبار المتعلقة بالشؤون المحلية في الإمارات والتي من شأنها أن تسيء إلى الإمارات بشكل أو بآخر، كالحديث عن العمالة الأجنبية وعن الخلافات الداخلية بين الحكام، والنزاع على الحدود بين الإمارات، وسلبيات الوضع الاقتصادي والاجتماعي، وعلاقة الإمارات بجيرانها، وقد يبرر ذلك بأن الصحافة الكويتية صحافة حرة ـ إلى حد كبير ـ لكن ذلك لايتسق وكون الكويت دولة من دول مجلس التعاون الخليجي، رغم أن دول الخليج الأخرى كان موقفها أيام الاجتياح العراقي للكويت جد مختلف.

أما عن الصحف اللبنانية فكثيراً ماتنشر بدافع الحس القومي، والسبق الصحفي والعلم ببواطن الأمور، فتسيء إلى غيرها من الدول خاصة السعودية ودول الخليج.. وأحياناً تتمادى في الإساءة بشكل تبدو فيه مأجورة.. ومما تركز على نشره الوجود الأمريكي في منطقة

الخليج، والتقارب الأوربي (الفرنسي والبريطاني) مع دول الخليج، والإساءة إلى الحكام الخليجيين، والخوض في الشؤون الداخلية لهذه الدول بإغراض، والتشكيك في الدور السعودي حيال القضية العربية، ونشر بعض الأخبار التي تعتبر أسرارًا سياسية وعسكرية، قد يسيء نشرها إلى سياسات بعض الدول العربية الأخرى.

أما عن الصحافة المصرية، فكان لها النصيب الأكبر بين الصحف العربية التي لاتترك شاردة أو واردة إلا واستغلتها في حملتها على الحكام العرب، والتي تتجاوز أحياناً فتسيء إلى الشعوب، وتعمم السلوك الفردي على الجماعات، فتوصم الجميع، وتستخدم شتى الأساليب في سبيل تحقيق حملات ناجحة في تأثيرها على الرأي العام المصري، الأمر الذي يمكن إدخاله في إطار الحملات المتبادلة، حيث تسعى الصحف المصرية الموجهة رسمياً إلى الرد على كل مايكتب عن النظام المصري والسياسة الخارجية المصرية، خاصة في فترة القطيعة العربية لمصر، ومحاولة عزلها عن عالمها العربي، وفي سبيل تبرير التصرفات والتصريحات المصرية الرسمية تلجأ الصحف المصرية إلى استخدام شتى الأساليب الدعائية، وتحين أفضل الفرص لإطلاق حملتها، بالتركيز على أسلوب تلوين الأخبار بالذات، والسخرية والتهكم من خلال الكاريكاتير المعتمد على المبالغة والتهويل شكلاً ولفظاً، كذلك الحال بالنسبة لاختيار العناوين المثيرة وإن خلا صلب الموضوع من الإثارة، واعتماد أسلوب التنبؤ في المقالات والتعليقات التحليلية إلى غير ذلك من أساليب.

ولعل استغلال الخلافات العربية سواء التاريخية أو السياسية الآنية من أهم الموضوعات التي تتخذ كمطاعن في السلوك العربي، وكمادة دسمة للحملات العدائية بين العرب، رغم مايثيره تداولها من حساسيات كامنة، ولاتختلف فيها أي من الصحف موضوع هذا المبحث (المصرية واللبنانية والكويتية)، إذ تحرص كل منها على إيرادها

كأخبار، وكخلفيات دون تحرج من مغبة ذلك وأثره على الشعوب، أكثر من أثره على النظم الحاكمة.

ولا تكتفي الصحف المهاجمة بتناول الخلافات بين الدول العربية، بل تتناول الخلافات بين طوائف الشعب الواحد.. وأحياناً تساهم بما تكتبه في إزكاء هذه الخلافات.. وإثارة الكامن منها.

فقد تناولت مجلة «آخر ساعة» موضوع الخلافات العربية وهاجمت الحكام العرب مستفسرة عما «وراء الأحداث في العراق وليبيا»[1] وعن عدن وسوريا، ولا تكتفي بذلك بل تشير إلى أحداث الحرم المكي كدليل على الخلافات الداخلية أيضاً.

وعن الخلافات داخل الدولة الواحدة كتبت جريدة «الجمهورية» القاهرية تحليلاً سياسياً عن الأوضاع في دولة الإمارات العربية المتحدة جاء فيه وصفها بأنها كيانات مستقلة، تستطيع أية إمارة أن تنسحب من الاتحاد وقتما تشاء، وشبّه الاتحاد بين الإمارات بما أسماه:

«عبارة الأطفال الشهيرة بطَّل لعب، مش لاعبين...»[2].

ومع ذلك فاتحاد الإمارات العربية يعتبر نموذجاً يُحتذى في الأشكال الوحدوية العربية، التي استمرت لعدة عقود، والتي أصبحت الصحف المصرية الآن تشيد بها وبرئيسها.

ولا تكتفي أي من هذه الصحف بما تكتبه مرة.. بل تمارس عمليات متابعة مستمرة، تضيف كل يوم جديداً إلى ماتنظمه من حملات. وتشاركها وتنقل عنها الصحف الأخرى.

وفي إطار الحديث عن الخلافات المحلية والإقليمية وتضخيمها بما يثير البلبلة كتبت «أخبار اليوم» الأسبوعية المصرية:

---

(١) آخر ساعة، العدد ٢٣٧٦، في ٧/٥/١٩٨٠، ص٨،٩ مقال بعنوان «وقفة حساب مع الحكام العرب».

(٢) الجمهورية، العدد ٩٦٤١، في ٢١/٥/١٩٨٠.

«الإرهاب العربي في حد ذاته ليس بالغريب... بدأنا نسمع لأول مرة عن الإرهاب الذي انتشر في داخل الأنظمة التقليدية، بنفس انتشاره داخل الأنظمة العربية الثورية والتقدمية... وانتقل الإرهاب المسلح إلى الكويت والسعودية.....والإرهابيون العرب في عواصم الصمود والتصدي لا يشغلهم هذه الأيام سوى البحث عن أسهل الطرق للتخلص من إخوانهم...»[1].

فبالله عليكم.. ماذا ننتظر بعد وصف صحف عربية لما يدور من أحداث بأنه «إرهاب»؟! ماذا بعد وصفنا لأنفسنا بالإرهابيين؟! وإلصاق تهمة الإرهاب بنا، بخلق تسمية أو هوية للإرهاب هي «الإرهاب العربي» ماذا ننتظر بعد ذلك من صحف الغرب؟!

ولم تكتف الصحف المصرية بالتتبع الآني لما يحدث من خلافات بين الإخوة داخل دولة عربية أو بين عدة دول متجاوِرة.. لكنها لم تألُ جهداً في النبش في التاريخ لإثارة الحساسيات، وفي مقدمة مثل هذه الأمور التاريخية التي أشبعت بحثاً في الصحف المصرية، الخلاف على الحدود بين الإمارات وبعضها، وبينها وبين السعودية على واحة البريمي، وبينها وبين عمان بشأن أطماع عمان في الساحل المتصالح كله[2].

وقد حفلت الصحف الكويتية أيضاً بما يسيء في هذا الصدد[3] إذ طالما كتبت عن الخلافات الداخلية في الإمارات المتحدة ومشاكل الحدود، كما نشرت القبس الكويتية نقلاً عن دراسة أعدها المعهد الملكي البريطاني للسياسة الدولية عن «الخليج في الثمانينيات» مايؤكد أن الأمور العربية، اتحاد في الظاهر، وخلافات قبلية في الباطن.. بل

---

(١) أخبار اليوم، العدد ١٨٦٩، في ٣٠/٨/١٩٨٠، تحت عنوان «الموقف السياسي لقاء الأحبة...».

(٢) راجع كنموذج مجلة الأهرام الاقتصادي، في ٢٠/٨/١٩٨٠ص ٥٥ مقال بعنوان «البترول والحدود الدولية».

(٣) الوطن، العدد ٢٠٩٤، في ٢٠/٩/١٩٨٠.

وأيضاً حزازات داخلية، ونزاع على الحدود، واستقرار مزعزع.[1]

وتجدر الإشارة هنا إلى سلسلة المقالات المعنونة «الصراع والتعاون بين دول الخليج» والتي كتبها الدكتور محمد الرميحي كبحث نشرته «القبس» على حلقات، وما أثاره داخل الإمارات المتحدة.. رغم أنه كان بحثاً قيماً.

أما عن الدور الذي لعبته الصحافة اللبنانية في نقد الخلافات العربية وكشفها وتحليلها بما يثيره ذلك من حساسية فيتضح كمثال فيما كتبته مجلة «الكفاح العربي» الأسبوعية، في محاولة للإشارة إلى الخلاف الداخلي في دولة الإمارات، والذي يستدل عليه من التظاهرات الشعبية[2]، كما كتبت «السفير» اللبنانية حول الموضوع نفسه تحت عنوان «الأزمة الداخلية تتجدد في الإمارات»[3].

هذا وقد استمرت مجلة «الكفاخ العربي» لعدة أعداد تنشر الكثير من التفاصيل حول الخلافات الداخلية في دولة الإمارات، طاعنة في المؤسسات الدستورية في كل دول الخليج، مسمية الإمارات المتحدة بـ«الشركات السبع»[4]، كما تناولت المجلة نفسها في عدد آخر مشاكل الحدود بين الإمارات المتحدة وبعضها، وبينها وبين عمان [5] وفي إطار التحليلات التي تبعث الخلافات والتخوف بين الإخوة، كتبت السفير تنتقد الوضع الاقتصادي السيئ في البحرين، وتستنتج أن السعودية «هي الأقدر على بلع البحرين» [6] على حد تعبير كاتب المقال.

---

(١) القبس، العدد ٢٨٣٤، في ٦ / ٤ / ١٩٨٠، ص١١.

(٢) الكفاح العربي، العدد ٩٥ـ٧٧٨، في ٧ـ١٣ / ٤ / ١٩٨٠، ص ٢٢، ٢٣.

(٣) السفير، العدد ٩٨ـ٧٨١، في ٢٨ / ٣ / ١٩٨٠، ص١١

(٤) الكفاح العربي، العدد ٩٨ـ ٧٨١، في ٢٨ / ٣ / ١٩٨٠، ص ٢٠، ٢١، مقال بعنوان «ديمقراطيات الخليج العربي» بقلم «عبدالرحمن يوسف».

(٥) الكفاح العربي، العدد ١١٠ـ٧٩٣، في ٢٠ / ٧ / ١٩٨٠، ص ٢٦.

(٦) السفير، العدد ٢٢٨٣ في ١ / ٩ / ١٩٨٠، ص ٢١، مقال بعنوان «السعودية تصادر البحرين».

وتساهم مجلة «المستقبل العربي» اللبنانية في هذا المجال بمقال بعنوان «أصول الإمارات العربية المتحدة» يتحدث عن هذه الدولة تاريخياً، والخلافات التي كانت قائمة قبل الاستقلال، والنزاع بين الشيوخ، ووجود «صراعات حادة ودموية»[1] بين الإمارات، وتقول كاتبة المقال:

«إن العائلات الحاكمة في الخليج المتصالح أسخف قوم حملني سوء طالعي على التعامل معهم... هكذا يبدو بروز اتحاد يجمع بين عدد من مشيخات الخليج أمراً اصطناعياً فرضته على الفرقاء ظروف إقليمية ودولية ضاغطة»[2].

ولايخفى بحال ما في ذلك من إساءة ومن بعث لخلافات تاريخية قديمة وإيهام بأن الاتحاد هو اضطرار عصري وليس مطلباً شعبياً.. رغم استمرار نجاح دولة الاتحاد إلى يومنا هذا، وقد أصبحت الوحدة الآن مطلباً شعبيا بالفعل بعد أن اضطر حكام الإمارات للتخلي عن مصالحهم حفاظاً على مصالح الاتحاد.

والحقيقة أن كل مايخطط له من حملات عدائية متبادلة سببه الأساسي الخلاف بين القيادات والنظم العربية المختلفة، والتي يدفع ثمنها المواطن العربي شعوراً بالتشتت والتشكك والحيرة، حيال كل مايقرأ، ولعل هذه الخلافات هي ماجرت الحملات الصحفية المتبادلة إلى اتخاذ أساليب السخرية والتهكم والسب المباشر أحياناً، والتشكيك في صدق النوايا، وإثارة وتأليب الشعوب على حكامها بالتبادل، مستخدمين في ذلك شتى الصيغ الصحفية، وفي مقدمة ذلك الكاريكاتير كوسيلة مؤثرة تعتمد على المبالغة والتهويل، وكدليل على ضراوة الحملات الصحفية العربية في هذا الصدد نورد نماذج لذلك من مختلف الصحف، وهي بالطبع مردود عليها في صحف الدول التي

---

(١)،(٢) المستقبل العربي، في ٧/٦/١٩٨٠، ص١٣٩: ١٤٤، مقال بقلم روز ماري سعيد زحلان.

يمسها هذا السب والتهكم.. ولكننا نورد هنا كنموذج ما نشرته الصحف المصرية بالذات؛ نظراً لانتشارها الواسع خارج الوطن العربي؛ ولأن الصحف الغربية غالباً ماترجع إليها، وتنقل عنها، في حين أن الصحف العربية الأخرى أقل خطراً لعدم انتشارها، ولضعف ثقلها الإعلامي.

كمثال كتبت جريدة «الأخبار» القاهرية، ساخرة من المؤتمرات العربية، ودول الرفض ودول النفط قائلة:

«أموال البترول تسيطر على الاجتماعات العربية - وزراء الخارجية قبضوا من القذافي...».

«قال كبار المسؤولين في تونس إن أموال البترول هي التي تفوز في النهاية في أي اجتماعات عربية.....».

«أقدم حافظ الأسد - حاكم الحديد والنار في سوريا - على خطوة خطيرة وجريئة.. لقد قرر الرئيس المناضل الشجاع، تغيير علم سوريا.. وكان طبيعياً أيضاً أن يصاب صدام حسين - زعيم البعث العراقي - بصدمة عصبية لأن زعيم البعث السوري سبقه إلى مثل هذا القرار.....».

«ورددت الأنباء في ليبيا أن حافظ الأسد سرق الفكرة الأسطورية من زعيم الزعماء وحامي الحمى معمر القذافي.....».

«....هذه التفاهات وأمثالها التي أصبحت من معالم العمل السياسي التهريجي في دول الرفض»[1].

والغريب هو أن تبرز مثل هذه السخريات والشتائم على الصفحات الأولى.. وإنها بعد أن كانت تتركز فقط على القيادات بدأت تمس الشعوب أيضاً؛ وكنموذج لذلك ماكتبته «روزاليوسف» عن الأوضاع الداخلية في الخليج، مُدعمة ذلك بالرسوم الكاريكاتيرية التي توصم

---

(١) الأخبار، العدد ٨٦٥٢، في ٦/٣/١٩٨٠، ص ١.

الحياة الخليجية بأنها حياة خمر ونساء وعمولات فاحشة وسمسرة، وكمثال سرد قصة مبالغ فيها عن العمولات التي طلبها عدد من المسؤولين في السعودية من رجل أعمال سويسري دخل مناقصة لبناء مبنى حكومي في مدينة الرياض يتكلف ٤ ملايين دولار، ووصل السعر إلى ٢٥ مليون دولار بسبب العمولات.. كما يشار في نفس العدد إلى شغف الخليجيين بالجنس، فتقول المجلة نصاً تحت عنوان «شهريار والكراجي»:

«يبدلون النساء كما يبدلون الأحذية والثياب والسيارات، ويصل الأمر ببعضهم إلى حد الزواج من فتاة عذراء كل ليلة وتسريحها في الصباح»[1].

ذلك بالإضافة إلى ماتخوض فيه الحملات الصحفية من موضوعات محلية صرفة، تتعلق بالتمايز بين رواتب العاملين في الخليج والسعودية، وتخوف الرسميين من الفكر التقدمي، الذي قد يحمله الوافدون العرب، والمبالغة والتهويل في هذا الصدد، نطالعهما كنموذجين فيما كتبته مجلة روزاليوسف وجريدة الجمهورية حول هذا الموضوع:

«الهنود والباكستانيون ينتظرون بلفور آخر للمطالبة بحق تقرير المصير..».

«وفي السعودية يصل راتب المهندس المصري، في أحسن أحواله، إلى خمسة آلاف ريال، بينما يقفز راتب المهندس الأجنبي إلى ٣٠ ألف ريال.....».

« ومن الآن يسيطر الآسيويون خاصة في الخليج.. على معظم شؤون الحياة هناك.... وترفض العمالة العربية خوفاً من خطر الأفكار المستوردة ونقل الآراء والاجتهادات السياسية والثقافية إلى سكان محدودي العدد، مما يؤثر على توازنهم»[2].

---

(١) روزاليوسف، العدد ٢٦٩٨، في ٢٥ / ٢ / ١٩٨٠م.

(٢) روزاليوسف، العدد ٢٦٩٨، في ٢٥ / ٢ / ١٩٨٠.

أما جريدة الجمهورية فكتبت تقول :

«دول الخليج تلوح بالمناديل البيضاء للمحتالين.... فروع للمافيا.. . وعقود عمل للصوص والقبضايات»[1] .

ومما ورد كسب وقذف مباشر في حق الساسة العرب ماكتبته مجلة «المصور القاهرية» تحت عنوان «المملكة العربية السعودية تحكمها الجهالة والشهوات» ، وجاء فيه :

«فالحكم في السعودية أصبح حكم الشهوات والنزوات والأغراض الخاصة....» .

«والحقيقة لم نكن أبداً نخشى على أنفسنا من نتائج السياسة السعودية المعادية لنا ، ولانخاف من آثار الحملات التي ينظمها بعض حكام السعودية الحاقدين الموتورين الحمقى الطامعين في الزعامة.. حتى ولو كانت كل مؤهلاتهم للزعامة لاتتجاوز المال وحده»[2] .

ومن خلال نشر الصحف المصرية آنذاك لخطب الرئيس المصري السادات كانت تنشر مايقوله من قذف في حق الساسة العرب ، وعلى سبيل المثال وصفه للحكام العرب بأنهم «أئمة الخيانة والغدر والنفاق»[3] . وقوله عن مؤتمر القمة العربي أنه لم يحضره سوى :

«القذافي المجنون.. وصدام حسين الدموي ، وحافظ الأسد الخائن الذي تنكر لمصر في حرب أكتوبر ، والسعوديين الذين يخافون من الفلسطينيين تارة ومن السوريين تارة ومن العراقيين تارة أخرى وأحياناً يخافون من ظلهم» [4] .

ولم تألُ الصحف المصرية جهداً في سبيل ماتنظم من حملات إذ

---

(١) الجمهورية ، العدد ٩٥٥٣ ، في ٢٣ / ٢ / ١٩٨٠ ، ص ٢ .

(٢) المصور ، العدد ٢٨٨٦ في ١ / ٢ / ١٩٨٠ ، مقال بقلم صبري أبو المجد ص ص ٨ ـ ١١ .

(٣) روزاليوسف ،العدد ٢٦٩٥ ، في ٤ / ٢ / ١٩٨٠

(٤) أخبار اليوم ، العدد ١٨٥٨ ، في ١٤ / ٦ / ١٩٨٠ ، ص ١ ،١٥ .

كانت تكتب في كل حدب وصوب، وفي الصفحات الأولى، كل ما من شأنه تشويه الصورة، ليس على مستوى الحكام وحسب، ولكن على سبيل التعميم.

وذكر فضائح رجال الأعمال العرب المعروفين وغيرهم، وكمثال ما كتبته «أخبار اليوم» عن رجل الأعمال السعودي «محمد الفاسي» تحت عنوان «النيران تلتهم قصر الفضائح» واصفة إياه بأنه وكر لأعمال جنسية فاضحة، وأنه أساء إلى سمعة المنطقة المقام بها في هوليود، وأن أهل الحي كانوا يسمونه «مدينة الملاهي القذرة»[1].

والغريب أن الصحف المصرية كانت تقدم وجبة دسمة للآخرين، عن حجم الفساد في مصر؛ وبعض الفضائح الخلقية المتعلقة بالفنانين المصريين.. ممايستخدم في حملاتهم المضادة لمصر.

ومن المبالغات التي تعمد إليها الصحافة المصرية والتي كانت تبرزها في العناوين المثيرة مانشرته روزاليوسف من هجوم على دول الخليج والسعودية تحت العناوين التالية:

«المشي في الشوارع برخصة، واختلاط الأطفال جريمة شرف».

«المواطن له كل الحقوق، والمتعاقد عليه كل الواجبات».

«إذا أردت الثروة في بلاد النفط فضع كرامتك أمانة في مطار القاهرة».

واستمراءً في المبالغة يقول المقال المعنون بما سبق واصفاً مجتمع النفط:

«لقد كنا أشبه بالهنود الذين كانوا يموتون من الجوع بينما كان الإنجليز يستمتعون بشاي الساعة الخامسة.. الشاي لهم والموت للهنود.. البترول لهم والصحراء لنا»[2].

---

(١) أخبار اليوم، العدد ١٨٣٥، في ٥ / ١ / ١٩٨٠، ص ١٠

(٢) روزاليوسف، العدد ٢٦٩٧، في ١٨ / ٢ / ١٩٨٠، ص ٢٧.

واستمراراً لحملات التشهير الشخصي واستخدام أسلوب التعميم كتبت «روزاليوسف» أيضاً تحت عنوان «الحياة الخاصة للعرب في القاهرة - الشقق المفروشة تسرق الزبائن من الملاهي والكباريهات»، واصفة البذخ الذي يمارسه العرب في نزهاتهم بأنه وسيلة تريحهم وترضي ما بداخلهم من عقد نفسية.. ويقول:

«العقد النفسية للسائح العربي - تصور له الواقع بصورة خاطئة؛ ولأنه لايتعامل إلا مع المنحرفين فهو يتصور أن الانحرف شيء طبيعي....»[1].

ولايقتصر على الإساءة لجمهور الرجال، ولكن نساء الخليج والسعودية أيضاً متهمات وبشكل عام، إذ كتب أنيس منصور في عموده اليومي «بالأهرام»:

«أزواجهن مشغولون بنساء أخريات، أو بالسفر وحدهم إلى الخارج، وليس أمام الأميرات إلا الخروج إلى الصحراء ليصدن الشبان»[2].

أما عن السب العلني وغير الموضوعي للرؤساء العرب، فالصحافة المصرية تعج به، وكأمثلة لذلك:

«الأسد يسير متهالكاً، والمجنون يسير مختالاً، وهما في الطريق إلى مباحثات التهريج حول دولة واحدة...».

«هذان الشريدان الأسد الذبيح في سوريا والقذافي المجنون في ليبيا[3]

هذا ورغم أن الصحافة المصرية لا يجاريها أي من الصحف العربية الأخرى في استخدام ألفاظ السباب وعبارات التهكم والسخرية اللاذعة، باللفظ العامي، وبالتعليقات على الكاريكاتير.. إلا أن الحملات الصحفية اللبنانية أحياناً كانت تنشر عبارات التهكم، ومنها

---

(١) روزاليوسف، العدد ٢٧٢٨، ٢٢/ ٩/ ١٩٨٠.

(٢) الأهرام، العدد ٣٤١٠٢، في ٢٥/ ٤/ ١٩٨٠، الصفحة الأخيرة.

(٣) الأخبار، العدد ٨٨١٥، في ١٢/ ٩/ ١٩٨٠، بقلم موسى صبري، ص١، ص٥.

على سبيل المثال ماكتبته مجلة «الموقف» عن زيارة الرئيس الفرنسي وملكة بريطانيا لدول الخليج تحت عنوان «فرنسا تطبخ المبادرة الأوربية فوق رمال الخليج الدافئة»[1].

كذلك اختيار عناوين ساخرة للحديث عن الأوضاع في الخليج فيما يختص بالذات بالتدخل والنفوذ الأمريكي في المنطقة، ناهيك عن التهكم على وسائل إنفاق المال العربي، الذي نشرته مجلة «الكفاح العربي» تحت عنوان «الحج إلى لندن»[2] كما أن الصحف اللبنانية من خلال التحليل السياسي، تورد تسميات أو صفات لبعض القيادات العربية تسيء إليها، وإن كانت لا تعتبر شتائم مباشرة، كما هو الحال في الصحف المصرية.. ومن النماذج على ذلك ماورد بشأن تحليل الوضع الداخلي في السعودية في أثناء مرض الملك خالد «كصراع على السلطة»، كما نجد السخرية والتهكم في الصحف اللبنانية من خلال ماتنشره من كاريكاتير، وكنموذج لذلك الاستهزاء من إعلان السعودية للجهاد المقدس في كاريكاتير يصور عربيًا منكبًا على كمية كبيرة من أكياس المال وتعليق «الجهاد المكدس»[3]

هذا وتتوزع الكتابات الصحفية العربية المتضاربة مابين حملات منظمة ومدروسة وموجهة في اتجاه واحد.. وكتابات عشوائية تمليها الأحداث، المهم أن كل ما يُكتب عن العرب مسيئاً لفئة منهم بالتبادل.. يُستغل في الصحافة الغربية أسوأ استغلال؛ بوصفه شهادة شاهد من أهلها.

هذا وتعمد الصحف في حملاتها إلى نقد الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الداخلية للدول المقصودة بالحملة؛ وذلك بهدف تحريك الرأي العام المحلي ضد القيادات، وتنبيهه إلى مساوئ

---

(١) الموقف، العدد الصادر بتاريخ ١٠ / ٣ / ١٩٨٠، ص ٢٨، ٢٩.

(٢) الكفاح العربي، العدد ١٠٥ - ٧٧٨، في ٢٢ / ٦ / ١٩٨٠، ص ص ٨ - ١٥.

(٢) الكفاح العربي، العدد ١١٦ - ٧٩٩، في ١ - ٧ / ٩ / ١٩٨٠، ص٤٧.

حكامه. كما تتبنى هذه الصحف أحياناً وجهات نظر الجبهات الشعبية، فترصد تحركاتها وتضخمها، وكأنها ثورات كامنة قابلة للانفجار، وتنشر تصريحات القيادات الشعبية استكمالاً للصورة.

ولعل نصيب السعودية كان أوفر نصيب من هذا النوع من الحملات.. وذلك إبان حادث الحرم المكي، وعرض فيلم «موت أميرة»، ومأأحدثه من أزمة دبلوماسية بين السعودية والدول المنتجة للفيلم، إذ حاولت الصحف المصرية والكويتية واللبنانية تصوير مايحدث داخل السعودية على أنه انقلاب ضد القيادات السعودية وصراع بين أبناء الأسرة الحاكمة.. وأنه بذور لثورة أثارت خوف الأمراء.. ذلك إلى جانب ماتضمنته التحليلات السياسية من تنبؤات حول الوضع في السعودية، إذا ما توفي الملك خالد وتصارع الأمراء على الحكم، وما لهذه التنبؤات من آثار سيئة على الرأي العام السعودي داخلياً.

ولم تنج الإمارات من هذه الحملات في محاولة لتضخيم الخلافات الداخلية، ونقد للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الداخلية، وكنماذج لمثل هذه الحملات نورد ماكتبته بعض الصحف ليس كنقد فقط ولكن كسخرية لاذعة، فقد قالت «السفير اللبنانية» عن التقدم العمراني في الإمارات:

«فالمفترض كما هو التقليد والعرف أن تكون علو عمارتك في أبوظبي في مستوى نسبك لا غناك، فعمارة الشيخ لابد أن تكون أعلى من عمارة الوزير بغض النظر عن فارق الثراء بين الرجلين.... !!».[(١)]

أضف إلى ذلك ماكتبته الكفاح العربي من مطاعن في المؤسسات الدستورية والممارسات السياسية في دول الخليج (البحرين والسعودية والكويت ودولة الإمارات) تحت عنوان «ديمقراطيات الخليج»[(٢)]،

---

(١) السفير، العدد ٢١٦٧، في ٤ / ٥ / ١٩٨٠، ص ١٤.

(٢) راجع الكفاح العربي، العدد ٩٨ - ٧٨١، في ٢٨ / ٤ / ١٩٨٠، ص ٢٠، ٢١.

وماكتبته نفس المجلة في عدد آخر عن أسباب استقالة وزير خارجية الإمارات، ومادار حولها من خلافات واعتراضات غير معلنة، ناهيك عما كتبته «السفير اللبنانية» بعنوان «الأزمة الداخلية تتجدد في الإمارات» وتضمَّن إشارة إلى ارتفاع سعر البنزين والغاز أكثر من الدول المستوردة، وموقف وتظاهر الطلاب وتحديهم للشيوخ؛ مدافعين عن مطالبهم الوحدوية، والوضع السياسي الداخلي، والتشكيل الوزاري برئاسة حاكم دبي، وأثر ذلك على الصعيدين الحكومي والشعبي، ثم الحديث عن الوضع الاجتماعي والفوارق الطبقية، ضاربة مثلاً «بالعشيش المنتشر في بعض الإمارات».[١]

أما الصحافة الكويتية فإن لها انتقاداتها أيضاً للأوضاع الداخلية في الإمارات وللسياسة العمانية حيال جيرانها.

أما عن الصحافة المصرية وموقفها من الشؤون الداخلية للدول العربية فيضيق المجال بتتبع ما تكتبه في هذا الصدد، إذ إن الصحف المصرية لاتترك فرصة إلا وتتحينها لانتقاد الأوضاع الداخلية لمعظم الدول العربية، وتعمد في ذلك إلى التضخيم والتهويل، حتى بالنسبة للأمور غير السياسية، ومحاولات للإيهام بعدم توافر الأمن والأمان في الدول على كل المستويات، ناهيك عن الخوض في الجوانب السياسية الداخلية، والتي وصلت أحياناً إلى السب علناً، مما سلف ذكره كنموذج للأساليب الصحفية المستخدمة في الحملات العدائية المتبادلة، والتي يضيق المجال عن حصرها، وإن ما ذكرناه يعد نذراً يسيراً مما تتناوله الصحف العربية، الصادرة بيننا في العالم العربي، ونتبعه بمبحث مختصر عما تمارسه الصحف العربية المهاجرة من إساءات للعرب.. ويستغله الغربيون أسوأ استغلال، وتكمن خطورته في صدوره خارج الوطن العربي، وبعيداً عنه.

---

(١) السفير، العدد ٢١١٣، في ٩/٣/١٩٨٠، ص ١١.

الصحافة المهاجرة وإساءاتها لصورة العرب

استكمالاً لما بدأناه توضيحاً للصورة التي نرسمها بأنفسنا للشخصية العربية، والقيادات العربية، والسياسات الإقليمية والمحلية للدول العربية من خلال حملاتنا الصحفية العدائية المتبادلة.. نتبع ذلك بموضوع مكمل وهو «الصحافة المهاجرة وإساءتها للنظم العربية» على اختلافها، واستغلالها لمناخ الحرية الذي تتمتع به معبرة عن أفكار فردية أحياناً.. وعن اتجاهات حكومات عربية ضد غيرها أحياناً أخرى.. ومدفوعة بالحس الصحفي أحياناً.. ومأجورة تارة أخرى، إذ تكمن خطورتها إعلامياً في صدورها من خارج المنطقة العربية، بعيدة إلى حد ما عن الاحتكاك الفعلي بالأحداث، غير مشاركة فيها، بل متفرجة، كما تكمن خطورتها في جانب آخر هو قربها - كمصدر - من وسائل إعلام معادية للعرب تنقل عنها، وتستغل ماتكتبه أسوأ استغلال.

ودون خوض في التفاصيل نقدم لهذا المبحث الذي سيتناول الصحافة المهاجرة ليس فقط استعراضاً لنماذج مما تنشره، ولكن تأريخاً لبدء وجودها كظاهرة، وإحصاء للصحف الممثلة لها، والدول الممثلة فيها، وتبياناً لدوافعها، وإيضاحاً لخطرها.

فالصحافة العربية المهاجرة ليست ظاهرة حديثة في تاريخ الصحافة العربية، بل إن لها جذوراً تمتد إلى عام ١٨٧٢، حينما نفي صحفي مصري يهودي الأصل يدعي يعقوب روفائيل صنوع(*) - وشهرته أبونظارة - إلى باريس، حيث أصدر هناك مجلة تحمل نفس الاسم الذي اشتهر به، ثم تعددت أسماؤها تحايلاً على السلطات المصرية التي كانت تتصدى لها بالمنع من دخول مصر والتداول فيها، فأسماها صاحبها

(*) عاش في الفترة من ١٨٣٩ - ١٩١٢.

«أبوزمارة»، و«الحاوي» و«النظارات المصرية»، وكان الهدف منها بالطبع مهاجمة للنظام الحاكم في مصر.. لكن هذه المجلة لم تكن المجلة العربية الوحيدة الصادرة خارج الأرض العربية، بل كانت هناك عدة مجلات وصحف تصدر في أرض المهجر، ويصدرها صحفيون لبنانيون، وقلة من المصريين في الأمريكتين، وكان أولها جريدة «كوكب أمريكا» الصادرة عام ١٨٨٩، وجريدة «الرقيب» الصادرة في البرازيل عام ١٨٩٦، وسبقها صدور أول جريدة عربية في البرازيل عام ١٨٩٤، ثم بعد ذلك الصحف العربية الصادرة في بلاد المهجر واشتهر بعضها، إذ قام بإصدارها مشاهير من أمثال الشاعر إيليا أبوماضي الذي أصدر في نيويورك مجلة «السمير» عام ١٩٢٩، ومجلة الأمير أمين أرسلان المسماة «الاستقلال» والصادرة في الأرجنتين عام ١٩٢٦، وقد طال عمر بعض الصحف العربية الصادرة في المهجر حتى نهاية الخمسينيات من هذا القرن.[١]

وإن كانت هذه الصحف لاتتسم باتجاه سياسي معاد للوطن الأم والنظم الحاكمة فيه.. لكنها صحف عربية قومية وأدبية، وتصدر من أجل المهاجرين العرب؛ لربطهم بأوطانهم التي هاجروا منها، ومثل هذه الصحف تختلف من حيث هدفها، والجمهور الموجهة إليه، عن جريدة يعقوب صنوع، وعن الصحف العربية المهاجرة حالياً إلى لندن وباريس.. والتي سنعنى في هذا المبحث بتحليل أسباب هجرتها وانتشارها كظاهرة أصبحت أشبه بالصرعة، والتعريف بها، وبهوية القائمين عليها، وتبيان اتجاهاتها ومصادر تمويلها، وخطورته إعلامياً، ثم استعراض لنماذج مما تكتبه ويساهم في تشويه الصورة العربية.

وقبل البدء في ذكر دوافع صدور عدة صحف ومجلات عربية من خارج الوطن العربي، لابد من حصر عددها للوقوف على حجمها

---

(١) راجع الموسوعة العربية الميسرة الصادرة عن دار الشعب، ص ١١١٨ .

كظاهرة ملفتة للنظر، إذ تصدر في لندن سبعة صحف ومجلات كما تصدر في باريس تسعة صحف ومجلات، اشتهر بعضها وانتشر في بعض البلدان العربية، بينما لم يسمع المواطن العربي المقيم في وطنه ببعض منها، وتتمثل الصحافة المهاجرة في صحف ومجلات: «الشرق الأوسط»، «النهار العربي والدولي» «العرب»، «المنار»، «الدستور»، «المجلة»، «٢٣يوليو»، «الحوادث»، «الوطن العربي»، «الصلح الجديد»، «شؤون الساعة»، «الشرق الجديد»، «الجزيرة العربية والخليج»، «الاقتصاد العربي»، «الإحياء العربي»، «الوطن الرياضي»، «العصر»[١]، «كل العرب»، «العرب»، « سيدتي»، «المسلمون»، وبعض هذه الصحف والمجلات قد توقف عن الصدور.

أما عن هوية أصحاب هذه الصحف والمجلات فهي متنوعة ما بين لبناني ومصري وليبي وتونسي وسوري وسوداني وسعودي، لكن القائمين فعلاً على العمل في التحرير هم صحفيون لبنانيون ومصريون وفلسطينيون. ويشير إحصاء نشرته إحدى الصحف الكويتية إلى أن عدد الصحفيين المهاجرين «في لندن حوالي ١٢٠ صحفي عربي مقيم.. وفي باريس حوالي ٢٠٠ صحفي عربي»[٢] ولعل الدافع إلى هجرة هؤلاء الصحفيين كما أشارت الصحفية هو:

«حرب بيروت الأهلية وحرب القاهرة الصحفية.... فبعد الحرب الأهلية في لبنان.. وفرض الرقابة بقسوة على (سوق) بيروت الصحفية.. وفرار العديد من الصحفين.. وإغلاق بعض الصحف.. وتهدم مطابع البعض الآخر، واستحالة الإصدار وسط القصف العنيف.. كان لابد أن تهاجر بعض الصحف اللبنانية.....».

---

(١) تصدر في قبرص.

(٢) الهدف، تحقيق مثير حول الصحافة المهاجرة، في الخميس ٢٧ أبريل ١٩٧٨، ص٢١.

«واشترطت الحكومة المصرية أن تراقب هذه المجلات مراقبة دقيقة في كل مادتها وموضوعاتها.. إذا أرادت الصدور من القاهرة.. وكان الشرط تعسفياً.. خاصة وأن الهروب من لبنان، كان أصلاً بسبب الرقابة!!.....».

«وتحولت القاهرة من قوة جذب للصحافة البيروتية.. إلى أكثر من قوة طرد لرجال الصحافة المصريين، وبدلاً من أن تستوعب المجلات اللبنانية المعطلة بسبب الحرب.. هاجر كبار كتابها إلى البلاد العربية الأخرى خاصة إلى دول الخليج العربي، وأيضاً إلى باريس ولندن»[1].

وبذلك بدأت هجرة الصحفيين العرب في أكبر مراكز الصحافة العربية، في مصر ولبنان.. وكان لابد من الهروب نتيجة للضغط والرقابة، وكان لابد من الهجرة إلى بلد ديمقراطي، يتحقق فيه قدر من حرية القول، فكانت لندن وباريس مقراً لعدد من الصحف والمجلات العربية التي استوعبت الصحفيين المهاجرين.. وتحولت إلى صرعة.. إذ أصبحت هاتان العاصمتان معقلاً لمعظم السياسيين والصحفيين العرب المختلفين مع نظمهم الحاكمة، فصدرت مجلة «الصلح الجديد» ويصدرها صحفي سوداني اختلف مع حكومته، ورحل بمجلته إلى لندن، ثم بدأ بعض الصحفيين المرتبطين بمصادر تمويل قوية (دول، وسفارات) في المشاركة في صرعة الصحافة المهاجرة، بآراء معادية لنظم عربية لصالح نظم أخرى؛ ضماناً لتمويل الصحيفة الصادرة في الخارج والتي تعاني من مشاكل:

«التوزيع المحدود.. التكلفة المرتفعة.. الإعلانات الضعيفة.. أجور الصحفيين والعمال، وإيجار المكاتب، واشتراك وكالات الأنباء»[2]؛

---

(١) الهدف، تحقيق مثير حول الصحافة المهاجرة، في الخميس ٢٧ أبريل ١٩٧٨، ص ٢١.

(٢) المرجع السابق، نفس المكان.

لذلك كان لابد من مصادر تمويل خفية تتمثل في استئجار الدول للصحف المهاجرة، واستخدامها للهجوم على دول عربية أخرى، لذا نجد أن هذه الصحف والمجلات ممنوعة من التداول في غالبية الدول العربية منعاً قاطعاً، ومصادر بعض أعدادها وفقاً لما تحتويه من مادة مسيئة لأي نظام حاكم.. وعلى سبيل المثال:

«فالوطن العربي والمستقبل لاتدخلان مصر والسودان والمغرب وتونس.. وجريدة اليسار العربي لا تدخل سوى الجزائر والعراق وليبيا.. وممنوعة من الدخول في باقي البلاد العربية»[1].

ورغم ما لهذه المجلات والصحف من شعبية لدى العامة من منطلق التصور الساذج بأنها حرة لا تنتمي لنظام بعينه، ومن منطلق أنها جريئة في انتقاد أي نظام، يُقبل عليها الأفراد عملاً بالقول بأن: «كل ممنوع مرغوب»، بينما تتحسب منها الحكومات.

المهم أنه بدلاً من أن تقوم هذه الصحف بدور إعلامي عربي في الخارج يوضح وجهة النظر العربية، وأن تستفيد من جو الحرية المتاح لها لتقويم الأوضاع والسياسات العربية بموضوعية وحيدة، أصبحت أبواقًا تُسيء إلى العرب أكثر مما تنصفهم، وقد لخصت جريدة الهدف الكويتية ذلك قائلة:

«هذه الصحف التي كان من المفروض أن تنقل للقارئ العربي صوراً حية من مواقعها الأوروبية.. تحولت إلى حرب أهلية أخرى.... وسوق للتمزق العربي... هذه الصحف التي كان من المفروض أن تلعب دوراً إعلامياً يدافع عن العربي، أعطت صورة صادقة لخلافاتنا... ونشرت غسيلنا القذر.... قد يكون عندها حق في أغلب ماتقوله.. قد تكون (هايدبارك) عربية من ورق.. قد تكون..... ولكن ليس السباب والقذف هو الحرية.. هذا مانأخذه عليها»[2].

---

(١) الهدف، ٢٧ / ٤ / ١٩٧٨، ص ٢١.

(٢) الهدف، ٢٧ / ٤ / ١٩٧٨، ص٢١.

وعلى نفس الوتيرة تقوم الفضائيات العربية بمهاجمة النظم العربية على اختلافها.. وتعكس الصراع العربي بدلاً من أن تقوم بدور فاعل في تحسين صورة العرب في الغرب..

هذا وتقاس خطورة وأهمية الدور الذي تلعبه الصحف المهاجرة في موقعها خارج الوطن العربي، وإمدادها للإعلام الغربي بمادة دسمة يسيء بها للعرب.. وتزداد الخطورة بسبب عدم التزام هذه الصحف تجاه نظام معين، إذ كثيراً ماتنقلب وفقاً لمن يدفع دون التزام بآثار ونتائج ماتكتبه على المواطن العربي نفسه، وليس على الرأي العام الغربي.

وقد يتبادر للذهن سؤال مؤداه: لماذا أوردنا هذه النبذة عن تاريخ ودوافع الصحف المهاجرة.. لكننا رأينا أن لذلك ضرورته؛ لأن هذه الصحف كان من المفروض أن تكون وسيلتنا الأساسية في التخطيط الإعلامي الخارجي، الذي نهدف به إلى تغيير صورتنا إلى الأفضل.

أما عن المحاور العامة التي تدور حولها الصحف المهاجرة؛ لتحقيق هدفها في الإساءة إلى نظام معين لحساب نظام آخر فهي:

- الخوض في تفاصيل الشؤون الداخلية لبعض الدول.
- التركيز على كل ما يتصف بالسرية وبالسياسات غير المعلنة.
- الربط بين القضايا الإقليمية والمحلية والسياسة الدولية.
- تبني آراء الجبهات المعارضة للحكومات.
- إبراز الخلافات العربية في أبشع صورها.

ولعل أبرز ما تهتم به هذه الصحف والمجلات هو قضية الشرق الأوسط والاتجاهات العربية المتصلة بها.. ثم الشؤون الخليجية المتعلقة بالأمن الخليجي، والسياسة البترولية والتحركات المحلية المحضة، كل ذلك بأسلوب موح بأن الصحيفة تكشف سراً خطيراً، أو تعلن خبراً غير متوقع.. وأن لها السبق في ذلك، ولايخفي ما لهذا الأسلوب من جاذبية خاصة لدى القراء، حتى ولوكان الخبر المعلن مجرد تكهن وتنبؤ

مستقبلي.. أو اجتهاد في الربط والتحليل.. غير مدركين أن مثل هذه الأخبار والتعليقات طبخت بعيداً عن الأرض العربية.. وأن كاتبها إما صحفي عابر غير ملم بكل أبعاد الموضوع.. أو مراسل بالقطعة.. تعاد صياغة ماكتبه خارج الرقعة العربية، وفقاً لخط المجلة أو الصحيفة وأسلوبها أو سياستها التحريرية، مع إضافة الحواشي والتوابل الصحفية التي تضخم الأمر وتعطيه أبعاداً خطيرة، أو أنه خبر منقول عن مصدر أجنبي مغرض.. دون أدنى تقدير لخطورة الاعتماد على المصادر المغرضة في نقل الأخبار.

ولا أرى ضرورة هنا لاستعراض نماذج مما تنشره الصحف المهاجرة تدليلاً على مدى ماتستبيحه هذه الصحف لنفسها من حرية في الإساءة إلى النظم العربية دون حدود، ومن تهكم على السياسات العربية، خاصة حول استحالة استخدام النفط كسلاح سياسي.. ومن خوض في الشؤون المحلية لبعض الدول العربية، خاصة دول الخليج العربي، وتشكيك في النظم الدستورية فيها، واستعراض لكل مامن شأنه أن يكرس للعالم ملامح الصورة العربية التي يرسموها لنا، وهي أننا قبليون غير متحضرين، نتقاتل حتى الموت، ولاتجمعنا كلمة.. حتى وإن أطلقنا تصريحات وشعارات توهم بأننا وحدة واحدة، وذلك من خلال تضخيم حجم الخلافات الداخلية في كل دولة، والخلافات العربية بين الدول المتجاورة.

ولا يخفى ما في ذلك من أثر على الرأي العام المحلي والإقليمي والقومي، الذي يفاجأ بأن صحفاً تصدر خارج الرقعة العربية، وبعيداً عنها تنشر أموراً غير معلنة، ولم يُشر إليها في صحفه المحلية.. مما يفقده الثقة في الإعلام المحلي، فلا يعتمد عليه كمصدر للمعلومات، ويرتبط أكثر بالصحف التي تعني بنشر الأسرار والخفايا وتحلل المواقف، وتربط بينها، وتتنبأ بما سيحدث!! مما لايتوافر في الصحف المحلية، التي تعني

بعملية الرصد والتتبع التقريري دون أدنى تحليل أو تنبؤ، خاصة بالنسبة للشؤون السياسية.

ومن القضايا الإقليمية التي تناقش كثيراً في الصحف المهاجرة قضية الشرق الأوسط والتحركات المتعلقة بها، خاصة التحركات غير المعلنة.. وقضية أمن الخليج والتدخل الأمريكي فيه، أو بالأحرى تنافس القوى العالمية الكبرى على النفوذ إليه، والحركات المناهضة لنظم الحكم الخليجية بوجه عام.. والتي تتحرك في الخفاء.. والتهكم على التنافس العمراني بين حكام الإمارات[1]،وعدم توافر الأمن الداخلي، وإخفاء الإعلام المحلي لكثير من الأخبار، أو عدم إعلانها.. رغم معرفة الناس بها، واختلاف الرأي إعلامياً حول ضرورة إعلانها كنوع من التوجيه الهادف، أو ضرورة إخفائها وتجاهلها خوفاً من إحداث بلبلة، قد يكون لها أثرها على رجال المال والأعمال، وعلى النشاط الاقتصادي بوجه عام.

كل ذلك مع تحليل لعلاقة الشعوب بحكامها، وانتقاد نظمها الديمقراطية، وتشبيهها بديمقراطية القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وأن المجالس النيابية كمثال يمكن أن تتناول سعر البطاطس واستيراد اللحوم الطازجة، أما السياسات العليا فلا شأن لها بها.. كما أن ما يتخذ من قرارات في معظم المجالس النيابية غير ملزم ويمكن عدم الأخذ بها.[2]

هذا وتنقل بعض الصحف المهاجرة مادتها الخبرية عن الصحف الغربية دون تدبر، وكنموذجٍ لذلك مجلة «المستقبل» التي تصدر في باريس، والتي نشرت مقالاً مطولاً عن التخوف الخليجي من أخطار داخلية وأخرى خارجية.[3] والمجلة تنقل هذا الخبر عن مجلة هي «جون

---

(١) الحوادث، العدد ١٢٤٠، في ٨/٨/١٩٨٠، ص ١٨ - ١٩.

(٢) مجلة النهار العربي والدولي، في ٤ - ١٠ أغسطس ١٩٨٠، ص ٢١ - ٢٣.

(٣) المستقبل، العدد ١٨٨، في ٢٧/٩/١٩٨٠، ص ١٧.

أفريك» الفرنسية المعروفة بعدائها للعرب وبميولها الصهيونية. وذلك لاشك يعكس خطورة دور الصحافة المهاجرة في النقل عن صحف غربية معادية دون أدنى التزام، إلى جانب نقل الصحف الغربية عنها كل مايخدم اتجاهاتهم.

هذا وتقوم الصحف المهاجرة بدور لايستهان به في إثارة البلبلة على المستوى الإقليمي، ففي إطار مناقشتها لدوافع وأسباب الحرب الإيرانية ـ العراقية ورصد أخبارها تورد بعض الصحف المهاجرة أخباراً وتحليلات دون تقدير لعواقب نشرها محلياً داخل دول الخليج.

كما تورد الصحف المهاجرة آراء من يسمون «بالخبراء» في شؤون الخليج، وفي شؤون الشرق الأوسط عامة في المؤسسات الأمريكية، وذلك دون تحفظ على مايوردون من آراء، وكمثال لذلك ماكتبته مجلة المستقبل على لسان أحد هؤلاء الخبراء الأمريكيين، والذي جاء فيه عن منطقة الخليج بوجه عام:

«إن المنطقة بكاملها هشة ومعرضة للسقوط في أية لحظة، تاريخها حافل بالانقلابات والثورات والتغييرات الدموية؛ أكثر حكامها تولوا السلطة بواسطة العنف.... بالانقلاب أو بالثورة على من كان قبلهم في الحكم، حاربوا ويحاربون بعضهم البعض عبر التاريخ، فالتاريخ العربي معبَّد بالحروب الدموية بين العرب أنفسهم. أليس مايحدث في لبنان مثالاً وشاهداً على ما تعيشه اليوم ؟ يضاف إلى ذلك ما تعانيه منطقة الخليج من الغنى المفاجئ ومشاريع التنمية الضخمة، والأيدي العاملة الآسيوية، التي أصبحت تهدد وجود السكان الأصليين للبلاد، بتدافعها المريب للدخول إلى الخليج. فأوضاع الإمارات الداخلية تناقش في برلمان مقاطعة كيرالا الهندية، ووزير العمل الهندي يتهم سلاطين الخليج بإساءة معاملة العمال الهنود، ويقول إن مواطنيه الهنود قد أصبح لهم حقوق ولم يعد لهم مطالب.. ما أقصر نظر العرب، ظنوا أن الآسيويين

أفضل من عرب المشرق أنفسهم؛ لأنهم غير مُسيَّسين.. رغم أن تاريخ العالم حافل بهذه السوابق فهل دخل الهنود بلداً وخرجوا منه، جنوب إفريقيا، شرق إفريقيا، حتى بعد طرد عيدي أمين لهم، سنغافورة، حتى فيتنام وكمبوديا وتايلاند. تلك دول فقيرة فكيف بالأحرى بدول غنية كدول الخليج قليلة السكان. إن خطر العمالة الآسيوية هو الخطر الحقيقي»[1].

هذا وقد دأبت هذه المجلة بالذات «المستقبل» على الخوض في تفاصيل الشؤون الداخلية لدول الخليج مؤكدة على الخطر الذي يهدد المنطقة ككل من جراء الهجرة الآسيوية، التي أسمتها في عدد آخر «حرب المرتزقة في الخليج»[2]. وهي في إطار التنبيه إلى خطر هذه الهجرة تسيء إلى دول الخليج نفسها.

هذا وتتبنى الصحافة المهاجرة دائماً وجهات نظر الجبهات المعادية للحكومات، ورصد تحركاتها، ونشاطها، وتصدي الحكومات لها، وذلك بأسلوب يبدو منه التعاطف مع هذه الجبهات. ومن النماذج على ذلك ما كتبته مجلة «المجلة» الصادرة في لندن تحت عنوان «هل ينتصر التاريخ على الجغرافيا؟» تحليلاً للوضع التاريخي والجغرافي لمنطقة الخليج بدءاً بالكويت ثم البحرين[3]، ويشير هذا التحليل إلى وجود خلايا سرية في المنطقة كانت الصحف المهاجرة تنشر أحياناً تغطية لنشاطاتها المعادية للنظم العربية تحمل شيئاً من التضخيم. ذلك أن نشر الحقيقة دون أدنى التزام عربي يمكن أن نلمسه أيضاً في نشر تصريحات مسؤولين غير عرب في الصحف المهاجرة، دون أدنى تحرج مما قد تتضمنه هذه التصريحات من إساءة إلى بعض النظم العربية، وكمثال

(١) المستقبل، العدد ١٧٨، في ١٩ / ٩ / ١٩٨٠، مقال لرياض نجيب الريس.

(٢) المستقبل، العدد ١٨٨، في ٢٧ / ٩ / ١٩٨٠، مقال لرياض نجيب الريس.

(٣) المجلة، العدد الثالث، ١ - ٧ / ٣ / ١٩٨٠.

لذلك نشر تصريحات المسؤولين الإيرانيين التي تتضمن تجريحًا لدول الخليج ،واتهامها بأنها «ترفع شعار الجاهلية» وأن «حكامها غير مؤمنين» وأنها «دول إقطاعية تدعي أنها مسلمة» خاصة بعد نشوب الحرب العراقية - الإيرانية ووضوح الميل العربي، والخليجي بالذات، إلى تأييد العراق ضد إيران(1).. ذلك بالإضافة إلى نشر الصحف المهاجرة وبعض الصحف العربية للتهديدات الإيرانية لدول الخليج، ومحاولة تضخيم الخطورة التي تتهدد هذه الدول، والاجتهاد في عمل مقارنات بين القوى.

هذا وقد لجأت الصحف المهاجرة إلى أساليب السخرية والتهكم على بعض النظم العربية الخليجية.. سواء فيما يختص بالتصريحات الرسمية للمسؤولين والحكام، أو فيما يختص ببعض الأمور الداخلية. ومن النماذج على ذلك مانشر من تهكم على حاكمي إمارتي دبي والشارقة وشهرتهم في بناء الأنفاق والجسور(2)، كذلك مانشرته مجلة «المجلة» التي تصدر في لندن من تهكم على دولة الإمارات في مقال «هل ينتصر التاريخ على الجغرافيا؟»(3) المشار إليه سلفاً.

هذا وتتناول الصحف المهاجرة بصراحة وبجرأة التصرفات الشخصية للعرب في الخارج، خاصة عرب الخليج، وكنموذج لذلك التحقيق الذي نشرته مجلة «النهار العربي والدولي» الصادرة في باريس تحت عنوان «العرب في باريس أغنى الأغنياء وأفقر الفقراء»(4) وأبرزته على ست صفحات عدا الغلاف، وزودته بصور لعرب خليجيين ولإحصاء مصروفاتهم الشخصية في فنادق باريس الكبرى، إلى غير

---

(1) العصر، العدد 19، في 3/ 10/ 1980.

(2) الحوادث، العدد 1240، ص 18 - 19، أشير إليه سلفاً.

(3) المجلة، العدد 3، في 1 - 7/ 3/ 1980

(4) النهار العربي والدولي، في 8/ 6/ 1980، ص ص 40 - 44 .

ذلك كثير من الأمثلة.

هذا وتكمن خطورة الصحف المهاجرة في شموليتها كل القضايا العربية دون تركيز على واحدة أكثر من غيرها، فكما نجد أن لهذه الصحف موقفاً من عملية السلام المصري ـ الإسرائيلي، نجد أنها أيضاً تهتم بقضية أمن الخليج، وبالحرب اللبنانية، وشؤون لبنان الداخلية، وبالخلاف بين المغرب وموريتانيا، ومشكلة الصحراء المغربية واستقلالها.

والصحف المهاجرة في كل ماتنشره حتى ولو كانت مأجورة تدعي أنها حريصة على الحقيقة المجردة، والخطورة تكمن في أن الرأي العام العربي يتوسم في هذه الصحف الحيدة، ويجعلها مصدراً موثوقاً لمعلوماته، ومن خلالها يمكن تغيير اتجاهات الرأي العام، وعلى هذه الأوتار كانت تعزف دائماً الصحف المهاجرة مشيرة إلى أنها صحافة حرة محايدة[1] تقول الحقيقة وتتعرض للمصادرة في معظم الدول العربية، ولا يخفى ما في ذلك من إيهام بصدق كل ما تنشره، مما يمكن أن يغتر به فكر العامة، وتكمن وراءه الكثير من المغالطات.

كما لا ننسى أن نشير إلى أن المستوى الفني التحريري والإخراجي لمعظم الصحف المهاجرة يفوق مستوى الصحف المحلية في بعض الدول العربية.. مما يزيد من خطورة الصحف المهاجرة، نتيجة للإقبال المتزايد على قراءتها، فنجد الكل حريصاً على مطالعتها.. وميالاً إلى تصديق مايرد فيها من أخبار ـ دون تبصر، وهو أمر كان بالإمكان استغلاله لتحسين الصورة العربية.. وليس لتشويهها.

---

(١) الهدف، في الخميس ٢٧ أبريل ١٩٧٨، ص ٢١.

الفصل الثالث

صورة العرب في المصنفات الفنية

للمصنفات الفنية بوجه عام أثرها البالغ في الأذهان نظراً لانتشارها.. وإقبال جماهير عريضة عليها، بوعي، وبدون وعي.. متلقين لمحتواها.. تاركة تأثيرها في نفوسهم وفى تكوين صورهم الذهنية عن الأشياء والأشخاص.. بل وعن شعوب بأكملها.. ولعل المصنفات الفنية بكل أشكالها من فيلم سينمائي أو تلفريونى إلى شريط فيديو أو شريط مسموع (كاسيت) أو أسطوانات غنائية، وبكل ماتملكه من قدرة على التأثير في جماهير عريضة ومتنوعة المشارب والقدرات.. هى الوسيلة الأكثر تأثيراً من غيرها.. فإذا كان للكتب أثرها على الجمهور القارئ والمثقف، وللصحف أثرها على الجمهور القارئ الملم بالقراءة ونصف المثقف، بما لها من تأثير تراكمى مُلحّ، فإن للمصنفات الفنية أثرها البالغ على الجميع سواء المتعلمون أو المثقفون أو حتى الأميون... ذلك من حيث عمومية التأثير، أما من حيث شدته، فإذا ماحاولنا قياس مدى التأثير الذى تتركه حاستا البصر والسمع لوجدناهما بالقطع أشد من تأثير حاسة واحدة.. بل إن فيلماً واحداً كـ«موت أميرة» أو «القرصان» ليترك أثراً أعمق وأعرض مما يتركه كتاب يطالعه الخاصة، أو صحيفة تأثيرها وقتى... ويميل الجمهور الواعي إلى عدم تصديق كل مايرد بها.

ولعل ذلك ماحدا بنا في هذا المقام إلى تخصيص فصل قصير عن الأفلام والأشرطة المسموعة والمرئية.. فالسينما أو ما يسمى بالفن

السابع هى الأكثر تأثيراً في عالم اليوم، وهى الفكر النافذ إلى كل العقول، ووسيلة الإعلام التى لاتطالب مُستقبلها بأية كفاءات أو قدرات على القراءة أو التحليل، فقط تكفى قابلية التلقى، والسينما هى الوسيلة الدعائية المهمة التى يروَّج من خلالها للفكر المريض.. ويشوَّه من خلالها كل مايراد تشويهه.. وتستغل أسوأ استغلال في الحرب الباردة الناشبة في العالم، وتأتى أهميتها من منطلق أن العرب من الشعوب التى نالها حظ وافر من التشويه على يد السينما الغربية، والأمريكية، بعد الهنود الحمر والأفارقة، الذين كان لهم الحظ الأوفر.

فالعرب والمسلمون أصبحوا منذ سنوات ، الصرعة أو الموضة الجديدة في السينما العالمية، بتأثير من النفوذ الصهيوني المسيطر على هذه الصناعة وإنتاجها.. فالأفلام التاريخية التى تتناول صدر الإسلام، والدولة العباسية، والعثمانية بدأت تنتشر، ناهيك عن أفلام الحواديت والحكايات الخيالية المأخوذة عن ألف ليلة وليلة، من مثل علاء الدين وعلي بابا والسندباد ، سواء كانت أفلاماً روائية أو أفلام كرتون للأطفال بكل ما لها من جاذبية كما أن أفلام المغامرات والمطاردات بدأ يدخلها أيضاً العنصر العربي كوسيلة لتشويه الصورة العربية.

والعرب كموضوع في السينما العالمية، وإن كانوا يشكلون قطرة في خضم ما ينتج، إلا أن أول الغيث دائماً قطرة.. وهو مايبشر بإنتاج أكثر، تكثف فيه الجهود للإساءة للعرب وتشويه صورتهم من خلال فن جماهيري تجاري.... ناهيك عن مساهمة هذا الفن فعلاً في هدم المقومات النفسية والقومية للشخصية العربية فى الواقع من خلال رواج الإنتاج السينمائي الغربي في المنطقة العربية، وحتى يصدق الزعم عن السينما كإعلام مغرض ووسيلة لترويج فكر مريض... سيكون هذا المبحث استعراضاً لأساليب السينما العالمية في الإساءة للعرب.

السينما إعلام مغرض

من المعروف أن السينما أكثر الوسائل الإعلامية والدعائية انتشاراً وتأثيراً بعد التلفزيون.. بل ويحتل ماتنتجه مساحة كبيرة من ساعات الإرسال التلفزيونى، بما يعرض من أفلام سينمائية؛ ولذا لم يألُ الغرب جهداً في سبيل استخدام هذه الوسيلة الفعالة والناجعة، وذلك لتحقيق غايتين.

الأولى: تشويه الصورة العربية.

الثانية: الترويج للفكر الهدام.

بل لعل السينما هي أكثر الوسائل الإعلامية تكريساً للفكر الهدام، الذى من شأن انتشاره مسخ الشخصية العربية، وتحقيق الصورة التى يرسمها لها الغرب افتراءً، وتحويلها إلى واقع، فالإلحاح الإعلامي بأسلوب المس السريع والمتكرر لأية فكرة، هو من أنجح الأساليب الإعلامية وأسرعها تأثيراً.

والسينما تقوم بدورها المزدوج من خلال أفلام:

* الإنتاج الضخم التى ينفق عليها الملايين (أفلام روائية).
* أفلام الفيديو كاسيت (التى راجت مؤخراً فى المنطقة العربية).
* الأفلام التسجيلية والدعائية الخاصة بأندية السينما، ودور العرض الخاصة.
* أفلام الكرتون.

وعن طريق هذه القنوات والروافد يُنفَّذ المخطط المدروس بشقيه، باستخدام كل إمكانيات العمل السينمائي، من تصوير، وديكور، وملابس، وحوار، وقصة، وإخراج، يجندها جميعاً تمويل سخى يملكه أعداء العرب، ولايملك العرب التصدى له بالرد حيث إن صناعة

السينما فى العالم العربى لم تصل بعد إلى الأسواق العالمية [1] بالقدر المطلوب ؛ ولم تحظ بالقدرة على إقناع العالم بغير ماتبثه السينما الغربية والأمريكية، ذلك لأننا لانملك عالميًا وسيلة المنع ولا وسيلة الرد.. وكل مانملكه هو السيطرة على أسواقنا المحلية، بمنع عرض الأفلام التى تسيء للعرب، والتى تروج للفكر الهدام، وذلك من أجل خلق إعلام موجه من بين ما يُستورد، وحماية الرأي العام العربي من التيارات المستوردة المغرضة، وحماية الشباب العربي من الانحلال، والتفسخ، الذي تروج له السينما الغربية... ووسيلتنا هى منع عرض الأفلام، أو نقد موضوعاتها في الصحف والمجلات العربية، وذلك بالطبع لايصل إلى خارج البلاد العربية ؛ ليطلع عليه الرأى العام العالمى.

أما عن الأسلوب الذى تتبعه السينما الغربية لتحقيق هدفها، فيتمثل في عناصر محددة.. لكنها قابلة للابتكار والتجديد مع كل إنتاج جديد، إذ لم تعد الإساءة للعرب وتشويه صورتهم قاصرة على الأفلام السياسية والتاريخية الواضحة الهدف، وإنما أصبح العرب مادة جيدة لأفلام المغامرات والجنس والأفلام البوليسية والمطاردات، وأفلام الرعب والعنف والشعوذة، حتى بات الإنسان العربى الآن هو العنصر المشوق في معظم الأعمال السينمائية، بما يُشاع حول شخصيته على الشاشة من غموض شرقي يثير الجمهور الغربي، وكأن السينما الغربية والأمريكية قد انتهت من مهمة تشويه صورة الهندى الأحمر والإفريقى الأسود، من خلال أفلام الخمسينيات، والستينيات، التي كان التركيز فيها على تصوير مدى تخلف الهنود الحمر والأفارقة العبيد، ورفضهم للحضارة والتمدين، وعدوانيتهم، وخيانتهم، وقذارتهم، وتكاسلهم، واعتقادهم

---

(١) لامجال لإنكار وجود أفلام جزائرية وفلسطينية ومصرية جادة فيها محاولات لتصحيح الصورة العربية ..لكنها لا تمثل ردا كافياً كماً أو كيفًا على افتراءات السينما العالمية.

في الخرافات.. إلى آخر ملامح الصورة التي نجحت السينما العالية في رسمها لهؤلاء، على مدى عقدين من الزمان، ثم جاء دور الرجل العربي في السبعينيات؛ لترسم صورته المشوهة على الشاشة، ويراها ملايين المشاهدين، وتثبت الصورة في مخيلتهم بأبعادها السيئة؛ لخلو المجال من سينما عربية جادة تصحح هذه الصورة، وتكون مرآة صادقة للشخصية العربية.

هذا وتتمثل أساليب السينما العالمية في:

* تمجيد قدرات الرجل الغربي في كل زمان ومكان.
* تصوير العربي كشخصية متخلفة... خيانية.. عدوانية... إلخ.
* نقل صورة عن انحلال المجتمع العربي واتصافه بالإباحية، وإن كانت تمارس سراً.
* إهدار القيم، والإساءة إلى المثل العليا، المتمثلة في الوالدين، أو الزعماء والقادة.
* ربط الجنس بكل الموضوعات أيًا كانت ؛ سياسية، أو تبشيراً، أو عنفاً.
* إحلال معتقدات خرافية محل الديانات... (كالشعوذة والسحر والأرواح..... إلخ).
* التبشير بأديان غير الإسلام ، والإساءة إليه.

ولعل المزج بين كل العناصر السابقة هو مانراه من إنتاج سينمائي، يموه فيه الهدف الحقيقي لأي إنتاج - إن كان ثمة هدف محدد - حتى أن الأفلام التجارية التي لا تندرج على قائمة الأفلام المتعمد فيها الإساءة للعرب، نجدها تؤدي جزءاً من الدور المطلوب.. فالأفلام التجارية هدفها البيع والرواج دون الاهتمام بالآثار المترتبة على هذا الرواج.. وهي في الغالب تمس موضوعات جذابة بالنسبة للمشاهد العادي، وهي موضوعات الجنس، والجريمة والعنف والعري وما إليه.. وقد أصبح

الافتقار إلى الهدف، هدفاً في حد ذاته.. إذ يعكس مايعيشه الغرب من عبث ومايريدون لنا أن نعيشه.

ولنبدأ بمناقشة أول أساليب السينما العالمية في تحقيق أهدافها المضادة للعرب.. ألا وهو تمجيد الرجل الغربي، في مقابل مسخ الرجل العربي، والأمثلة على التمجيد كثيرة، وهي تتدرج مع تدرج الفهم العام للمجد.. فحينما كان المجد للقوة الجسدية كانت أفلام «طرزان» وشخصيته هي صورة الرجل الغربي، في مقابل الأفارقة المتخلفين.. وحينما تطورت النظرة إلى المجد إلى الفروسية والعراك كان التركيز على أفلام "رعاة البقر" في مقابل الهنود الحمر، وحيثما أصبح المجد للذكاء والعقل، أصبح الرجل الغربي هو العالم والمفكر، ورجل الشرطة الذكي، والقائد والسياسي المحنك، في مقابل العرب المتخلفين عن كل ذلك، واستمراءً في المبالغة، أصبح الخيال والأفلام العلمية المستقبلية، أو الخيالية، هي آخر صرعات السينما العالمية، وأصبح الرجل الخارق، والمرأة الخارقة.. هما نموذج الشخصية الغربية في مقابل مايرسم للشخصية العربية من ملامح سيئة.

والعجيب أن صرعة تقديم الرجل العربي في صورة سيئة قد انتقلت عدواها من السينما العالمية إلى السينما الهندية [1] فظهرت عدة أفلام هندية تسيء للعرب وتصورهم كلصوص، وأفراد عصابات، وتجار رقيق، وقراصنة، وكنموذج على ذلك فيلم (ANEK-DIN AGGEY) ، وفيلم «علي بابا» (ALY BABA) الهندي، الذي يظهر العرب كنخاسين ولصوص، ويطعن في نزاهة القضاء العربي، ويستهزئ باللباس العربي.

كذلك الفيلم العالمي "لورانس العرب" الذي يُعطي صورة سيئة ومغلوطة عن العرب، ويسيء إلى الحياة البدوية خاصة في المملكة

---

(١) للسينما الهندية خطرها وتأثيرها في بعض الدول العربية نظراً لكثرة عدد الأفلام الهندية المعروضة في هذه الدول.

السعودية، كذلك فيلم (EAST OF SUD) الذي يسيء إلى الشعب السوداني.

ولم يقف الأمر عند حد الأفلام السياسية والتاريخية فحسب، فقد أصبح العرب عنصراً مهمة في أفلام المغامرات، التي تصورهم كأفراد عصابات ومغامرين، وكنموذج على هذا فيلم «الأصبع الحديدي يضرب ثانية» (IRON FINGER STRIKE BACK) إخراج چون فكندا، كذلك فيلم (NEVER IN FRIDAY) الذي ينضح بالجنس، ويسيء إلى العرب من هذه الزاوية (الجنس)، كذلك الفيلم الإنجليزي «مليون دولار لسبعة قتلة» (A MILLION DOLLORES FOR 7 MIRDERS) الذي يصور أحداث عنف درامية، ومطاردة جاسوسية تدور على أرض مصر، وهو بالطبع لايطابق الواقع في مصر، أو أية أرض عربية على الإطلاق، حيث لا يحدث أن يكون للشرطي دور فردي كما هو الحال في الغرب، ذلك بالإضافة إلى ماتضمنه الفيلم من إساءة لدولة عربية والتشهير بها، حيث يصور أن أرض مصر مجال رحب للصوصية والعنف كما يستعرض أحداثاً، المفترض أنها وقعت في صعيد مصر (أكثر مناطق مصر تزمتاً) فيصورها على أنها مجون، ورقص، وميسر، وخمر.

وأيضا نجد الفيلم الإنجليزي (BROTHERS TILL WE DIE) (إخوة حتى الموت) وهو فيلم بوليسي تدور أحداثه على أرض عربية، إذ يحكي قصة اثنين من اللصوص هربا من الغرب إلى ليبيا فآوتهما، وتدور الرواية حول هدف واحد، هو تصوير العرب في هذه المنطقة كإرهابيين، ولصوص يتصفون بالعنف.. والفيلم إجمالاً مليء بالألفاظ المسيئة للعرب، وعبارات الطعن فيهم، خاصة الليبيين وقادتهم، كما يشير إلى ملوك البترول، ويتحدى العرب ويستهزئ بهم، وتدور المطاردات في الفيلم في مناطق البترول كنموذج لهمجية العرب، وتدليل عليها.

كـذلك الحال بـالنسـبـة لأفـلام المغامـرات التي بـدأت تغزو الـسـينمـا الهندية كعدوى من السينما العالميـة ، نجدهـا أيضاً تركز في هذه النوعـية من الأفلام على أن العرب لصوص، وأن الجنس والخمر هما المحرك الأول لهم، ومـحـور حـيـاة العـرب.. وكـنمـوذج لذلك فـيلم (E. K. SEBAD HOR) الذي يحكي قـصـة سرقة ماسـة كبيـرة بواسطة عصابة متخـصـصـة أعضـاؤها من العرب، يركز فيهـا على تصوير العربي كمخادع وخائن، إذ كـان عـضـواً في العـصـابة، ثم انقلب ضـدهـا، ناهيك عن التركـيـز على أهمية الجنس بالنسبة للعرب.

ولعل كل مـاسـبق من إساءات للعـرب يأتي في إطار قـصـة خـيـاليـة أو بوليسية، يدس في ثناياها بشكل غيـر مباشر، وأحياناً بـشـكـل مبـاشـر وصـريح.. وذلك بهـدف تصـوير العرب كـمـجـرمين وإرهابيـين في كل أمـورهم الحـيـاتيـة، ليـتـخـذ هذا التـصـوير، أو هذا الزعـم، ذريعـة لتـأكـيـد الهـدف الرئيـسـي للسـينمـا العالميـة الممولة من الصـهـيونيـة، وهو الإسـاءة إلى عـرب فلسطين بالذات لإثبـات عـدوانيـتـهم، وعـدم أحقـيـتـهـم فـيـمـا يطالبون به.

ولعل أبرز الأمثلة على هذا الهدف الصـريح فيلم يوم الأحد الأسـود (BLACK SUNDAY) الذي يـصـور الفـدائيين الفلسـطينيين كـإرهابيين؛ لاعتـدائهم على ملعب رياضي يضم ثمـانين ألف متـفـرج، يظهـر بينهم الفدائيون مهددين بإلقاء القنابل والمتفجرات، مثيرين الرعب والذعر بين النـاس، ثـم يتـدخل البـوليس الأمـريكي الـسـري لقـلـم المخـابرات الاتحـادي الـ(F.B.I) لمنعـهـم من تحـقـيق غـرضـهـم، كـمـا يـصـور مـحـاولة الفدائيين زرع ألغام في أمريكا.

وهذا الفـيلم يعتـبر قمة الإساءة المباشرة للعرب عمـوماً، وللثورة الفلسطينية بشكل خاص.. فالقصة التي استوحت من العملية الفدائية التي تمت في أولمبياد ميونخ، استطاع الصهاينة تحريفها، وتشويهها بما

يحقق الغرض من الإساءة إلى العرب.

والمعروف أن السينما العالمية تربط شتى الموضوعات التي تعرضها بالجنس كعنصر جذب.. فلا يخلو فيلم تاريخي، أو اجتماعي، أو بوليسي، أو حتى تبشيري من الجنس، كعنصر مكمل جذاب، يتمثل في ممارسات تفصيلية واضحة.. تتمثل في عري كامل، أو جزئي بهدف الإثارة الجنسية والإغراء.. ومناظر خليعة وشذوذ، وتناقض مع طبائع البشر، وأجناسهم، وذلك في خدمة الهدفين الأساسيين وهما:

أولاً: الإساءة للعرب.

ثانياً: نشر الفكر الهدام.

إذ نجد أن الجنس عنصر وظيفي في كليهما.

هذا وقد انتقلت العدوى إلى السينما المصرية، فنجد أنه حتى الأفلام العربية لم يسلم الأمر فيها من الإساءة إلى الشخصية العربية، بل والزعامات العربية من خلالها، وكنموذج على ذلك الفيلم السياسي «أسياد وعبيد» الذي يشوه حقبة مجيدة عاشها العرب المصريون، بالإساءة إلى حكم الزعيم الراحل جمال عبدالناصر، كذلك فيلم "الكرنك"، وهما يتناولان نشاط المخابرات خلال هذه الحقبة، وتكميم الأفواه والعسف في توقيف الأبرياء، وسجنهم على أنه واقع هذه الفترة.. وقد تلا ذلك إنتاج عدد آخر من الأفلام التي تناولت الحقبة الناصرية بالتشويه.. بل وحتى الأفلام الكوميدية لم تعف من ذلك، إذ كان فيلم «إحنا بتوع الأتوبيس» أكبر مثل على هذه النوعية من الأفلام التي تشكك المواطن العربي في قياداته وزعاماته الوطنية،.. لا بل وفي ذاته، وفي أزهى عصور المد القومي العربي.

ولعل الأساليب السينمائية المتبعة في الإساءة لا تختلف كثيراً عن مثيلتها المتبعة في نشر الفكر المريض، وتقويض القيم والمثل العليا، المتمثلة في الروابط الأسرية، والزعامات العربية، والدين الإسلامي،

والنماذج كثيرة لايمكن حصرها فمعظم ، إن لم يكن كل ، الأفلام الغربية لاتخلو من ترويج لفكرة أو عدة أفكار هدامة، وأسلوب حياة غير سوي.

ولتأكيد ذلك نقول إن معظم الأفلام العالمية تعطي صورة مبالغًا فيها عن انحلال وتفسخ المجتمع الغربي، واتصافه بالإباحية والمجون، الذي يصل الى حد الشذوذ، وذلك بما يعرضه من تبرير للرذيلة على نحو يثير العطف على مرتكبيها، بل وتصويرها تصويراً جذاباً كنموذج للتحضر والمدنية، بأسلوب يشجع على تقليد فاعليها.. بل وتكريس معنى أن الغاية تبرر الوسيلة، فنجد أن الأفلام تتخذ الرذيلة وسيلة لتحقيق غايات نبيلة، ولايخفى ما في ذلك من بث قيم هدامة، وحتى إن حرص الفيلم على إنزال لون من العقاب بمرتكبي الرذائل، نجد أن هذا العقاب لايأتي إلا في النهاية، وبعد سلسلة من النجاحات المبهرة، حتى إن عنصر الرذيلة يعتبر هو العنصر الغالب في سياق أحداث أي فيلم.

ولعل ضرب أمثلة أو إعطاء نماذج لمثل هذه الأمور ، لا طائل له ولا نهاية، فأفلام الجنس والجريمة والعنف والمغامرات والمطاردات والرعب تمثل أكثر من ٥٠٪ من الإنتاج السينمائي العالمي؛ لذلك تنعكس هذه النسبة فيما يرد إلى المنطقة العربية من أفلام سنوياً، ويعج معظمه بما يتنافى والآداب العامة وما يهبط بالقيم والأخلاقيات، ناهيك عما تثيره هذه الأفلام من تهديد للأمن العام بما تعرضه من جرائم، وطريقة تنفيذها بما يغري الشباب بتقليدها كوسيلة لإثبات الذات ومحاولة للتقليل من هيبة الشرطة والقضاء، وافتقاد الثقة فيهما، والملاحظ أن معظم أفلام الجرائم والعنف تحاول عن طريق الإلحاح والتكرار أن تعكس تصوراً بأن الجرائم من الأمور الطبيعية في الحياة، بالإضافة إلى إبراز أن المجرم إنسان ذكي ينجح لفترة طويلة في إخفاء آثار جريمته، ويدخل في صراع أو مباراة ذكاء مع رجال الشرطة ينجح فيها حتى النهاية، حين ينزل به

العقاب الذي غالباً ما تصوره السينما على أنه انتحار، أو قتل بالصدفة البحتة، أو، انتقام إلهي، أو تصفية جسدية بين المجرمين.

وذلك يضفي على الشخصيات الإجرامية هالة من البطولة حتى النهاية، في مقابل وصم أجهزة الأمن والقضاء بالغباء، مما يفقدهم ثقة الجمهور، والخلاصة أن مجموع ماينتج من أفلام أجنبية من شأنه الإخلال بالآداب العامة والقيم الاجتماعية في العالم العربي، كذلك تشويش فكر الصغار والشباب، بما يبعث أو يثير فيهم القلق ويؤثر في نفسياتهم، ويشوه دورهم الحقيقي المطلوب منهم القيام به للنهوض ببلادهم.. بل ويدفعهم أو يساعدهم على سلوك عدواني أو إجرامي.

والحقيقة أن السينما أيضا مثل الصحف تمزج دائماً بين صورة العربي وصورة المسلم وتربط بين العادات العربية والمعتقدات الإسلامية. وكمثال لذلك الفيلم المسمى الرعب أو «الإرهاب في الصحراء» الذي نشرت عنه التايمز مجازين مقالاً نقدياً مطولاً، تناولت فيه بدهشة العادات العربية منتهزة الفرصة للادعاء بأن العرب قوم لايتطورون إلا من الظاهر فقط.. وأن عقابهم على مخالفة العادات والتقاليد البدوية عقاب دموي صارخ.. إذ كتبت المجلة تحت عنوان: «فتاة تتحدى أهلها وتحب أحمد.. وقاتل مأجور يجري وراءها» دراما حقيقية حية.. وقد جاء في هذا المقال:

«إن البدو لم يعودوا يعيشون في خيام كالتي كان يعيش فيها أجدادهم الرحل.. فهم يعيشون في مدن مثل بير سبع، ومع ذلك فحياتهم تتغير تغيراً بطيئاً، وتحت القشرة الرقيقة من التقدم، نجد أن لب الحياة البدوية لم يتغير.. ومن أهم هذه التقاليد أن الفتيات البدويات يجب ألا يتزوجن إلا بدويًا. ذلك أن بطلة الفيلم طالبة في المدرسة، وقد خلعت الحجاب، وأعلنت عن حبها للبطل، مما جعلها في نظر أهلها خائنة للتقاليد المستقرة في قبيلتها، ومن ثم لايمكن العفو

عنها أو غفران خطئها، ويجب أن تنال العقاب، وأن يكون هذا العقاب انتقاماً رهيباً»[1].

ويستمر المقال أو النقد الفني للفيلم في وصف الرعب الذي لاقته الفتاة، وجريها في الصحراء وخوفها من كل الرموز الموحية بقتل حبيبها كصورة بدوي يسن سكينًا.. وخلافه.. إلى أن يشير إلى أن الإسرائيليين أنقذوها.. وأن «البطل موشي ديان» كان هو من أنقذها.. فاحترمه أبوها، ويستمر المقال في وصف الموقف الإنساني اليهودي في مقابل الوحشية العربية.

واستكمالاً للإساءة إلى العرب تأتي الإساءة إلى الإسلام، ومحاربته، والتشكيك فيه، وإحلال أفكار وضعية وخزعبلات بدلاً منه، وذلك عن طريق الأفلام التبشيرية (أولاً) والأفلام الخرافية الخيالية (ثانياً) وتضطلع بهذه المهمة السينما العالمية التي تُبَشِّر بالدين المسيحي، كذلك السينما الهندية التي تروج للهندوسية والبوذية وغيرها من ديانات غير سماوية، ذلك عدا الأفلام الخيالية والعلمية التي تشكك في الأديان عامة، وكنموذج الفيلم الإنجليزي (مطر الشيطان)-(THE DEV-IL'S RAIN) من إخراج روبيرت فوست ،الذي يروج للشعوذة، ويتضمن مساسًا بالمعتقدات الدينية، كذلك فيلم (YOUNG FRANKENSTAI-ON) وفيلم (DEVILS EXPRESS) اللذان يعتبران أفلاما خيالية مرعبة ،يمكن تمريرها على أنها لون من التسلية وقطع الوقت.. لكن حوارها هو دعوة صريحة للإلحاد ودحض الدين، كذلك فيلم (متنا عطشًا)، (WE THIRSTY DEAD) الذي يعتبر من أفلام الرعب لكنه يتضمن دعوة للإلحاد، كما نجد من بين أفلام الشعوذة والأرواح التي انتشرت مؤخراً فيلم ليزا LIZA الذي يعتبر فيلمًا خرافيًا يروي قصة امرأة

---

(١) صاندي تايمز ماجزين - ١٩٨٠ - ص ٤٢، ٤٣

Sunday Times magazin-1980-p.42-43.

مصابة بتهيؤات لكن محتواه يدور حول الاعتقاد في الأرواح.

كذلك الفيلم الإنجليزي (BLUE BEARD) اللحية الزرقاء" الذي يعتبر من أفلام الجريمة، إذ يحكي قصة رجل سادي عاجز جنسياً، يهوي قتل النساء ومن خلال فكره المريض يدور حوار الفيلم حول الإلحاد ورفض الدين.

أما فيلم (EXOSCIST) بجزئيه «طارد الأرواح» «والملحد» فهو فيلم علمي يمثل صراعًا بين العلم والدين، ينتصر فيه العلم في النهاية، وفيه ينتصر الشر على الخير، ناهيك عما يضمه من مشاهد مرعبة ومثيرة، تركز على آثار العلاج بالأرواح والشعوذة، إذ يصور أن الصليب يهدي المريض بما له من تأثير مغناطيسي إلى غير ذلك، مما يدل على مدى استغلال كل الأساليب الممكنة لتوصيل الفكر التبشيري والنظريات الإلحادية كفيلم (BLOOD AND LADE) الذي يروج للوجودية ويدعو لها.

وإن كانت الدعوات الوضعية كالسحر والشعوذة والأرواح والوجودية هي جانب من جوانب الدعوة الإلحادية التي تتبناها السينما العالمية، فهناك جانب آخر هو التبشير بدين غير الإسلام، وذلك ماتمثله مجموعة من الأفلام الجادة الواضحة الهدف كفيلم الإنجيل "The Bible" إخراج جوزيس تشارلست وفيلم «الرداء» وغيرها من الأفلام التي تدعو مباشرة للمسيحية وتبشر بها، كذلك الحال بالنسبة للأفلام الهندية التي تروج للهندوسية كفيلم"Thilathama" الذي يعتبر دعاية وتبشيراً بديانات غير سماوية وعبادات وثنية، وفيلمي "Devata" و Amar" "Jeefikkumun اللذين يعتبران دعاية هندوسية صرفة.. وبالطبع يؤثر عرضهما في البلدان العربية والإسلامية.

ولم يقف الحد عند التبشير وحسب، بل ظهرت في الأسواق العالمية أفلام تتناول الإسلام بالتجريح كالفيلم الإنجليزي "You can't

"win EM all" الذي تدور أحداثه في الدولة العثمانية، ويتضمن إساءة إلى الإسلام وإهانة للقرآن؛ بأن يمسكه أمريكي ويلقيه على الأرض.

وحتى فيلم «الرسالة» الذي يعتبر من الأعمال الجيدة التي لا تتضمن إساءة واضحة للإسلام، والذي اعتبره الكثير عملاً إعلامياً رائداً بالنسبة للإسلام، حتى هذا العمل لم يخلو من أخطاء تاريخية دفعت الأزهر الشريف والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مكة لرفض عرضه في البلاد العربية.. رغم أنه عُرِضَ في عدد من البلاد الإسلامية غير العربية، وإن كنت أرى أنه صرخة في واد كان من المفروض عدم منعها. والاكتفاء بتصحيح مسارها إذا كان بها بالفعل أية أخطاء تاريخية.

هذا ونجد أننا في العالم العربي لاحول لنا في صد الهجمات الغربية على ديننا فيما يتصل من بعيد أو قريب بمفهومه كعقيدة أو عمل، أو الإساءة إلى تشريعاته في صورة تشويه أو تحريف ما يحيط به من حقائق تاريخية، أو محاولة إظهار صور الأنبياء والصحابة وأهل البيت في أدوار يقوم بها ممثلون غير مسلمين، سبق لهم الظهور في أدوار ماجنة بما يسيء لصورتهم النقية في أذهان المسلمين.. فقط كل ما نستطيعه هو حماية المشاهد المسلم من رؤية هذه الأفلام، إلى أن نملك أسلوب الرد بلغة السينما على كل ماينال العروبة والإسلام من افتراءات، وحتى يحين هذا الوقت.. فسلاح المنع من العرض هو السلاح الذي يجب التركيز عليه ودعمه بوسائل مراقبة وتفتيش وضبط أقوى؛ منعاً لتسرب أو تهريب أية أفلام سيئة إلى السوق العربية، خاصة من خلال أشرطة الفيديو.. أو من خلال العرض في الفضائيات العالمية، وقنوات الدراما والأفلام المتخصصة.

فلو أن صناعة السينما العربية صناعة متقدمة وواعية لكان بالإمكان إنتاج فيلم أو فيلمين على مستوى عالمي من ناحية التكنيك، تمجد الإسلام أو تحسن صورة العرب بشكل غير خطابي وغير مباشر،

وباستخدام مفردات سينمائية جيدة، وبأسلوب متميز يفرض هذا الإنتاج عالمياً، ويشارك في مهرجانات دولية، ويسمع العالم بأثره صوته، ويقدم صورة متوازنة، إن لم نقل مؤيدة، للحقوق العربية وللشخصية العربية.

ولعل اعتماد النقد الفني والكتابة أسلوباً للتصدي لتحليل الأفلام الأجنبية، هو الأسلوب المتاح حالياً للرد على الهجمة السينمائية الشرسة على الشخصية العربية، التي تحيطها غالباً بهالة من الغموض الذي يوحي بالطرافة والغرابة.. ويعطي انطباعاً عن العرب أبسط مايقال عنه إنه انطباع غير طيب أو غير مريح للمشاهد.. فهو يوحي غالباً بالدهاء والمكر والخيانة والخسة.. من خلال الأزياء والنظرات والتصرفات.. واتباع أسلوب ماكر أو غادر في الهجوم أو الدفاع.. وليس أسلوباً فروسياً يوحي بالمواجهة في نبل.. ولعل صفحات الصحف ليست كافية لذلك.. بل إن وضع كتب تتناول الرد على هذه الهجمة هو الأسلوب الأنجح.. وهو مافعله الناقد الفني أحمد رأفت بهجت في كتابه «الشخصية العربية في السينما العالمية» الذي تبنى نشره وطبعه نادي القاهرة للسينما، وهو كتاب جدير بأن يترجم إلى عدة لغات أجنبية لتميزه في استعراض وتوثيق «فيلموجرافيا» لأهم الأفلام العالمية (١٤١فيلماً) التي تعرضت للشخصية العربية والتاريخ العربي، كما أفرد فصولاً كاملة لمناقشة وتحليل الجوانب المختلفة التي تناولت بها السينما العالمية العرب، من حيث التاريخ العربي، والشخصيات الدينية فيه والتعرض للحروب بين العرب والفرنجة، وبين التتار والعرب، ثم تعرّض للتاريخ العربي الحديث، وكيف تناولته السينما العالمية من خلال الثورة المهدية وحركات التحرر في شمال إفريقيا، ثم مصر من محمد على إلى ثورة يوليو ١٩٥٢.

كما تعرض الكتاب لما أسماه رومانسيات الصحراء، التي تمثلت في

أسطورة الشيخ وفي المرأة العربية.. وتحدث عن الأجواء الشائعة في السينما العالمية في تناولها للعرب من خلال الجو العام لليالي العربية المسماه بألف ليلة وليلة، ومن خلال فكرة الرق والجواري. ثم الملامح المعاصرة للأجواء العربية في السينما العالمية وهي: العرب والبترول، والمثقفون العرب.

هذا وقد ناقش الكتاب فكرة العنصرية الكامنة وراء قناع المناصرة، خاصة بالنسبة للمهاجرين العرب في أوربا.. وتعرض لأثر العنصرية والتعاطف مع اليهود ضد أبناء المهاجرين.

وهو بحق كتاب جدير بالقراءة(*)، وجدير بالترجمة لكي يقرأه الغرب.. فيكون بمثابة رد منا على جزء من التحامل الغربي علينا.. على أن تتبعه سلسلة من المؤلفات في هذا الموضوع.

الأشرطة المسموعة والمرئية:

لاجدال في أن الكلمة المسموعة لها تأثيرها البالغ في النفس، وأن الكلمة المسموعة كوسيلة إقناع أو تحويل للرأي العام، هي الأكثر تأثيراً وانتشاراً، من منطلق أنها تتسلل إلى الأذن دون عناء وأنها لاتتطلب جمهوراً واعياً متعلماً بل تصل إلى الجميع.. وإن كان تأثيرها أكبر على غير المتعلمين الذين قد يبهرهم الأسلوب الذي صيغت به أية فكرة، وتجذبهم الأداة التي تم من خلالها تسلل الكلمة المسموعة إلى آذانهم.

ومن هنا كان للإذاعة خطورتها كوسيلة إعلام حرصت الحكومات دائماً على السيطرة عليها وتوجيهها، بحيث تحمل وجهة النظر الرسمية.. كذلك الحال بالنسبة للكلمة المدعمة بالصورة، والآتية عن طريق التلفزيون، والداخلة إلى كل بيت، وبالتالي كل ذهن.

(*) مطبوعات نادي القاهرة للسينما (٣)، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، مطابع الأهرام بالقاهرة.

ومع تطور وسائل الاستماع والرؤية.. أصبح للشرائط المسموعة والمرئية (للكاسيت ـ والفيديو كاسيت ثم السي دي (CD) والـ(DVD) ، والوسائط المدمجة تأثير بالغ يمكن استغلاله في تغيير اتجاهات الرأي العام، بالنسبة لأكبر قطاع ممكن من الجماهير.. دون تقيُّد بحدود المكان والزمان، إذ يتوفر لهذه الوسائل قدرة فائقة على الانتشار، تساند قدرتها على التأثير، ولعل العالم الغربي من أكثر المدركين لهذه الخصائص والميزات، ومن أكثر المستغلين لها، في الترويج لفكره المريض، وأفكاره المعادية بأساليبه المسيئة لنا.

وإدراكاً منا لأهمية هذه الوسيلة الإعلامية الشعبية خصصنا هذا المبحث عن الكاسيت، والفيديو، كوسائل للدعاية المضادة لنا. ولعله أفضل من الحديث المجرد عن أهمية الكاسيت كوسيلة تأثير في الرأي العام تجاه قضية ما.. أن نضرب أمثلة ونعطي نماذج لاستخدامه في مجالات شتى، سياسية وإصلاحية وفنية، في مجتمعات مختلفة، حقق من خلالها شعبية ساحقة للمادة المسجلة عليه، سواء كانت فكراً أو فناً أو سياسة.

وتدليلاً على أن هذه الوسائط الصغيرة قد أصبح لها خطورتها، يأتي ما أطلقته بعض الصحف على الثورة الإسلامية في إيران من تسميات، كان أبرزها تسميتها «ثورة الكاسيت»، إذ تمكن الإمام الخوميني من تحريك شعب بأكمله وهو بعيد عنه مئات الأميال، عن طريق تهريب أشرطة تسجيل تحمل عصارة فكره في شكل خطب بصوته تحث الناس على رفض واقعهم والثورة عليه، وغني عن البيان ماتوفر لهذه الأداة من وسائل النقل والنسخ الرخيصة، التي حققت لها شعبية ساحقة.. وغني عن التعليق والإيضاح ماكان للكاسيت من تأثير على شعب بأكمله، ليتحرك في ثورة شعبية ساحقة تطيح بمُلك عتيد.

وإن كان استخدام الكاسيت في الثورة الإيرانية وما أحدثه من تأثير

نموذجًا سياسياً وعسكرياً.. فإن للكاسيت دور آخر على الصعيد الاجتماعي، لا يقل أهمية عن مثيله في إيران.. ففي مصر - على سبيل المثال - كانت هناك أشرطة تسجيل منتشرة بشكل شعبي دون علم أو سيطرة من الحكومة.. تحمل أشعاراً سياسية لشعراء شبان رافضين للواقع المصري السياسي والاجتماعي، ومن أمثلة هذه الأشرطة ما يحمل قصائد للشاعر أمل دنقل، والشاعر نجيب سرور، والشاعر أحمد فؤاد نجم، سواء منها الملحن بصوت الشيخ إمام، أو المقروء في جلسات خاصة، ومن عجب أن هذه الأشرطة لا يكتفى بتوزيعها داخل مصر.. بل يتسرب عدد منها إلى المصريين العاملين خارجها، كوسيلة لشحن نفوس الجميع، كذلك نجد أشرطة عديدة تحمل خطب إمام مسجد في القاهرة يدعى «الشيخ كشك» يهاجم فيها الحكومات علناً، ويكشف تجاوزهم للشريعة، وبغض النظر عن محتوى ومضمون ما يقول من آراء على هذه الأشرطة، فالحقيقة التي لا فرار منها أن هذه الأشرطة قد حققت شعبية نادرة، وعرفت جمهوراً عريضاً بفكر أناس لم يُتَحْ لهم تقديم أفكارهم بأي من الطرق المسموح بها، وكنموذج أحدث لاستخدام هذه الوسائط أشرطة الفيديو المسجل عليها لقاءات بعض الدعاة الجدد من أمثال عمرو خالد وغيره..

ومما يدلل أكثر على أن الكاسيت أصبح وسيلة شعبية، بل تتحقق من خلالها الشعبية لأمور كثيرة، أن بعض المطربين ممن لم يفتح لهم المجال في الإذاعات، قد حققوا شعبية ساحقة، من خلال أشرطة الكاسيت، لم ولن يستطيعوا تحقيقها عن طريق أي من وسائل الإعلام الأخرى.. بل إن انتشارهم رغم تردي مايقدمونه قد جاء من منطلق عدم السماح لهم بالتداول رسمياً، فانطبق عليهم القول بأن «كل ممنوع مرغوب»، ومنحهم صفة الخصوصية.. وذلك أيضاً يدل على مدى ماقد تستغل به الأشرطة من الترويج للغث من الفكر والرديء من الفنون، وهو مايحدث

فعلاً من انتشار الكاسيت المسجل عليه الغناء الغربي الماجن، والأشرطة التي تنضح بالجنس، والتي تعد معاول هدم لأي مجتمع، ولم يكن مجتمعنا العربي معرضاً لتلقيها إلا عن طريق هذه الأداة، وهي الأشرطة.

هذا ولابد من الإشارة إلى المعانى والأفكار التي تُكرَّس في الغناء الغربي، والأفلام التي تتداول في شكل أشرطة مسموعة أو مرئية، وهذه الأفكار هي:

* الإشادة بإسرائيل.
* السخرية من العرب والإساءة لتقاليدهم.
* الإساءة إلى الإسلام.
* التهكم على الأديان بصفة عامة.
* الإساءة إلى العرب.
* الجنس الفاضح والشاذ.

أما عن الأساليب والموضوعات المستخدمة لتكريس المعاني السابقة فهي:

* التغني بالآثار الصهيونية في فلسطين.
* الترويج للغة العبرية بحشو الأغاني بألفاظ منها.
* استعراض العمليات الفدائية بما يسيء للفلسطينين (في أفلام الفيديو).
* التهكم على العرب والرسميين منهم بشكل خاص.
* تحويل آيات القرآن إلى أغاني راقصة.
* عرض قصص الأنبياء والتبشير بديانتهم (اليهودية والمسيحية).
* توفير الإمكانيات التي تحقق انتشاراً عالمياً.
* توفير الإمكانيات المالية التي تخرج عملاً جيداً مدروساً.

وبعد هذا التحديد نستطيع الخوض في تفاصيل ما يقدم من خلال الأشرطة المسموعة والمرئية. وما يتغنى به الشباب العربي دون تقدير

لخطورته مستمتعين بما يصاحبه من موسيقى شجية أو رؤية ممتعة.. خاصة بعد انتشار الأغاني المصورة بأسلوب «الفيديو كليب»، ومايتوافر له من تقنية وإبهار، وماتحويه لقطاته الخاطفة من عناصر جذب، دون أدنى التزام ديني أو خلقي.

ومن النماذج التي تتغنى بالآثار الصهيونية في فلسطين بما يدعم وجهة النظر الصهيونية في الحق الإسرائيلي في فلسطين، ويثير العطف على اليهود الشريط الفرنسي[1] (Ies Plus Grands Success) الذي يحوي أغنيتين إحداها تتغنى بحائط المبكى في القدس، الذي يقصده اليهود ليشكوا عواطفهم ويبكوا.. وهذه الأغنية تتضح فيها الدعاية الصهيونية المغرضة بشكل جلي، إذ تستدر العطف على ضحايا المحرقة من اليهود.. كما يحمل هذا الشريط أيضاً أغنية عبرية تتغنى بسكان القدس اليهود.

ويعد أسلوب المزج بين الغناء باللغات الأوربية والغناء بالعبرية أو مجرد إقحام كلمات عبرية في عبارات الأغاني كما في أغنية "Queen Bicycle" يعد في حد ذاته ترويجاً للعبرية كلغة، وتقريباً لها من قلوب الناس، وبالتالي أسلوباً دعائياً لإسرائيل، أكثر شعبية وقدرة على الانتشار والتأثير.

كذلك نجد أن النصوص القديمة بدأت تُستغل أيضاً في الترويج للأفكار الصهيونية والدعاية لها، ففي أغنية "أنهار بابل" "River of Babylon"[2] نجد أن أصل النص مأخوذ من الإنجيل "المزمور ١٣٧" الذي أنشده منذ ٢٥٠٠ سنة أبناء إسرائيل في بابل.. ولا يخفى ما في اختيار هذا النص من ذكاء؛ ليصبح أغنية شعبية، تحقق نجاحاً كبيراً، وبالفعل

---

(١) غناء ريكا زاراو "RIKA ZARAU" وإنتاج شركة فيليبس ويتم توريده من هولندا.

(٢) تغنيها فرقة (بوني أم) ومسجلة على أغلبية أشرطة الموسيقى الراقصة.

انتشرت في العالم بأسره. وهذا النوع من الغناء الذي يعتمد على أصول تاريخية قديمة أصبح هو الأكثر جاذبية للمنتجين، وللفرق الموسيقية؛ لما يحققه من شعبية، ومن أمثلة هذا النوع من الأغاني أغنية "مخلصوا الأمريكان الزنوج" التي كان لها أثر في التخفيف عن فئة ممن يشعرون بالظلم الواقع عليهم بواسطة مجتمعاتهم وظروف حياتهم.

كذلك الحال بالنسبة للأشرطة المرئية، نجدهم فيها يستغلون القصص القديمة للترويج لمفاهيمهم، ومن الأمثلة على ذلك فيلم بن هور "Ben Hur" الذي يحكي عن نبي يهودي قديم أخذ أبناء إسرائيل إلى بابل.. وهي قصة يهودية قديمة.

أما عن استعراض العمليات الفدائية وتصويرها بما يسيء إلى الفلسطينيين وتمجيد إسرائيل، والإشادة بها، فيجد له مجالاً واسعاً في الأشرطة المرئية أيضاً، وكنموذج لذلك فيلم "Raid on Antebbe" وهو الفيلم الذي يصور عملية مطار عنتيبي على أنها نصرٌ ساحقٌ للذكاء الإسرائيلي على المقاومة العربية، التي يسيء إليها الفيلم أيما إساءة، كذلك فيلم يوم الأحد الأسود "Black Sunday" يعتبر من أبرز الأمثلة التي تصور الفدائيين الفلسطينيين كإرهابيين، ولقد أشرنا إلى محتواه سلفاً.

وفي إطار الإساءة إلى العرب يبرز أسلوب ثانٍ من أساليب الإعلام الغربي وهو التهكم على العرب والسخرية منهم خاصة الشخصيات الرسمية، ومن النماذج لذلك فيلم "الرجل الثاني" "The Next Man" الذي يحكي قصة مدسوسة عن وزير البترول السعودي السابق، ويشير إليه باختيار شخص يشبهه تماماً لتمثيل دوره.. وتنتهي القصة بموته، كذلك نجد فيلم «لورنس العرب» "Lowrence of Arabia" الشهير الذي رُوج له في السينما، ويروج له أيضاً كشريط فيديو؛ ليراه أكبر عدد ممكن من الناس، كذلك فيلم «شرق السودان» "East of Sudan" الذي

يعطي فكرة خاطئة عن السودانيين، وفيلم "رمال الصحراء "Sand of The Desart" وهو فيلم كوميدي عن بلاد الخليج العرب، فهو يشير إلى الشيوخ أو الحكام ويصفهم بالبلاهة والجهل، وحب الجنس وانغماسهم فيه، كما يشير إلى أساليب ممارساتهم السياسية بكثير من التفكه.

ولا يفوتنا ذكر الأفلام التلفريونية المسجلة على أشرطة الفيديو، والتي تعرض في حلقات البرنامج التلفزيوني البريطاني بني هيل شو (Benny Hill Show) التي تضم فقرات فيها كثير من التهكم والسخرية من العرب، خاصة فيما يتصل بعلاقاتهم النسائية.

ولعله من نافلة القول أن نذكر أو نشير هنا إلى الفيلم التسجيلي التلفزيوني المسمى «موت أميرة» والذي أشرنا إليه في الفصل السابق وكيف كتبت عنه الصحف.. وهو موضوع أثار ضجة كبيرة، لم تخف على أي من المهتمين بما يروجه الغرب بشتى الوسائل، والذي كان منعه من العرض من أهم أسباب رواجه وتكالب الناس عليه، وتهافت الصحف على الكتابة عنه وتحليله ونقده.. بل كان من آثاره نشوب أزمة دبلوماسية بين السعودية وبريطانيا.

أما عن الفيلم التلفزيوني الروائي المسمى "القرصان" "The Pirate" فهو النموذج المثالي - إن صحت كلمة «مثالي» هنا - لوصف أقسى عمليات الإساءة والتشويه الغربي للصورة العربية، بما فيه من تشويه لحقائق تاريخية، ومافيه من تصوير للرجل العربي بأنه متلهٌ عن زوجته مما يدفعها إلى الرذيلة، ومنشغل بتجارته عنها.. بل ولا مانع لديه من استخدام زوجته لتسهيل معاملاته وصفقاته.

هذا وقد امتلأ الفيلم بالمشاهد الجنسية التي تصور تكالب العرب على النساء، والرقص الشرقي.. ونشرهم للنقود واللآلىء على الراقصات.. لا بل وأيضاً على الراقصين، للإيحاء بأن العرب يغرمون

بالعلاقات الشاذة، ناهيك عما ورد في الفيلم من تلميح إلى تسامح الإنسان اليهودي ووفائه.. وأننا أبناء عمومه مع اليهود، وأن الإنسان العربي الوحيد النابه يظهر في النهاية أنه يهودي الأصل.

أما عن التهكم على الأديان، والسخرية منها، خاصة الإسلام، ونشر معتقدات وضعية، وطرح موضوعات جنسية إباحية فالأمثلة عليها عديدة، وتتناول بأساليب مختلفة ومنوعة، لكن أبرزها على صعيد الأغنية وأفلام الفيديو هو استخدام القرآن في النصوص الغنائية وعلى الموسيقى الراقصة الماجنة، وأقرب مثال لذلك كاسيت لفرقة "La Bion-da" عليه أغنية باسم عاصفة رملية "Sand Storm" وهو مزيج من الموسيقى الراقصة السريعة والأصوات الرقيعة وفيه جزء من سورة من القرآن الكريم وباللغة العربية. كذلك شريط "Queen-Bicycle Race" الذي يحتوي على كلمات عبرية وتقول مقدمته الراقصة نصاً:

"مصطفى إبراهيم مصطفى إبراهيم"

الله... الله... الله نحن نصلي لك..

وفي مقابل هذه الاستهانة بالإسلام ونبيه نجد أغاني أخرى تتغنى بالأنبياء اليهود، والمسيحيين وتحمل متوناً من الديانة اليهودية والمسيحية، وكمثال على ذلك الشريط الغنائي "Bush Doktor" والذي يحمل أغنية باسم «موسى - النبي»[1] والذي يضم أغنية مليئة بأسماء الأنبياء وحكاياتهم، المأخوذة من الديانة اليهودية.

كذلك تُستغل الأشرطة المرئية في عمليات التبشير وكنموذج لذلك فيلماً الفيديو "المسيح نجم فوق العادة" "Jesus Christ Superstar" المنتج في إسرائيل من قبل مؤسسة روم بن أفريم، وفي مقابل ذلك نجد فيلماً مثل "The Horse"[2] تدور أحداث قصته في أفغانستان، ويحمل

(١) من غناء بيترتوش "peter Tosh".

(٢) تمثيل عمر الشريف.

مغالطات تشوه صورة الإسلام في نظر غير المسلمين إذ تتناول موضوع التداوي والعلاج بالقرآن، ليس بالتلاوة والدعاء، وإنما بإلصاق صفحة من صفحات القرآن على الجرح.. ثم يأتي طبيب فينزع الورقة ويقذفها بسخرية قائلاً بأن هذا الكلام ليس له قيمة.. ويحرق هذه الصفحة إلى غير ذلك من تهكم وسخرية واستهزاء.

أما عن الجنس والشعوذة والفكر الهدام فحدث دون حرج عن استغلال الفيديو كاسيت في الترويج لها.. ومزج هذه الأفكار بموضوعات سياسية ودينية.. ومن الأمثلة على ذلك فيلم «النذير» أو «الشيطان» "The Omen" وهو فيلم من جزئين يتسم بالرعب،ويحكي قصة شاب سيطر عليه الشيطان ليكون ابنه. وفي الفيلم مناظر مأخوذة من مدينة حيفا بفلسطين، ومصور في الجزء العربي من المدينة، وتقول القصة إن نهاية الشيطان ستكون في هذا المكان.. في جزء من أرض إسرائيل.. والجزء المصور من الفيلم في إسرائيل من إنتاج "خدمات السينما الإسرائيلية"، ومن ذلك يتضح مدى اهتمام الغرب وإسرائيل بالإنفاق على أفلام الفيديو التي تخدم أغراضها.

ويقودنا ذلك إلى الحديث عن توفير الإمكانيات، فمن الأساليب المستخدمة لتحقيق الأهداف المرجوة من أفلام الفيديو كاسيت وأشرطة الكاسيت، رصد إمكانيات إنتاجية ضخمة، وتسخير الخدمات اللازمة ليس فقط لإنتاج جيد، ولكن أيضاً لتوزيع وانتشار عالمي ساحق، فنجد مثلاً شريط كاسيت يحمل موسيقى لعازف الساكس العالمي «ميلز أفيز» تُسخَّر أربع شركات عالمية لتوزيع هذا الشريط الموسيقي؛ فقط لأنه يعزف قطعة موسيقية على هذا الشريط باسم إسرائيل، وأكثر من ذلك يخصص دخل بيع هذا الشريط لخدمة النشاط الصهيوني.

ذلك عدا توفير الإمكانيات المالية والفنية التي تخرج عملاً جيداً مدروساً، من حيث الموسيقى والنص وشهرة المؤدي، واستغلال الرتم

الراقص الذي يصادف هوى في نفوس الشباب؛ لترويج أي فكر من خلال أغنية تكتسب شعبية كاسحة، وتصبح على كل لسان.. وكنموذج لذلك استخدام فرقة مثل "البوني إم" ليس لها عداء حقيقي للعرب، بل لها شعبية وشهرة في العالم العربي؛ لتصبح عنصراً مهماً في الترويج لأغنية مثل «أنهار بابل» المأخوذة من أصول تاريخية قديمة، واختيار هذه الفرقة بالذات لتحقق للأغنية الانتشار والشعبية المطلوبة.

وبعد هذا العرض للأفكار المطروحة من خلال الأشرطة المسموعة والمرئية، والأساليب والموضوعات التي تنفذ من خلالها هذه الأفكار إلى الأذهان؛ وذلك بغرض التدليل على ما لهاتين الوسيلتين من أهمية بالغة في التأثير على الرأي العام؛ لما تتمتعان به من صفات الخصوصية، وسهولة النقل والنسخ عنهما، يمكننا بنفس المنطق استغلالها لتحسين صورتنا في العالم، بأساليب شتى.. خاصة بعد انتشار القنوات الفضائية، وتقدم فن تصوير الأغاني العربية (الفيديو كليب)، وإمكانية المشاركة بها في سباقات الأغنيات، والمهرجانات الغنائية، والتي يمكن أن تقدم فيها أغاني عربية، أو حتى أغاني بلغات أجنبية، تتناول - وبنفس الذكاء - موضوعات إنسانية عامة تدحض ماتقدمه الأغاني الغربية، وتحبط مسعاها.. وهنا تجدر الإشارة إلى الكاسيت المسمى ...... للمطرب محمد منير الذي يتضمن أغاني تبرز الصورة السمحة للإسلام وتحق الحق لأهله وما رصد له من إمكانات تقنية عالية، وانتشار عالمي.

الباب الثانى
أسباب وأساليب الحملة على العرب

- الفصل الرابع : أسباب الحملة على العرب
- الفصل الخامس : من أجل خطة إعلامية لمواجهة الحملات الغربية

قبل الولوج إلى تفنيد أسباب وأساليب الحملة على العرب، لابد من الإشارة إلى أن الباب السابق من هذا الكتاب قد تعرَّض لهذه الأساليب من خلال إيراد نماذج والاستشهاد بأمثلة منها، وبقدر ماكان الباب السابق مجرد استعراض موضوعي لما يُدبَّج في الغرب عن الشخصية العربية، بقدر ماسيكون هذا الباب تفنيداً وتحليلاً لدوافع هذه الحملة وأسبابها، من منطلق رأي شخصي.. لكنه على أية حال رأي موضوعي أيضاً؛ لأنه غير مبني على انطباعات ذاتية عاطفية بقدر كونه رأياً مبنياً على اطلاع دائم ودائب على ما تنشره عنا وسائل الإعلام الغربية. فقد كانت هذه القضية: «صورة العرب في الغرب» هي شغلي الشاغل طوال مايزيد عن عشرة سنوات في إحدى إدارات الرقابة الإعلامية في دولة عربية خليجية.. وقد كانت مهام وظيفتي تنحصر في إجراء بحوث قصيرة تتناول كل مايكتب عن العرب في كل وسائل الإعلام الغربية.

وقد أتاح لي هذا العمل الاطلاع على كم هائل من المواد المسيئة للعرب.. مما ولَّد لدي اعتقاداً راسخاً بأن الغرب يعمد إلى الإساءة إلينا بشتى الوسائل، وأن وسائل إعلامه المسموعة والمرئية،والمطبوعة تتفنن في تشويه صورتنا.. ولا تألو جهداً في سبيل ذلك بكل الأساليب.. بل وتتحين الفرص لذلك، سواء باستغلال الأحداث العامة أو التصرفات الشخصية، وقد كان لدي انطباع راسخ بأن كل وسائل الإعلام الغربية ـ دون استثناء ـ تضع في خطتها الإساءة إلى العرب كهدف مرسوم.. وتعمد إلى التشويه عن قصد.. وإن كانت تستوقفني أحياناً بعض المواد المنشورة التي تتضمن تركيزاً على سمات هي بالفعل فينا كعرب.. ويخالجني شعور بأن بعض مما يُنشر هو بشكل أو بآخر موضوعي وصادق.. لكننا نتحسس من نشره أو يضايقنا أن ينشر أو يذاع عنا ـ ومن أعدائنا ـ كما شعرت أننا بتصرفاتنا الشخصية، وسياستنا العامة،

وسلوكنا غير الرشيد نقدم للإعلام الغربي مادة دسمة يلوكها ويكررها .ـ وبقدر ما ساءني هذا الشعور بقدر مازاد إصراري على دراسة هذه القضية، ألا وهي قضية الإساءة إلى العرب أسبابها وأساليبها . .

هذا وقد كان تعرضي للمادة المسيئة فقط هو السبب الحقيقي وراء الاعتقاد بأن العرب ـ كل العرب ـ مستهدفون من كل وسائل الإعلام الغربي، هكذا كقضية كلية لاتحتمل الاستثناء . . ولكن وبعد أن قيض الله لي فرصة الدراسة المتأنية لصورة العرب في صحافة دولة غربية ـ ليس كل العرب . . ولكن عرب الخليج بالذات، وفي صحافة بريطانية بالذات ـ خرجت بعدة نتائج أثرت في تصوري الإجمالى . . إذ كان اعتقادي في البداية أن عرب الخليج بالذات هم المحور الأول للإساءة الغربية للعرب . . وأن صحف بريطانيا بالذات تركز على الإساءة إليهم . .

لكن الدراسة الميدانية من خلال إجراء الاستبيانات . . وتحليل مضمون الصحف . . وتوخي الموضوعية، والتجرد في الحكم، قد غير إلى حد ما اعتقادي الكلي، مما جعلني أنسلخ عن كوني عربية ـ قدر إمكاني ـ لأرى الصورة بوضوح كما تُقدم . . وكما هي منطبعة لدى الأفراد البريطانيين كعينة من الغربيين.

كما حرصت على الاطلاع على كل ما كُتب عن موضوع الإساءة للعرب ؛ حتى أستطيع أن أخرج بنتائج يمكنني من خلالها أن أقوم بعمل تخطيط إعلامي وعلمي لتحسين الصورة العربية، مستندة على دراسة سليمة . . وكان فحوى هذا الباب هو محاولة متواضعة لفهم أسباب وأساليب الغرب في حملته علينا ؛ لأضع تصوراً لأساليب التصدي العربي لهذه الهجمة الغربية.

وقبل الخوض في هذا الموضوع لابد من الإشارة إلي بعض الدراسات السابقة في هذا المضمار، والتي قامت بالمهمة الأولى وهي إطلاع العرب

أنفسهم على حقيقة موقف الإعلام الغربي منهم، فمنها على سبيل المثال لا الحصر الأبحاث التي قدّمت إلى ندوة الصحافة الدولية في لندن عام ١٩٧٩، ومعظمها يدور حول «الصور النمطية للعرب في وسائل الإعلام الغربية».. و«النفط وأجهزة الإعلام الغربية»، و«صانعو صور عرب الخليج»، و«صانعو الأساطير عن الخليج العربي».

كذلك الأبحاث المقدمة «لمؤتمر الإعلام العالمي» لعام ١٩٨٠ في نيويورك، والذي تقدمت فيه الدكتورة جيهان رشتي ببحث عن «الصورة العربية في الإعلام الأمريكي».. وكذلك أبحاث الدكتور أديمون غريب عن العرب في الصحافة الأمريكية.. ناهيك عن الدراسات الإعلامية الفلسطينية التي تُفند وترد على الادعاءات العربية، فيما يتصل بشخصية الإنسان الفلسطيني بالذات.

أما عن الافتراضات التي افترضتها على ضوء الدراسات المبدئية للموضوعات، وعلى ضوء الاطلاع على بعض المراجع المتعلقة به فهي:

* أن عرب الخليج هم محور الإساءة للشخصية العربية من منطلق أنهم أصحاب ثروة للغرب مطمع فيها.. ومن منطلق مشاهدة الغربيين لهم كأثرياء مسرفين، يمارسون كأفراد ما لا يستطيع الإنسان الغربي ممارسته من متع ولهو.
* أن عرب فلسطين هم المحور الثاني للإساءات الغربية للشخصية العربية من منطلق كونهم أصحاب قضية يعتبر الغرب طرفاً فيها.. ولو بشكل غير مباشر.. متأثرين بالدعاية الصهيونية التي تصور الفلسطيني على أنه إنسان إرهابي دموي.
* يعتبر أدب الرحلات.. واليوميات المعتمدة على الرؤية السطحية والمشاهدة، أكثر من المعاينة الفعلية والدراسة الموضوعية ـ يعتبر من أهم مصادر التعريف بالشخصية العربية وتشويهها.. ناهيك عن المصادر العربية التي أساءت للشخصية العربية، والتي تعرَّف

الغرب على العرب من خلالها، كقصة ألف ليلة وليلة. وتاريخ مايدور في أروقة القصور والحريم في العصور الإسلامية، في الدولة العباسية وفي الأندلس.

* تغذي الصحف العربية الإعلام الغربي بمادة غزيرة تخدمه، وتفيده في تشويه الشخصية العربية، وذلك من خلال الحملات الصحفية العربية المتبادلة.. ومن خلال مادة الصحف العربية المهاجرة التي تصدر في لندن وباريس، وكل منها تابعة علناً أو سراً لنظام من النظم العربية.

* أن الانسان العربي في حاجة ماسة لهيئة إعلامية غير حكومية.. ولجهود فريدة، وكوادر متخصصة، تعمل على تغيير صورته في نظر الرأي العام الغربي.. بخطط مرحلية، وإلحاح مدروس، وبذكاء يتناسب وحجم وأسلوب الحملة الإعلامية الغربية التي نجحت في تشويه صورته، ومن ثم قضاياه وكل مايتصل به.

وقد خلصت إلى ضرورة وضع خطة إعلامية لتغيير اتجاهات الرأي العام الغربي نحو الشخصية العربية ؛ بمعنى تصور الوسائل والأساليب التي بإمكانها تحقيق الهدف، من خلال القنوات الإعلامية المختلفة، وعلى المستويين الداخلي والخارجي.. على افتراض أن الإساءة للشخصية العربية أمر واقع سبق التدليل عليه في عدة كتب ودراسات وندوات.. أما الاتجاهات المراد تغييرها فهي الاتجاهات النفسية والشخصية للأفراد حيال الشخصية العربية ـ أي العرب كأفراد وجماعات، والسمات السائدة عنهم، والصورة المكونة في الذهن الغربي لهم، وإمكانية تغيير هذه الصورة النمطية التي تضعهم في قالب محدد لايمكن تصورهم في غيره.. أما المقصود بكلمة الغربي فهو ليس الأوربي فحسب.. بل الأوربي والأمريكي معاً، حيث تبين لي من خلال الدراسة المبدئية للموضوع ـ والتي انصبت على أشكال الإساءة أو التشوية للصورة

العربية ـ أن الفروق في الرؤية الغربية لنا ليست كبيرة، بل تلتقي في نقاط كثيرة.. وحتى الأساليب المستخدمة في رسم الصورة الغربية تكاد لاتختلف من بلد لآخر.. إلا من حيث شدة الحملة المعادية أو ضعفها، وفقًا لدرجة العداء بين العرب وكل من هذه الدول الغربية، وشدة عدائهم لجناح عربي أكثر من غيره.. ففي العقدين الأخيرين وبالتحديد منذ عام ١٩٧٣ اشتد التركيز على عرب النفط والفلسطينيين، بينما خفت حدته بالنسبة لعرب مصر ودول المواجهة مع إسرائيل، التي كانت قد بلغت أشدها إبان حرب يونيو ١٩٦٧، والتي سنتبين منها أثر الأحداث السياسية على الصور الإعلامية، التي تؤثر في الرأي العام العربي، وإن كانت الإساءة في النهاية تدمغ العرب جميعاً دون تفريق بين شعب وآخر ؛ نظراً لأسلوب التعميم المتبع في الوسائل الإعلامية المضادة للعرب، والتي تخلط في بعض الأحوال بين العروبة كقومية والإسلام كدين، فالحديث عن «المحمديين» أو «المسلمين» يتفق في أذهان العامة بالعرب وكأنهم وحدهم هم المسلمون.

الفصل الرابع

أسباب الحملة على العرب

إن الحملة الإعلامية الغربية الموجهة ضد العرب هي في حقيقة الأمر صدى للصراع الحضاري والتاريخي بين الشرق والغرب.. وهي أيضاً صدى للصراع السياسي والمعاصر أو الآني بين الشرق والغرب؛ لذلك فإن أسباب هذه الحملة الدعائية تنقسم إلي أسباب تاريخية وأخرى معاصرة، وعلى هذا الأساس سنناقش هذه الأسباب.. ولذلك نحدد الأسباب التاريخية فيما يلي:

* الصراع بين الشرق والغرب.
* الفكر الاستعمارى.
* العداء للإسلام.
* العنصرية الغربية.

ذلك أن وسائل الإعلام المعاصر لم تخلق صورة سيئة للعرب، بمعنى أنها صورة جديدة، فوسائل الإعلام لاتخلق الصورة.. ولكن تلون أو تشوه صورة قائمة.. إذ إن الصورة الذهنية تؤثر فيها عوامل عدة منها العوامل التاريخية.. والعوامل الثقافية والحضارية والاجتماعية والسياسية... إلى آخره؛ لذلك نقول بأن المعركة بين الشرق والغرب هي في الأصل معركة حضارية.. يساهم فيها الإعلام حالياً بدوره من خلال مواد الرأي، أو مواد الإقناع الحديثة كالتقارير، والمقالات، والكتب، والصور، والرسوم الكاركاتيرية.. ولكن معتمداً على مرتكزات تاريخية،واختلافات ثقافية واجتماعية ودينية، وصراعات

اقتصادية وسياسية.

والحقيقة التي لامراء فيها أن الصورة الذهنية السيئة هي صورة تبادلية بين الشرق والغرب، نجح فيها العرب إلى حد ما في تشويه الصورة الغربية إلي حد ما، واليهودية علي وجه الخصوص، وذلك في داخل البلدان العربية.. وإن لم ينجحوا في ذلك خارجياً ؛ لأن الصورة التبادلية هي نتاج لسوء التفاهم الدولى.. أو عدم التواصل بين الشرق والغرب ؛ نتيجة لاختلاف الثقافة، وأيضاً لعوامل تاريخية عدة، منها النظرة الفوقية التي ينظرها الغرب إلى الشرق.. والميراث الاستعماري الذى ترك في نفوس العرب قدراً من البغض للغرب.. ويتجلى سوء الفهم المتبادل بين العرب والغرب في تصوير كل طرف للآخر بشكل مسيء، خاصة بالنسبة للحياة الاجتماعية، وشكل العلاقة الأسرية، وحياة المرأة وحقوقها بالذات، والمعتقدات الدينية والعادات والتقاليد ؛ ولذلك نجد تركيزاً من الطرفين على إبراز هذه الجوانب، كل في وسائل إعلامه بشكل يشين الطرف الآخر.. فمن منا كعرب لا ينطبع في ذهنه تصوراً سيئاً عن الغرب كقوم عنصريين.. مغرورين.. إباحيين في علاقاتهم الاجتماعية، نساؤهم مستهترات.. وهم بخلاء.. باردو المشاعر.. جامدون .... إلى آخر هذه الصفات التي درجنا على تصوير الغرب بها في صحفنا، من خلال تتبع الأخبار الطريفة والعجيبة، التي تؤكد ذلك، ومن خلال آدابنا ودراساتنا التي تتعرض لصورتهم.

لذلك نجد أن صورة العرب ـ رغم ماهو واضح من عوامل مؤثرة في تشويهها ـ سيئة بحكم كونها حلقة في سلسلة سوء الفهم أو سوء التفاهم العام، الذي يسود بين الأفراد، والجماعات، والمجتمعات، والدول، والأمم المختلفة.. نتيجة للأحكام الخاطئة والتعميمات.. وهو مايطلق عليه خبراء الصورة الذهنية الستيريوتايب (Stereotypes) أو الصور المنطبعة المستمدة من لغة تكنولوجيا الطباعة، التي يمكن من

خلالها طبع آلاف النسخ أو الصور المتطابقة؛ ولذلك فإن أهم الخواص الأساسية في الصورة المنطبعة أنها شيء مكرر على نحو لايتغير، أو هي صورة متطابقة لأصل ثابت بغض النظر عن ماهية هذا الأصل.. وبالتالي تعوزها السمات الفردية المميزة[1]. والستيريوتايب هو المصطلح الذي أطلقه المعلق السياسي الأمريكي الشهير "ولترليبمان" في نطاق العلوم الاجتماعية في كتابه "الرأي العام" الصادر عام ١٩٢٢ في نيويورك، وعرفه بأنه «الصورة الذهنية المشتركة التي يحملها مجموعة من الأفراد، والتي تتكون غالباً من رأي مبسط أو ناقص أو مشوه، أو قد تتمثل في موقف عاطفي تجاه شخص أو قضية أو حدث ما» ولذلك فهي غالباً ماتكون بعيدة عن الحقيقة؛ إما نتيجة للحذف والرغبة في الاختصار، أو للإضافة بالاستنتاج الخاطئ أو التحيز أو التشويه المتعمد، أو للفاصل الزمني الذي قد يفصل بين وقوع الحدث وبين تدفق المعلومات بشأن تطوراته.. ذلك بالإضافة إلى عدة عوامل تؤدي أحياناً إلى تباعد الصورة الذهنية عن الواقع، والتي من أهمها وجود عقبات مادية أو تعليمية أو اجتماعية أو نفسية قد تحول دون وصول المعلومات إلى الجمهور[2] مثل الحيلولة دون الأفراد وحقهم في المعرفة الدقيقة للمعلومات من خلال وسائل الإعلام.

والحقيقة أن أسلوب التعميم الخاطئ المبني أصلاً على تصور خاطئ أو انطباع مسطح يمارس حتى داخل البلد الواحد، وكنموذج له، مايسود بين أبناء المدينة الواحدة من تعميمات، بأن أبناء الحي الشعبي كنموذج مصري جدعان أو متعاونون أو متكافلون اجتماعياً، وأن أبناء بعض

---

(١) Harding John . "stereotypes" International Encyclobedia of Social sciences (New Work1958) Vol.15, p.259.

(٢) د. سهير بركات - الإعلام وظاهرة الصور المنطبعة - مجلة الثقافة - وزارة الإعلام والثقافة الجزائرية، ص ١٠٤.

الأحياء الراقية في القاهرة مرفهون ناعمون.. ناهيك عن الصور الذهنية المنطبعة عن أبناء المدن والمحافظات بعضهم وبعض.. ووصف هؤلاء بالبخل أو الكرم.. أو الجمال.. أو الانغلاق، وارتباط ذلك بشعب المدينة بأسرها دون اعتبار للفروق الفردية.. وإذا ماخرجنا من هذه الحلقة أو الدائرة الصغيرة من سوء الفهم، أو الصورة المقلوبة بين الأحياء داخل المدينة الواحدة.. وبين المدن وغيرها.. نجد أننا أمام قوالب أخرى أوسع منها بين الدول.. حتى الدول التي تجمعهم قومية واحدة كالقول مثلاً إن أهل مصر خفيفو الظل، وإن العراقيين حادو المزاج.. واللبنانيين إباحيون، والجزائريين أو السودانيين عصبيو المزاج.. فما بالنا بالصورة المنطبعة لدى سكّان شقّي الكرة عن بعضهم البعض، فالشرق والغرب كلٌ منهما يرسم صورة سيئة للآخر، هي الدائرة الأوسع لسوء التفاهم العالمي؛ ولذلك فإن علم الصورة أصبح من العلوم الهامة، ليس فقط على الصعيد الاجتماعي أو الإعلامي، ولكن على صعيد العلاقات الدولية السياسية، ذلك أن سوء الفهم المتبادل تنعكس أثاره على صناع القرار السياسي، ويؤثر في العلاقات الدولية.

ويؤكد ما ذهبتُ إليه عن سوء الفهم بين الشرق والغرب القول بأن الصراع بين القوتين العظميين في العالم كان له تأثيره في تشكيل الصورة، كما كان له تأثيره على تحريك مشاعر العداء، أو خلق الاستعداء بين الدول، وتأثيره على نشوب صراعات إقليمية، كانت في الواقع صدى لصراعات القوتين العظميين، ومن كان يدور في فلك كلٍ منهما، كما يؤثرعلى علاقة هذه الدول بعضها ببعض، وعلى تصور كل منهما للآخر؛ نتيجة لتأثر شعوب وقيادات هذه الدول بالإعلام العالمي ووسائله المختلفة. وهو رأي أكده دكتور "كورت فالدهايم" في محاضرة له بعنوان "أزمة الثقة في الشؤون الدولية"، إذ قال بوجود نوع من عدم الارتياح في العلاقات بين الدولتين العظميين اللتين ينعكس موقفهما

السلبي على نظام التعاون الدولي بمجملة.. وهذا الجو من عدم الثقة والشكوك والتناحر والتنافس القائم على المشاعر الوطنية، والجهل، والمفاهيم الخاطئة، له عواقبه الإقليمية في كل أنحاء العالم[1].

ذلك أن التبعية السياسية التي عانى منها العالم العربي ـ ومازال إلى حد ما ـ كان لها أثرها في تشكيل الصور الذهنية، فلو درسنا أثر العوامل النفسية والاجتماعية في السلوك الإنساني، وبالتالي في العلاقات الدولية بين العرب والغرب ـ كاتجاه عام في دراسة الصورة القومية وأثرها في العلاقات الدولية، وأيضاً تأثرها بالعلاقات الدولية ـ سنجد أن علاقة التبعية العربية للدول الغربية لفترة طويلة كان لها أثرها في نظرة الغربيين للعرب، على أنهم قوم تابعون، وخاضعون، وبدو متخلفون.. وذلك كصدى للفكر الاستعماري الغربي، الذي كان يتصور أن العرب بهذه الصورة المتدنية، وأنه يأخذ بيدهم ليطورهم.. وأن استعماره لهم كان وسيلة لترقيتهم.. ورغم اختلاف الأوضاع الدولية والأحوال السياسية الآن، إلا أن الصورة الذهنية الغربية عن العرب لم تتغير كثيراً عما كانت عليه قبل قرن من الزمان.

ولعل أحد أهم أسباب هذا الاستمرار في التصور الغربي لنا هو النظرة إلينا من خلال المنظور الغربي فقط، بمعنى أن تشويه صورتنا يأتي أحياناً من منطلق النظرة إلى الحضارات العربية من منظور أوربي.. وهو ما يسمى «المركزية الأوربية» أو "Europo Cintrizm" حيث يستسهل الكتاب الغربيون عرض الواقع الشرقي من منظور غربي بحت، لايأخذ في الاعتبار خصوصية هذه الحضارات والمجتمعات العربية أو الإسلامية، والاختلافات الثقافية بيننا وبينهم، كذلك الإصرار على استخدام بعض

---

(١) د. كورت فالدهايم – محاضرة في إطار الندوة الدبلوماسية لوزارة الخارجية بدولة الإمارات العربية المتحدة – لعام ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م – المجلد ١٢ ص ٢٣ – ٢٨.

العبارات، والكلمات التي تعتبر دليلاً على استمرار بعض الأفكار المسبقة حول التاريخي الإسلامي.. كالقدرية أو الاتكالية، والتعصب والاستبداد والجور والعنف، وإسقاط كل هذه السمات على العرب والمسلمين المحدثين أو المعاصرين.

ويمكن أن نضيف إلى ذلك جمود التصور الغربي أو الأوربي للعرب، "فالرأي العام الأوربي الذي كان يرى صورة اليهودي التائه بكل عيوبها، كان يرى أيضاً شخصية العربي لا تقل سوءاً عن تلك الصورة، فمنذ العصور الوسطي والخوف الغربي من المسلمين، واعتبار الدين الإسلامي يشكل خطراً مباشراً على الحضارة الغربية، ثم الربط بين التقاليد العربية والوحشية التركية منذ سقوط القسطنطينية حتى أواخر القرن التاسع عشر، أضف إلى ذلك مفاهيم ألف ليلة وليلة، والاعتقاد بأن المجتمع أصيل فياسترخائه وكسله وفساده، وأنه مزيج من الترف البالغ والمكر والخداع، والتصرف الممزوج بالقسوة [1].

وإذا كانت الظروف التاريخية قد رسخت هذا المفهوم، فإن الحركة الصهيونية عندما تنبهت إلى ضرورة إقناع الرأي العام العالمي ببراءة اليهود من دم المسيح أولاً.. وعندما قررت استغلال أساطير النازية لكسب العطف والتأييد لذلك الشعب التائه، قامت في نفس الوقت بترسيخ تلك الصورة عن العربي المسترخي، بكل ما تحمله الصورة من سمات سيئة.

هذا ولابد من التأكيد على تأثير العامل التاريخي، واختلاف الثقافة في تشكيل الصورة؛ ذلك أن العلاقة التاريخية بين الدول العربية والدول الغربية الاستعمارية، وما يتسم به هذا الوضع الكريه من علاقة فوقية من جانب الغرب.. وعلاقة بغض من جانب العرب، إلى جانب اختلاف

---

(١) عرفات حجازي (نقيب الصحفين الأردنيين سابقاً) ـ دور الإعلام الجماهيري في التعاون العربي – الأوربي من أجل عدالة القضية الفلسطينية، مجلة شؤون عربية، العدد ١٧، يوليو ١٩٨٢، رمضان ١٤٠٢، ص ١٥٠.

المفاهيم والثقافات، قد أثرت بشكل واضح في تفسير السمات العربية، وفهم ملامح الشخصية العربية.. فالكرم العربي كان ومايزال يُفسر على أنه إسراف وسفة وغباء، والبساطة والبداوة العربية كان يشار إليها على أنها بدائية وتخلف.. بل حتى نوم الظهيرة أو القيلولة يفسر لدى الغربيين على أنه كسل، دون تقدير لطبيعة الجو الحار في المنطقة العربية؛ لذلك نجد أن الإنسان الأوروبي والأمريكي دأب ومايزال على ألأيفسّر العادات والسمات العربية بشكل إيجابي، وذلك بدافع من نظرة متعالية قديمة، دعمها حقد دفين على هؤلاء القوم البسطاء، الذين أثروا فجأة فأصبحوا يملكون أن يستأجروا أو يستخدموا الإنسان الغربي، ويسخروه لخدمتهم، وذلك أمر مرفوض نفسياً من بعض الأفراد الغربيين، ذلك إذا ماأخذنا في الاعتبار العامل التاريخي في العلاقة بين الغرب المستعمر والعرب المستعمرين من قبله... إلى جانب الأخذ في الاعتبار بالسمات الشخصية للغربيين، خاصة البريطانيين، الذين كانوا يرون أنفسهم سادة العالم.. وأنهم دولة عظمى.

ويؤكد رأيي هذا د. علي عجوة: إذ يرى أيضاً أن سوء التفسير هو أحد العوامل المسيئة إلى العرب.. وهو أمر معروف في دراسات الصورة، إذ يقول أننا «نشاهد في حياتنا اليومية أمثلة كثيرة لمحاولات بعض الأفراد أو الجماعات لممارسة بعض أنواع السلوك، التي تهدف إلى كسب التأييد، وكثيراً ماتذهب هذه الجهود سدى إذا ما فسّرت البساطة على أنها تملق وضعف، أو التبرع على أنه رشوة مقنعة، أو الجهود الخيرية على أنها محاولة للفت الأنظار تحقيقاً لبعض المآرب الخاصة. وفي بعض الأحيان يفسر الحزم على أنه استبداد، والكرم على أنه سذاجة، والمرونة على أنها تردد.. وهكذا»[1].

---

(١) د. علي عجوة، العلاقات العامة والصورة الذهنية، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، عالم الكتب، ص ٣٣، ٣٤.

ويكمن السبب وراء استمرار الغرب في تشويه صورتنا، وأيضاً استمرارنا في تشويه صورته إلى التزامنا بقيم الأنباء الغربية أو ما يسمي "Western News Values" التي تجعل الصحف أكثر ميلاً للاهتمام بالسلبيات، وإهمال الإيجابيات، وتجعلها لاتركز على الأمور الاعتيادية، ومازالت الصحافة العربية تسير على قيم الأخبار الغربية ونحن نتأثر في هذا الشأن بالإعلام الغربي(١)؛ ولذلك نجد أن الصحف الغربية تقدم الصورة العربية في إطار مفهومها للقيم الإخبارية، أي بالتركيز على الشاذ والغريب، وإهمال الأمور الإيجابية والعادية، ونحن بالتبادل نقدم الصورة الغربية من خلال أبواب الطرائف والمنوعات بنفس الأسلوب، وبالتركيز على الأمور الغريبة والشاذة... ولعل ذلك يذكّرنا بالمقولة القديمة إنه «لوعض كلب إنساناً فذلك لا يُعد خبراً صحفياً.. ولكن الخبر الصحفي هو أن يعض إنسان كلباً» ومن هنا نجد أن الصحف الغربية لاتنشر مثلاً تفوق إنسان عربي في مجال من المجالات.. لكنها تحرص ـ خاصة الصحف الشعبية ـ على نشر خبر سرقات بعض العرب في المحال التجارية، أو بذخ الأثرياء العرب، واقتنائهم لأشياء غريبة ونادرة، أو مغامراتهم الجنسية وإنفاقهم عليها ببذخ.. خاصة المشاهير منهم.. ذلك أن الصحف الشعبية بالذات تهدف إلى التسلية وتصيد كل ماهو طريف.. وبالمقابل نتعامل مع أخبارهم بنفس الروح، ووفقاً لنفس القيم، وإن كان التدفق الإخباري الغربي يجبرنا أحياناً على تقديم بعض الأخبار الإيجابية، مما يحقق للصورة الغربية في الصحف العربية بعض التوازن.. في مقابل صورتنا السيئة في صحفيهم.

هذا وتعتبر الصورة التبادلية جزءاً من النظام الإعلامي الدولي،

---

(١) د. جيهان رشتي، الصحافة وحرية النقد المسؤول، جريدة الاتحاد الظبيانية، العدد رقم ٣٤٧٩، الثلاثاء ٢٨ / ١٢ / ١٩٨٢، ص ١٧.

ويتبنى كينث بولدنج - أول من وضع كتاب عن الصورة عام ١٩٥٢ - هذا المنهج في دراسة الصورة القومية، فهو يرى «أن الصورة القومية تتكون من خلال الخبرات المشتركة، والتجارب التي مر بها شعب معين، ويركز بولدنج على أهمية الخبرة المشتركة في تكوين الصورة القومية، ويرى أن الصورة القومية لشعب ما عن شعب آخر قد تكون صورة معادية أو صورة صادقة، مع وجود اتجاه عام للعداء أو الصداقة بين الدول... وتتبنى الشعوب صورة قومية ثابتة عن بعض الدول، وإن كانت الصورة القومية تتغير تبعاً للواقع في ضوء الخبرات المشتركة للشعوب... كما أن هناك علاقات العداء الدائم التي يترتب عليها وجود صورة قومية عدائية مستمرة»[1] ، وترتيباً على ذلك يمكننا القول بأن الصورة المعادية للعرب المبنية على الخبرات والتجارب المتبادلة بين الدول الاستعمارية والدول العربية، قد بدأت تصاحبها بعض اتجاهات الصداقة بعد جلاء الاستعمار، إذ بدأت تتغير على ضوء الخبرات المشتركة للشعوب العربية والشعوب الغربية، التي أصبحت تربط بينها اتفاقيات صداقة، أو تبادل اقتصادي، أو يتنقل أفرادها هنا وهناك على سبيل السياحة أو للعمل.. في حين ظلت الصورة التبادلية بين العرب واليهود كمثال على ما هي عليه كصورة قومية عدائية مستمرة، وقد أثرت هذه الصورة العدائية المستمرة في الإبقاء على الصورة الغربية للعرب مشوبة بكثير من التظليل والتشويه، كأثر من آثار الدعاية الصهيونية.. وأيضاً بسبب أن العالم أصبح قرية إعلامية صغيرة... تتناقل فيه الأخبار، ومن ثم الصور، بسهولة.. وتتأثر بها بشدة.

ولعل من أسباب استمرار هذه الصورة السيئة للعرب حتى الآن عدم توافر مصادر للمعلومات عنهم، تحقق تدفقاً إعلامياً جيداً، وأيضاً عدم تصدي أية منظمة عربية، أو جمعية صداقة عربية - غربية للحملة ضد

---

(١) نادية سالم، صورة العرب والإسرائيليين في الصحافة الأمريكية ، ص٢١ - ٢٢.

العرب، بتقديم احتجاج ـ مثلاً ـ على وجود تشويه لصورة الإنسان العربي.. نضيف إلى ذلك . «أن العالم العربي مثير وغريب... وهذا الوهم عمدت أجهزة الإعلام المختلفة في أمريكا إلى تقديمه كما لو كان حقيقة...»[1] ؛ ولذلك ظل العالم العربي موضع اهتمام كبير من الغرب، بوصفه مادة طريفة للصحف.. ولعل ذلك ماجعل صورة الإنسان العربي في الإعلام الأمريكي عامة موشاة ومطرزة بشكل فريد أقرب إلى الأساطير منها إلى الواقع.. وكنموذج لذلك صورة المرأة العربية في أمريكا التي تصور على أنها: «ملك منقول لاأهمية له، محجبة من قمة رأسها إلى أخمص قدميها، وليس لديها دور يذكر سوى التأكد من إعداد الطعام، والخدمة كواحدة من حريم الشيخ....»[2] .

وهذه الصورة للعربي تكاد تصبح جزءاً من التراث الشعبي الأمريكي وتظهر صورة العربي «كشبق متعطش للجنس، مخادع يطعن من الخلف، إلى أسوأ ما يمكن أن يكون المرء عليه من أشكال الدناءة، وكمبتز شره، أو بدوي متعطش لدم غريمه في عمليات الثأر.... إلخ»[3] .

هذا ونجد إلى جانب العامل التاريخي في تشكيل الصورة جوانب نفسية لها بعد ضارب في التاريخ أيضاً... خاصة بالنسبة لبريطانيا وباقي الدول الأوربية، التي كانت يوماً ما دولاً مستعمرة للعالم العربي.. ويتمثل الجانب النفسي في العلاقة بين العرب والأوربيين، التي كان يصبغها قبلاً عنصر الشعور بالتفوق، وعلاقات التسييد، والحماية المفروضة على العرب، وهي علاقة فوقية.. سنجد إذا ماقارناها بشكل العلاقة الحالي بين العرب والغربيين فرقاً شاسعاً، فالغربيون الآن

---

(١)، (٢)، (٣) جاك شاهين، مقال عن أسباب الصورة العربية المشوهة، ترجمة د. جاسم محمد جرجيس، مجلة التوثيق الإعلامي، المجلد الثاني، العدد الأول، السنة الثانية، ١٩٨٢، ص ٣١ .

يعملون لدى بعض الحكومات العربية، أو الأفراد العرب خاصة في دول الخليج النفطية الغنية، يعملون كمرؤوسين.. كذلك يضطرون أحياناً للعمل كتابعين في مهن دنيا كالقيادة، والسياحة، والتمريض، وشتى أعمال الخدمات... مما قلب شكل العلاقة، وخلق نوعاً من التحسس، أو الرفض النفسي الداخلي غير المعلن، حيال ممارسة هذه المهن من جانب البريطانيين... في حين خلق أيضاً نوعاً من التسييد، والمشاعر الفوقية لدى هؤلاء العرب، الذين يشعرون أنهم بأموالهم يمكنهم توظيف أي فرد في خدمتهم.. وهذا الشعور المتبادل وإن كان غير معلن، إلا أنه ترك تأثيره أيضاً في الإبقاء على الصورة العربية في الغرب على ما هي عليه من سوء؛ لأن البعض يرون في هذا الوضع قلباً للأوضاع.. في حين يراه البعض الآخر - ممن يستوعبون تقلب الأوضاع بصدر رحب وفهم ووعي - أمراً عادياً، فلكل عصر دولة ورجال.. ولقد تأكدت من ذلك بنفسي من خلال الاستبيان الذي أجريته على عينه من البريطانيين، يقيم بعضهم في دول عربية للعمل، وزاروا عدة دول عربية أخرى.. وبعضهم مقيم في بريطانيا.. ولم يتحقق له الاتصال بالعرب بشكل أو بآخر، وتكونت معلوماته عنهم من وسائل الإعلام فقط... فوجدت فرقاً شاسعاً بين تقبل هذا الوضع الجديد لدى الفئتين كلتيهما.. إذ إن العاملين في الخليج لايرون غضاضه في ذلك.. بل يعلنونها صراحة أنهم يعملون لدى من يدفع أكثر.. ولا يهمهم كنهه، أو من هو؟! في حين أن المقيمين في بريطانيا اعتبروا استخدام العرب للبريطانيين قلباً للأوضاع، وحينما سئلوا عن رغبتهم في العمل في هذه الدول العربية؛ وما يتصورونه من مقابل لذلك؟ أعربت الغالبية العظمى منهم عن رفضها للعمل في بلاد الخليج رفضاً باتاً.. وبالغ البعض في تقدير المقابل لذلك، كتعبير نفسي عن رفض الفكرة بشكل آخر من أشكال التعبير.

نستنتج من كل ماتقدم أن صورة العرب في الإعلام الغربي ليست وليدة اليوم أو الأمس القريب فقط.. ولكنها انعكاس للصراع التاريخي الأزلي بين الشرق والغرب... ونتاج للفكر الاستعماري، وللعنصرية الغربية، والشعور بالاستعلاء الأوربي على دول وشعوب الشرق، بما في ذلك العالم العربي.. مضافاً إلى ذلك العداء التقليدي الغربي للإسلام.. والتخوف منه كفكر تقدمي، يمكن أن يدحض وينسخ كل الديانات الأخرى، التي يعتنقها الغرب كاليهودية والمسيحية.. خاصة وأن الغرب يعتبر أنه ضحى كثيراً في سبيل حسر المد الإسلامي وتقويض الإمبراطورية الإسلامية.. وتقليص النفوذ الإسلامي.. عن الدول الأوربية التي وصل إليها في أسبانيا، والحدود الفرنسية، وفي تركيا، وفي جزء كبير من جمهوريات الاتحاد السوفيتي.. خاصة وأنه ينظر للحروب الصليبية على أنها حرب تحرير لأوربا من المسلمين والعرب.. ولايزال ماثلاً أمام أعين الغربيين أحداث ووقائع الحروب الصليبية، التي تتناقل حتى الآن بشيء من الإبهام بشراسة العدو المسلم ووحشيته وطغيانه.. ومايحيط بذلك من مبالغات.

نضيف إلى الوقائع التاريخية.. الأعمال الأدبية التي كان لها أثر بالغ في تشكيل صورة العرب في الغرب من خلال كتاب الليالي العربية "Arabian Nights" أو ألف ليلة وليلة، وكتاب «أعمدة الحكمة السبعة» تأليف ت. أ. لورانس.. وكل رومانسياته عن العرب وعن الجزيرة العربية.. ليس هو وحده بل ومعه عدد كبير من الرحالة الغربيين في جولاتهم في شبه الجزيرة العربية وفي بعض الأقطار العربية.

فمثل هذه الكتابات على ماحوت أحياناً من آراء موضوعية حول الشخصية العربية، نجدها أيضاً دسّت السم في الدسم.. فلورانس العرب كما يسمونه كان خصب الخيال رومانسياً؛ ولذلك انعكس هذا الخيال في تصويره الشخصية العربية، وكمثال لذلك ما قاله عن أثر

الصحراء على الإنسان العربي وكيف أنها: «احتضنت الروح العربية وأبقتها نقية من أية شائبة خارجية، معطية بذلك للبلاد خاصتها المميزة»[١].

هذا ويستعرض لورانس العرب سمات الشخصية العربية بشقيها الحضري، والبدوي، في آسيا العربية، ويرى أنه رغم وجود تفاوت اجتماعي واقتصادي بين البدوي والحضري، فإن هناك تشابهاً عظيماً في طرق التفكير، وفي النشاط الروحي، إذ يقول:

«ومن الوهلة الأولى نلاحظ عندهما صفاء غريباً وصلابة فريدة في المعتقد، وهما يريان العالم في ألوانه الأصلية.. بل في لونيه الرئيسيين: الأبيض والأسود، وفكرهما الجازم يحتقر الشك، ولايقبل مطلقاً التردد الذي تسلحنا به نحن الأوربيين؛ لمواجهة شؤون ماوراء الطبيعة، كما يأبى القبول بقلقنا النفسي، فهو يعرف بكل بساطة ماهو حق وماهو باطل، ماهو إيمان وماهو إلحاد».

«هذا الأسود والأبيض للنظرة العربية نجده في عالمي الروح والفكر؛ وبسبب الأسود والأبيض هذا يحب الشعب الجلاء والوضوح. وهذا الشعب ذو الأفق الضيق في التفكير يمكنه أن يترك الذهن جانباً وينقاد بصورة عفوية وراء حب الاستطلاع.. خياله خصب ولكنه ليس خلاقاً»[٢].

هكذا يبدع لورانس في تحليل الشخصية العربية، ذات الخيال الخصب، والفكر الجازم، المستقر نفسياً، المؤمن، الواضح.. وفي زحام هذا الغزل يصم العرب بضيق الأفق، وعدم القدرة على الخلق.

وبالطبع تعج كتابات لورانس العرب بتوصيف سمات الشعب

---

(١) ت. أ. أورانس، أعمدة الحكمة السبعة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٠، ص ١٢ - ١٣.

(٢) نفس المرجع السابق.

العربي، كالقول بأن العرب شعب الانفعالات، والثورات، والإلهامات، والوحي، وعنصر العبقريات الفردية.. وأكبر صناعاتهم صنع المعتقدات والأديان.. ثم القول بأن هذا الشعب ينقصه التبصُّر وروح التنظيم.. ويتسم بالعنف، وتتسم حضارته بالفكر الأخلاقي المعنوي، أكثر من الأفكار العملية.

ناهيك عن وصفه للضيافة والكرم العربي، والشهامة العربية مع الأضياف حتى لو كانوا من الأعداء.. ووصف تدين العرب، وعظمة عقيدتهم الدينية، وذكائهم الحاد.. وإن كان الأمر لايعفي من القول بأنهم قراصنة يعيشون على السلب والنهب.

من كل ماتقدم لايمكن تجاهل ماكان للأسباب التاريخية من أثر في تشكيل صورة العرب في الغرب... سواء كأحداث وصراعات أو ككتابات وأدبيات.. فتشويه الصورة العربية في الغرب له جذوره التي تتعلق بالعداء الغربي، وتتعلق بالعنصرية الغربية، والعلاقات الغربية العربية التي ظلت لوقت طويل قائمة على الاستغلال والسيطرة على العالم العربي، ويؤكد هذه النظرية أيضاً دكتور هشام شرابي في تحديده «لجذور تشويه الصورة العربية في الغرب» إذ يوجزها في أربعة مصادر للتشويه هي:

«أولاً: الأيديولوجية المعادية للإسلام، والتي تعود إلى القرون الوسطى.

ثانياً: عنصرية الإمبريالية.

ثالثاً: الدعاية الصهيونية المعادية للعرب.

رابعاً: المسلك العربي نفسه»[1].

ويرى دكتور شرابي أنه حتى بعد الحروب الصليبية التي انتصر فيها

---

(١) الإعلام الغربي والعرب، أبحاث ومناقشات ندوة الصحافة الدولية، لندن ١٩٧٩، وزارة الإعلام والثقافة - دولة الإمارات العربية المتحدة، ص ١٩٨٠.

الغربيون في القرن التاسع عشر، وانتصر فيها المسلمون في القرن الحادي عشر على يد صلاح الدين الأيوبي، وحتى بعد علمنة أوربا لم يقض على الشعور المعادي للإسلام، كما لم تردم الهوة بين الحضارتين.. إذ ظلت الإمبريالية الغربية تستمد ركائزها في السيطرة من تراث القرون الوسطى.

الأسباب المعاصرة:

ولعل الأسباب التاريخية التي سقناها فيما تقدم لاتأتي منفصلة تماماً عن الأسباب المعاصرة للتحامل على العرب وتشويه صورتهم.. والتي نستطيع أن نحددها بإيجاز قبل البدء في تفنيدها في نقاط لها أيضاً جذور من التاريخ وهي:

- الفراغ من مشاكل الأقليات في مجتمعات الغرب .
- المد القومي، ثم المد الإسلامي المتنامي.
- الدعاية الصهيونية، والحروب العربية ـ الإسرائيلية.
- الرغبة في تكريس التخلف العربي.

وقد تعرضنا سلفاً لفكرة الفراغ من مشاكل الأقليات (الزنوج والهنود الحمر) في المجتمعات الغربية.. وكيف أن الانتهاء من تشويه صورة هذه الأقليات قد أدى إلى التحول إلى تشويه صورة العرب والمسلمين، بوصفهم الأعداء الجدد، أو بوصفهم الشعوب الأدنى، التي ينظرإليهم الغرب نظرة فوقية.. ثم كان العصر الاستعماري الذي تمثلت فيه هذه النظرة بكل قوتها.. وجاء عصر التحرر من الاستعمار.. وهي المرحلة التي كانت بمثابة كسر لشوكة الغرب.. وتحطيم لنظرته الفوقية.. إذ رأى الدول التي كانت مستعمرة، ومستغلة، ومستعبدة ترفض بشدة هذه السيطرة.. وترفض التبعية.. وتعلن عن ثوراتها المتلاحقة، التي تؤكد بغضها الشديد للاستعمار بكل أشكاله ورفضها

له.. بل وكشفها لأساليبه المختلفة وتعريتها.. واحتقارها.

وهذه الفترة بالذات قد خلقت جواً من العداء، أثر بشكل فعال في الصورة القومية العربية خاصة في مرحلة الخمسينيات والستينيات من هذا القرن، وهي المرحلة التي تنامى فيها المد القومي بشكل ملحوظ.. وقد أثر هذا المناخ العام من العداء المتبادل، في تشكيل الصورة التبادلية بين العرب والغرب.. فمما لاشك فيه «أن تزايد حدة العداء بين دولتين يؤثر تأثيراً كبيراً على نوعية الصورة التي ترسمها كل منهما للدولة الأخرى في وسائل الاتصال الجماهيرية.. في حين أن مشاعر الود والصداقة التي تجمع بين دولتين في وقت معين تنعكس بشكل واضح على ماتنشره أو تذيعه أيٌ من هاتين الدولتين عن الدولة الصديقة»[1].

ولذلك ظلت الصورة الذهنية الغربية عن العرب سيئة بل أسوأ ماتكون طوال سنوات المد القومي في المنطقة العربية.. والتواصل بين الدول العربية.. وذلك إيماناً من الغرب بخطورة هذا المد المتنامي، ووقوفه في وجه المطامع والمصالح الغربية؛ لذلك عمد الغرب إلى محاربة هذا المد القومي بكل الوسائل المشوهة لصورته.. والمحطمة لآماله والمفتتة لوحدته.. حتى شهدت السبعينيات انحساراً لهذا المد القومي.. وبذلك أيضاً تغيرت ملامح الصورة إلى حد ما، فمن الثابت «أن الصورة القومية هي انعكاس للأوضاع الاجتماعية والسياسية، والاقتصادية والثقافية، التي تسود أي مجتمع في وقت معين، كما أثبتت الأحداث أن الصورة القومية ليست ثابتة أو مطلقة، وإنما نسبية ومتغيرة، تبعاً لتغير الأوضاع الاقتصادية والأبنية الاجتماعية والظروف السياسية والثقافية»[2].

ولعل هذه العقود الثلاثة من منتصف الخمسينيات وحتى منتصف

---

(١) د. علي عجوة، العلاقات العامة والصورة الذهنية، ص ص١٣٧ - ١٣٩.

(٢) نفس المرجع السابق.

الثمانينيات هي من أشد مراحل التغيير في الوطن العربي سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وثقافياً... ولذلك تغيرت إلى حد ما صورتنا القومية في الغرب مع الاحتفاظ بالملامح والسمات الأصلية ذات الجذور التاريخية.

ولقد حظيت هذه الفترة بالذات بعناية العديد من الباحثين الجادين الذين انصبت دراساتهم على سمات الصورة العربية في وسائل الإعلام الغربية إبان اثنتين من أهم الحروب العربية - الإسرائيلية، وهي حرب يونيو ١٩٦٧، وحرب أكتوبر ١٩٧٣م.. وتتبع أثر نتائج هذه الحروب على صورة الشخصية العربية، ومنهم - كما سبق بيانه - دكتورة نادية سالم، ودكتور سامي مسلم، ودكتور حلمي ساري، وكاتبة هذه السطور.. إذ خصص كل منهم أطروحته للدكتوراه لدراسة صورة العرب في هذه الحقبة بالذات، والمقارنة بين صورة الشعب المنتصر، والشعب المهزوم.. وأثر الحروب، وتغيير القيادات على الصورة.. إذ كانت الزعامة القومية للرئيس جمال عبدالناصر تقض مضجع الغرب كله، وخاصة بريطانيا، في حين كانت فترة السبعينيات فترة هدنة مؤقتة للحملة على العرب المصريين فقط، إلى أن كانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ ومابدا فيها من تعاون عربي، تمثل في قرار الحظر النفطي الذي أشهرته دول الخليج العربية النفطية سلاحاً سياسياً في المعركة.. جعل الدول الغربية تركز هجومها على هذا الجناح العربي بشكل خاص، وتسيء إليه أبلغ الإساءة.

ورغم أن هذا الحظر استخدم كسلاح اقتصادي وسياسي عربي، من حق العرب استخدامه، إلا أنه استغل لوصف العرب الخليجيين بالذات بممارسة الضغط والابتزاز.. ورغم اعتراف صحف النخبة البريطانية بأن ذلك كان حقاً عربياً سياسياً لم يكن المقصود به الإنسان الغربي.. إلا أن الصحف الشعبية بالغت وهولت من خطورة هذا السلاح، وظلت تلوح

لفترة طويلة بإمكانية تكرار استخدامه كعامل ضغط.. لكن «هذه الصحف كان لها مصالح ومآرب من وراء هذا التضخيم.. فقد كان هناك دائماً فرق بين العرب أصحاب المال وغيرهم، حتى في إطار الخليج، وبعد أن كانت الصورة في مرحلة من المراحل تعمم السلبيات على العرب كلهم، وتخص بعض الأقطار بالسلبيات.. أصبح التركيز على عرب الخليج بالذات.. ويكمن وراء ذلك أسباب تاريخية وأيضاً تأثير صهيوني، وبقايا من عقدة الذنب حيال اليهود وقصة المحرقة.. ويزكي ذلك كله التصرفات الشخصية العربية التي جاءت نتيجة للثراء المفاجئ لمنطقة محرومة لفترة طويلة.. وما واكب ذلك من جعل تصرفات الأفراد هوجاء ومتسمة بالطفرة، حتى أن ملاهي وأندية القمار التي أقيمت أساساً للبريطانيين وليس للعرب أصبحنا نحن نجومها»[١].

ونضيف بدورنا إلى هذا التحليل للتحامل الغربي على الشخصية الخليجية بالذات.. أن ظهور النفط وتحول أنظار العالم إلى منطقة الشرق الأوسط، والخليج بالذات، على اعتبار أنها تملك أكبر احتياطي عالمي من النفط، قد خلق إلى حد ما نوعًا من الحقد في نفوس الغرب، نظراً لاحتياج الغرب إلى البترول كطاقة فاعلة وأساسية في تطوره الصناعي الحالي والمستقبلي، تكمن آباره واحتياطيه خارج أرضه.. وبعيداً عن هيمنته.. فالبترول كان ومايزال محط أطماع القوى العالمية على اختلافها، وقد نجحت أمريكا في السيطرة على منابعه بالفعل؛ بتواجدها العسكري في منطقة الخليج منذ مطلع حقبة التسعينيات بعد حرب تحرير الكويت.

هذا وقد تواكب مع انحسار المد القومي مالم يكن في حسبان الغرب.. وهو بروز المد الإسلامي المتنامي بقوة، واكتساحه لمنطقة الشرق الأوسط بأسرها، وليس فقط الدول العربية.. بل وامتداده إلى

---

(١) د. محمد الرميحي، حديث خاص في ٢/٢/١٩٨٣، أبوظبي.

شرق آسيا في أفغانستان وماجاورها، والغرب يعلم علم اليقين خطورة هذا المد بالذات.. إذ يقدره حق قدره، ويعلم أن خطره يفوق كثيراً تنامي المد القومي العربي.. وأن بإمكانه أن يكتسح الدول الإسلامية الآسيوية... ويمتد إلى أوربا أيضاً.. وتجربتهم مع المد الإسلامي وقوته التي تدعمها العقيدة والإيمان.. لم تُنسَ بعد.. بل إن آثارها باقية في بعض دول أوربا، التي وصلت إليها الفتوحات الإسلامية... ووصل إليها الدين الإسلامي كعقيدة.

ولعل القول بالعداء التقليدي بين الشرق والغرب، والصراع بينهما لايقف حائلاً دون الأمل في تغيير الصورة العربية في الغرب.. فمن حسن الحظ أنه في النصف الثاني من القرن العشرين «قد تطورت فرص الالتقاء والتواصل بين شعوب العالم المختلفة بشكل هائل.. وقد انعكس ذلك على معلومات الأفراد والجماعات عن الشعوب المختلفة، وأصبحت الصور أكثر قرباً من الواقع عما كانت عليه في الماضي.. ولكنها بقيت مع ذلك متأثرة باتجاهات الشعوب تجاه بعضها البعض في أوقات معينة، وما تمثله هذه الاتجاهات المحايدة التي تخف فيها حدة التشويه أوالمغالاة في الثناء والتقدير»[(١)].

وذلك مالمسته بنفسي حينما أردت المقارنة بين الصورة التي تقدمها وسائل الإعلام البريطانية لعرب الخليج كمثال.. والصورة الذهنية المنطبعة لدى الأفراد البريطانيين.. إذ وجدت اختلافاً كبيراً بين الصورتين في صالح العرب، ذلك أن الجمهور المتلقي عادة لايقبل الصورة كما تقدمها له وسائل الإعلام.. لكنه يضيف عليها من خبراته الشخصية، وانطباعاته الذاتية، من خلال اتصاله الشخصي بأي من عرب الخليج، أو من البريطانيين الذين زاروا المنطقة العربية.. فالاتصال الشخصي كان في مقدمة وسائل الاتصال المؤثرة في تشكيل الصورة

---

(١) د. علي عجوة، العلاقات العامة والصورة الذهنية، ص ١٤٠.

العربية في بريطانيا، وأكثرها عمقًا في التأثير؛ لأن الصورة البريطانية لعرب الخليج قد جاءت انعكاساً للواقع الاجتماعي للشعب البريطاني الواعي المثقف، الذي يتدبر مايُقدم له، ويُضيف إليه خلاصة خبرته الإنسانية عبر مراحل التاريخ.. ناهيك عن أن الصورة المقدمة في صحف النخبة كانت صورة متوازنة، إن لم نقل جيدة، ولا تُقارن بأية حال بالصورة المقدمة في الصحف الشعبية.

وما دامت قوة الصورة أو ضعفها عند الأفراد الذين تتكون لديهم تتوقف على درجة الاتصال بينهم وبين موضوع الصورة، ومدى اهتمامهم بهذا الموضوع وتأثرهم به، ويمكن القول إن الإعلام الغربي قد نجح في فترة السبعينيات في خلق هذا الاهتمام بالعرب عامة، وعرب الخليج بالذات، وربطوا السياسة العربية، والقرارات العربية وطبيعة التصرفات العربية بالحياة اليومية للمواطن الغربي العادي، من خلال الربط بين قرار الحظر النفطي واحتياجات الإنسان العادي من الوقود، للتدفئة ولتسيير سيارته.. ولقضاء عطلة نهاية الأسبوع؛ لذا نجد أن صورة العربي الخليجي واضحة لدى الإنسان الغربي.. بل إن هناك تفريقاً فعلياً بين صور فرعية للشخصية العربية تؤرخ د. نادية سالم لبدايتها مع حرب ١٩٧٣.. إذ أصبح هناك تفريق بين ثلاثة صور فرعية للعرب هي: المصريون ـ والفلسطينيون ـ والخليجيون؛ وقد قمت بنفسي بالتأكد من وضوح هذا التفريق من خلال الاستبيان فاتضح هذا التفريق بجلاء.

هذا وقد كان من أهم ملامح هذه الفترة في الإعلام الغربي وتصويره للعرب.. تركيز وسائل الإعلام على نشر أخبار الخلافات العربية... وهي مادة جيدة للصحف الغربية تؤكد على عدة سمات في الصورة العربية عبر التاريخ وهي: الصراع الدموي... والتناحر القبلي الذي يصل إلى حد الاقتتال.. وقد أدى تكرار نشر أخبار التظاهرات الشعبية

والشبابية، والمطالبة بحقوق وحريات في بعض البلدان العربية إلى الإيحاء بعدم استقرار هذه المجتمعات العربية.. رغم أن نشر مثل هذه الأخبار يُعتبر من دلائل صحة أي مجتمع؛ إذ يدل على أن هذه المجتمعات تتمتع بقسط من الحرية يسمح لها بالتظاهر في ظل نظم ديمقراطية.. لكن الصحف كانت تركز على مثل هذه الأخبار مع ربطها بموضوعات تاريخية.. بحيث تُحدث تأثيراً تراكمياً سيئاً. وقد كان للخلافات العربية التي وقعت في السبعينيات وامتدت حتى الثمانينيات أثر بالغ في تشويه الصورة العربية.. وقد عبرت عنها صحيفة فرانس سوار[1] الفرنسية قائلة:

«إن العرب قد رأوا أنفسهم مرة أخرى في مرآة محطمة كما رآهم العالم كله، فهم لايتفقون مطلقاً إلا في الخطب والمؤتمرات المناهضة لإسرائيل.. لكن السمة الغالبة في علاقاتهم هي التصارع حتى الموت.. وقد جاء التعتيم على أخبار مؤتمر قمة فاس ليعكس عادة العرب في الشرق، إذ يضعون خمار الحشمة تغطية على كراهية وضغائن تغلي من تحته».

ولعل الخلافات العربية بين الحكومات هي العامل الأساسي والحاسم في تشويه صورة الأفراد العرب.. ذلك أن الصراعات الحكومية والقرارات المتضاربة كانت خلال عقد السبعينيات، ومعظم سنوات عقد الثمانينات من أهم أسباب الإساءة للصورة العربية.. ومصداق ذلك يأتي بشهادة شاهد من أهلها وهو «فرانك جايلز» نائب رئيس تحرير صحيفة «الصانداي تايمز» البريطانية.. إذ تناوله في موضوع «الصحافة البريطانية والعرب» مؤكداً هذا المعنى، حينما قال: إنه «على الرغم من عدم وجود دلائل على مؤامرة متعمدة ومنتظمة ومستمرة لتشويه العرب، فإن الصحافة البريطانية الشعبية، وفي بعض الأحيان

---

(١) France Soir,27/11/1981

النوعية، كانت تعمل بانتظام على نشر مقولة مفادها أن كلمة (شرقي) هي الصفة الطبيعية للكلمات التالية: الازدواجية، الاستبداد، الوحشية والخنوع.. وإلى تلك الكلمات يمكن أن نضيف كلمة التشويش الذهني، وهي الميزة التي ترتبط في أذهان الغربيين بالحكومات في الشرق الأوسط وبإجراءاتها» .[1]

ذلك أن تأثير المواد السلبية على الصورة العربية كان أكثر بكثير من المواد الإيجابية... فحتى إذا كانت حرب أكتوبر ١٩٧٣ قد حسنت إلى حد ما صورة الإنسان العربي المصري كمقاتل شجاع يحافظ على السر، منظم، إلى غير ذلك من صفات، مضافاً إليها بعض سمات أخرى جيدة نتيجة للسياسة المصرية التي أعقبت هذه الحرب، والتي اختلف حولها العرب ورفضوها، في حين رآها الغرب شكلاً من أشكال التحضر والدبلوماسية الحكيمة.. أقول رغم اختلافنا على تقويم هذه السياسة.. لكنها قد أحدثت تحسناً في سمات الصورة إلى حد ما، وإن أساءت إلى صورة فرعية من صور العرب الكلية.. ذلك أن المساحة الممنوحة للمادة المعادية للعرب ـ عرب الخليج بالذات ـ كانت أكبر بكثير من المساحة الممنوحة للمادة المحايدة، أو المؤيدة للعرب بوجه عام، والتي كان من شأنها أن تغير أو تحسن صورتهم.. فقد كانت في تقديري أشبه بالمساحة الزمنية الممنوحة للإعلان عن السجائر بفن وجاذبية، مقارنة بالمساحة الممنوحة للتحذير من التدخين.. إذ كانت المساحة الإيجابية والمحايدة غالباً ماتكون برامج دعائية مدفوعة من قبل دول الخليج وفي مناسبات قومية.. أو مناسبة تبادل زيارات رسمية.. لابد أن يصحبها جو من الموضوعية والصياغة الدبلوماسية.. وغالباً ما لا يُقبل جمهور المتلقين على هذه النوعية من الرسائل الإعلامية.

لذلك يمكننا القول بأن ضعف التدفق الإعلامي العربي، أو قلة

---

(١) فرانك جايلز، الإعلام الغربي والعرب، ص ٢٣٢.

المعلومات، ليست دائماً هي السبب الكامن وراء تكوُّن الصورة السلبية للعرب في وسائل الإعلام الغربية.. ولكن قد تكون أحياناً كثرة المعلومات مع سلبيتها هي السبب في التشويه؛ لأنه ليس كل زيادة في المعلومات تؤدى بالضرورة إلى تحسين الصورة أو تكوين صور إيجابية.. فالمهم هو نوعية هذه المعلومات.

أساليب الحملة على العرب:

وذلك يقودنا بالضرورة إلى مناقشة نوعية المواد المناصرة لصورة العرب والمواد المعادية لها.. أي التعرض لأساليب الحملة على العرب.. وقد باتت واضحة إلى حد كبير بعد كل ما أوردنا من نماذج في الباب الأول.. فالمواد المناصرة هي في تقديري كل مادة صحفية يميل مضمونها إلى جانب تأكيد فكرة أن الدول العربية أو الأفراد العرب يجمعهم التآلف الاجتماعي والاقتصادي سواء كدول، أو كفئات، أو كأفراد.. وهي أيضاً كل مادة تظهرهم على أنهم أقوياء، أو على حق. أما بالنسبة لاستعراض شؤونهم الداخلية فتتحدد المناصرة على أساس المواد التي تعكس نشاط الأفراد الذين يتعاونون، فيتقدمون اجتماعياً واقتصادياً، وماينشر من أحداث تدل على أن الدول العربية دول تقدمية ناجحة، تنمو باطراد، وعلى أنها دول محبة للسلام، تلتزم بالأخلاقيات وتتسم سياستها بالذكاء.. وكذلك أفرادها، وأنها تلتزم بحكم القانون الدولي.. وتلتزم داخلياً بتطبيق القانون، وحماية حقوق الإنسان، وممارسته لحقه الديمقراطي.

وذلك مانجد ما يدل عليه بالفعل في صحف النخبة أو الصفوة، وفي المجلات الاقتصادية والسياسية المتخصصة[1].. أما ما تعج به الصحف

---

(١) راجع نماذج لذلك في أطروحة الدكتوراة الخاصة بالمؤلفة "صورة عرب مجلس التعاون الخليجى فى صحافة بريطانيا في الفترة من ١٩٧٣ - ١٩٧٨" - كلية الإعلام - جامعة القاهرة.

الشعبية، وبرامج التلفزيون، وبعض الأفلام.. فكله مما يمكن إدخاله في إطار المواد المعادية، التي تتضمن عكس كل ماسبق، بالإضافة إلى القول بأن الدول العربية كمثال تستخدم قوتها الاقتصادية في الضغط على الدول الأخرى، التي هي في حاجة إلى مواردها والعاملين فيها.. أو الإشارة إلى الثراء الفاحش الذي يشبه غالباً بالإحداث، ويشبه الأفراد فيه بأثرياء الحرب، وسلوكهم من حيث الإسراف والانحلال الخلقي والروحي، والتحريض والتآمر والرشوة أو ما يمكن تسميته بالفساد العام.

هذا إلى جانب أن الرسائل الإعلامية التي يمكن تصنيفها على أنها مادة مناصرة للعرب، ومساعدة في تحسين صورتهم كانت تتعرض غالباً لمنافسة رسائل إعلامية أخرى تفقدها تأثيرها.. وذلك في إطار عمليات تلوين الأخبار التي تعتبر واحدة من خصائص التقديم غير المباشر للواقع.. بمعنى أن أية رسالة إعلامية توجه عن طريق وسائل الاتصال، تتعرض غالباً لمنافسة الوسائل الأخرى، التي تؤثر في المعاني التي تتضمنها الرسالة، وبالتالي تتغير إلى حد ما معالم الصورة المنقولة خلال الرسالة، فتضاف إليها بعض المعاني التي لم تكن تحملها، وأيضاً تفقد بعض المعاني التي كانت تتضمنها.. وقياساً على هذا يمكننا القول بأن الرسائل الإعلامية التي كانت تقدم العرب في صورة طيبة - على قلتها - كانت بعض الصحف تعمد إلى إحاطتها برسائل أخرى تؤثر في محتواها، وتضيع الهدف منها.. وعلى سبيل المثال إذا تواكبت زيارة مسؤول عربي لدولة غربية أو العكس، فإن هذه الأخبار التي تعكس التعاون الدولي، والعلاقات الدبلوماسية الطيبة تنشر إلى جوار أخبار أخرى تسيء إلى العرب.. فنجد أن الجمع بين النوعين من الأخبار يضيع الأثر الطيب لصور الزيارة، وما تعكسه من معالم تقدم أو ازدهار، وخاصة إذا ما أحيطت بمقالات أو أخبار تصف البذخ، أو الهدايا التي

تدل على الإسراف والسفه، وهو ماحدث عدة مرات وسبقت الإشارة إليه في الباب السابق.

واستكمالاً للحديث عن أساليب الحملة على العرب، لابد من الإشارة إلى أن هذه الحملة بقدر ماتبدو ملامحها في الإعلام المغرض الموجه لكل دول العالم، والذي يسيء إلى العرب ويشوه صورتهم سواء عن عمد وقصد، أو كصدى لخلافات ثقافية، وتضارب في المصالح الآنية، أو تأثراً بالجذور التاريخية، المتمثلة في اختلاف العقيدة.. واختلاف القيم والمفاهيم، والصراع الحضاري بين الشرق والغرب.. أقول سواء كان عن عمد أو عن جهل وقلة معلومات، فإن له شقة الآخر الذي يجب التنبه له، وهو الغزو الفكري المنظم.. الموجه إلى البلدان العربية، بهدف التأثير في الرؤيا العربية.. بحيث يتم من خلال مايبث من فكر هدام، تكريس ملامح الصورة المشوهة، التي يرسمها لنا الغرب ويروج لها في كل العالم... ومن شأن اطلاعنا عليها أن تتحطم نفوسنا.. ونبدأ في احتقار ذواتنا وترديد مايروجه الغرب عنا.. واعتناقه.. وتبنيه.. في حين أن الواجب علينا حيال هذه الهجمة الشرسة، والحملة المكثفة ضدنا أو علينا، أن نتنبه إلى خطورة الغزو الفكري فننبذه ونرفضه ونتصدى له.. وفي نفس الوقت نسعى جاهدين في كل مجال للتخطيط لتحسين صورتنا مما يحاولون إلصاقه بها.. وذلك يتم كبداية من معرفة ملامح هذه الصورة ودراستها، بشكل علمي، ومتابعة تطوراتها.. وما يستجد عليها من سمات .. وفقًا لتوالي الأحداث، ودراسة الدوافع الكامنة وراء هذه الحملة.. وهو ماحاولت في الباب الأول استيضاحه والتركيز على نماذج منه.. حتى وإن كان يسوؤنا نشرها ويؤثر فينا الاطلاع عليها حتى حرصت على إيراد مثل هذه النماذج؛ لتكون بمثابة الصدمة الشديدة لمشاعرنا.. بحيث تحرك فينا الرغبة الصادقة والدائمة في تحسين هذه الصورة كل في

مجاله، ووفق قدراته المحدودة.. سواء كأفراد أو جماعات أو هيئات أو حكومات.. وذلك من خلال تخطيط سليم.. وعمل دائب داخلياً وخارجياً.. مرحلياً وبشكل مستمر.. وهو ماسنحاول ترسم خطواته في الفصل القادم.

وإذا كان هذا هو الحال حتى صدور هذا الكتاب في طبعته الأولى.. فإن الصورة السلبية للعرب والمسلمين قد تفاقمت سماتها السلبية، وأصابها الكثير من التشويه، والمبالغة في التظليل بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، التي استغلت في أمريكا ومعظم الدول الغربية للإساءة لصورة العرب والمسلمين معًا؛ وذلك لتحقيق أغراض سياسية أخرى لضرب عدد من الدول العربية والإسلامية.. في ظل تأييد عالمي استغلت فيه الصورة الذهنية السيئة عن العرب والمسلمين، وما خلفته من عداء وكراهية لهم وتأييد لضربهم بوصفهم قوى إرهابية.

الفصل الخامس

من أجل خطة إعلامية لمواجهة الحملات الغربية

يأتي هذا الفصل من الكتاب قبل الختام.. رغم أن كل الأبواب السابقة كانت بمثابة تمهيد له.. فإذا كان هذا الفصل يناقش أساليب الرد على الغرب.. وتصحيح صورتنا في وسائل إعلامه المختلفة، ووضع خطة محددة لمواجهة حملاته، فلابد أننا سنتعرض أحياناً لأساليب الهجوم كي نتخير أساليب الرد المناسب لها.. وإذا كانت الحملة علينا شديدة في الخارج، ويصل رذاذها إلى أرضنا، ويؤثر في البعض ممن يعيشون بين ظهرانينا ويؤثر فينا، سواء بالاستياء أو التبني والاعتناق لما يرد فيه من أفكار.. أقول سواء كان الأمر كهذا أو كذاك، فلابد أن نقسم الموضوع إلى نقطتين أساسيتين:

الأولى: كيف تكون شخصيتنا جيدة داخلياً ؟ وكيف نخطط لتحسينها بالفعل؟

وهنا أقول: لابد وأن تكون الشخصية العربية شخصية ذات سمات جيدة ومتميزة بالفعل، حتى تعكس صورة طيبة في الخارج ذلك **أن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.**

والثانية: أن نستتبع ذلك بمحاولة وضع خطة لتغيير الصورة خارجياً.. مع الإشارة مسبقاً إلى أن الخطتين المحلية والخارجية تؤدي كل منهما إلى الأخرى، وتكمل كل منهما الثانية ذلك أنه لايمكن أن تنجح واحدة دون الأخرى.. وتدليلاً على ذلك نبدأ تفصيلاً في شرح ملامح كل منهما، لتبيان أوجه التكامل بين الخطتين.. ومعذرة إلى القارئ إذا

تطرق بنا الحديث مرة أخرى إلى ذكر نماذج، وإذا استطردنا في شرح أمور أكاديمية أو إيراد تعريفات علمية.. فالوصول إلى هدفنا ـ وهو تغيير الصورة العربية الراسخة في الذهن الغربي ـ أمر ليس بالسهل بحال من الأحوال، كما وأنه لايمكن أن يتحول إلى جهد فردي.. أدعي القيام به وحدي.. فما أذكره مجرد ملامح عامة للتخطيط تصلح كقاعدة له.

والحقيقة التي لامراء فيها أن صورتنا إجمالاً ليست طيبة في وسائل الإعلام الغربية، وتزداد سوءاً يوماً بعد يوم، بفضل الدعاية الصهيونية في الغرب، ونجاحها غير المحدود، ليس فقط منذ قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، ولكن قبل ذلك بعقود، وليس أدل على ذلك من قول أمين الريحاني في محاضرة عامة ألقاها عام ١٩٣٧ قال فيها نصاً:

«الصهيونية متحدة فعلينا بالاتحاد، الصهيونية منظمة فعلينا بالتنظيم، الصهيونية مجاهدة، الصهيونية شديدة الإيمان فعلينا بإيماننا العربي القومي، نوحده ونعززه، الصهيونية غنية وما نحن بفقراء، وللصهيونية دعاية كبيرة في العالم فعلينا أن نقاومها بدعاية مثلها».

ومنذ صرخ الريحاني بهذه المقولة قبل أكثر من ستين عاماً من الزمان، وحتى يومنا هذا، خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر ونحن نطالب بالاتحاد في مواجهة العدو، حتى لوكانت أسلحته هي الكلام والتشويه؛ ولأنه منظم لابد أن تكون دعايتنا المتصدية لهجومه منظمة، ومحكمة، ومن خلال جهة مركزية واحدة، تتبعها آلاف الأبواق التي تُسمع العالم، وتقنعه دون ضجيج وافتعال.. وفي سبيل ذلك لابد أن يوحدنا إيمان قوي بقوميتنا، وبعدالة قضيتنا.. وأن ننفق في سبيل ذلك مما حبانا الله به من مال، فلسنا بالأمة الفقيرة في مالها، لكننا فقراء في التنظيم، وفي التكامل، وفي الوعي الذي يصل إلى حد القناعة والإيمان.. وفي وجود خطة دعائية متكاملة تتصدى للدعاية الصهيونية.

ولا عيب البتة في ترسم خطوات الأيديولوجية الصهيونية في عرض

قضايانا العربية، والإقناع بعدالتها.. فنحن بالفعل أصحاب حق.. ونحن بالفعل لسنا بالصورة الشوهاء التي يرسمونها لنا.

ذلك أن الأيديولوجية الصهيونية قد نجحت في إقناع الخصم والصديق بعدالة قضيتها - ألا وهي اغتصاب الأرض، أرض الميعاد - رغم أن قضيتها هذه غير عادلة على الإطلاق!! فكيف وصلوا إلى هذا النجاح؟!! رغم أن الصهيونية تفتقر إلى التجانس الذي يتوافر في أمة العرب؟! وتفتقر إلى عدالة ما تطرحه!!.

يجب أن ندرك أن السر الحقيقي الكامن خلف نجاحها هو تبنيها لأشكال متعددة من الدعاية، وتحديدها لأهدافها المرحلية والبعيدة.. وإيمانها بضرورة إقناع الخصم والصديق معاً، متخذة من العقيدة وسيلة نفعية تستخدمها كأداة؛ لتحقيق أهدافها الثابتة في كل مرحلة وفقاً لما يناسبها(*).. ونحن بدورنا يجب أن نضع خططاً مرحلية وأخرى طويلة المدى.. وخططاً داخلية، وأخرى خارجية، ولكل من هذه وتلك الأساليب التي تناسبها.. والتي يجب أن نتبعها بوعي، ونستخدمها بذكاء؛ للتصدي للهجوم الغربي الواضح، والدعاية الصهيونية التي تقف من خلفه، حتى لو ترسمنا خطاها التي أدت بها إلى النجاح والتفوق الدعائي علينا.

ولنقل حمداً لله أننا بدأنا نعرف العدو من الصديق.. وبدأت عيوننا تتفتح على الأعداء.. وبدأت بالفعل العديد من الدراسات التي تقدم لنا على مشرحة البحث، تحليلاً لمضمون كل ما يُكتب عنّا.. حتى بتنا نعرف تماماً المضمون الظاهر، والمضمون الباطن لكل ما يُراد به تشويه صورتنا.. وعلينا أن نقدم في مقابل ذلك عملاً إعلامياً جاداً.. وليس مجرد كلام أو هجوم، فعدونا يفهمنا حق الفهم؛ ولذلك يستطيع

(*) راجع د. محمد محمود ربيع، الأيديولوجيا السياسية المعاصرة.. قضايا ونماذج، ص ٢٢٥ وما تلاها، طبع في الكويت.

النفوذ من خلال أخطائنا، وليس أدل على ذلك مما قاله «لورور فيجارو» من أن «ما يقدمه العرب هو هجوم كلامي فقط».

الخطة المحلية:

عوضاً عن التقديم الطويل لأهداف الخطة الإعلامية المحلية أو الإقليمية، والتحدث عن جدوى هذه الخطة ـ الذي لا يتم تغيير صورتنا بدونه ـ لابد من القول بأنه إذا ما كان السلوك الشخصي رشيداً في الداخل وفي الخارج.. فإن مجموع ما يعكسه هذا السلوك هو صورة طيبة وانطباع جيد لدى الغير؛ ولذلك لابد من تنمية بشرية.. تحقق ما نصبو إليه من شخصية رشيدة.

تستهدف الخطة الإقليمية بالضرورة الأجانب المقيمين في المنطقة العربية؛ لأنهم سيكونون بمثابة قادة رأي في مجتمعاتهم الغربية، ولدورهم هذا أثر بالغ لايتحقق إلا من خلالهم.. ولايستطيع أي داعية عربي، أو رجل إعلام عربي مهما أوتي من مقدرة على الإقناع، أن يحدث أثراً بمقدار ما يتركه الحديث العفوي الذي يردده الغربيون الذين أقاموا لفترات في المنطقة العربية.. وقد تأكدت من هذا بنفسي في أثناء إجراء استبيان على عينة من البريطانيين المقيمين في إحدى الدول العربية، وتأكد لي تماماً أن الاتصال الشخصي كان له أكبر الأثر في تشكيل الصورة الذهنية.. بل إن تأثيره قد فاق تأثير وسائل الإعلام بكل إلحاحها وقوتها، وقد قمت بقياس هذا الأثر بمعاملات إحصائية أثبتت قوته.. مما يجعلني أؤكد على ضرورة استغلال الإعلام الداخلي الصادر باللغات الأجنبية في كل دولة عربية، وتوجيه رسائل إعلامية من خلاله للمقيمين الأجانب ،وإعطائهم مساحة من اهتمامنا، وقدراً من التوجيه ـ غير المباشر بالطبع ـ ليكونوا دعاة لنا وليسوا علينا.. فكيف يكون ذلك؟!!

بداية نردد مقولة فولتير "Voltaire" المعروفة: «إن الطريقة الوحيدة التي تجعل بها الناس يتحدثون عنك بصورة حسنة هي أن تتصرف بطريقة طيبة»[1]، ويؤكد هذا القول أيضاً دكتور علي عجوة معتمداً على الواقع العلمي والدراسات العديدة في مجال العلاقات العامة، التي أثبتت: «إن الممارسات السليمة، والسلوك المستقيم، والأفعال الطيبة هي الأساس في تكوين الصورة الطيبة، التي تتدعم ويتسع نطاقها بين الجماهير من خلال قادة الرأي والجماعات التي ينتمي إليها الفرد وتؤثر عليه تأثيراً قوياً، وأيضاً من خلال وسائل الاتصال الجماهيرية»[1]، ومن ذلك يتضح لنا أهمية العنصرين معاً: ترشيد سلوك الأفراد العرب داخلياً وخارجياً، وضرورة الاهتمام بالإعلام الداخلي الموجه للغربيين المقيمين في المنطقة العربية.

فأما عن السلوك الفردي فإنه قد بات من الملاحظ استياء الصفوة العربية من السلوك غير الرشيد الذي تمارسه الغالبية في حضرة الأجانب، سواء داخل البلاد العربية أو خارجها، في أثناء ترحالهم هنا وهناك في أوربا وأمريكا.. حيث يحلو للبعض التحلل من القيم والتقاليد العربية الأصيلة بعيداً عن الأهل والوطن، أي بعيداً عن أعين اللائمين، فيكون الإسراف إلى حد السفه، ويكون التكالب على النساء أو على الجنس بوجه عام، ويكون السلوك الذي يعكس بداية مراءاة الشخصية العربية، بمعنى أن الغربيين يدركون من الوهلة الأولى أننا نأتي، في الخارج ما لا نستطيع الإتيان به داخل أوطاننا العربية؛ ولذلك يدمغوننا دائماً بصفة المراءاة والازدواجية.

وقد تناولت عدة موضوعات صحفية، وأيضاً أعمال فنية قضية السلوك الفردي وأثره على صورة العرب في الخارج... ونذكر منها على سبيل المثال مسرحية «باي باي لندن»[2] الكويتية، التي كانت بحق

(١) د. علي عجوة، العلاقات العامة والصورة الذهنية، ص ٧١.

(٢) تأليف الكاتب المسرحي المصري نبيل بدران.

صرخة صادقة عبرت عن هذا المعنى بجد، حبذا لو تنبهنا لها.

ورغم أن مثل هذه الصورة العربية قد تسبب في تشكيلها فئة قليلة العدد من العرب، ألا وهم العرب الأثرياء، الذين يملكون المباهاة بمالهم.. والإنفاق بسفة.. بل ويملكون بادئ ذي بدء المال الذي يحقق لهم الترحال إلى الغرب، مضافاً إليهم بعض الشباب المهاجر من العرب، الذين تركوا بلادهم سعياً وراء الرزق والعمل، والذين يسيئون أيضاً إلى الصورة الذهنية المكونة عن العرب.. ولكن بشكل آخر؛ إذ تضطرهم ظروفهم المادية في بلاد الغربة إلى التسول أحياناً.. والسرقة أحياناً أخرى.. أو المشاركة بشكل أو بآخر في ممارسة أعمال تتنافي مع الآداب، إن لم نقل تدخل في إطار العنف والجريمة... فيعطون تصوراً خاطئاً عن العرب أجمعين.. ذلك أنه رغم ظهور صور فرعية للعرب بعد حرب ١٩٧٣ - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - إلا أن الغالبية العظمى ممثلة في الصحف الشعبية وفي الأفراد العاديين في الغرب، لايفرقون بين هذه الصور الفرعية للعرب، بل يرونهم كصورة قومية متوحدة.. وبذلك ينسحب السلوك الفردي لبعض العرب على التصور الذي يجمعهم في قالب واحد.

فصورة الدولة أو مجموعة الدول التي تجمعها مجموعة من الخصائص المشتركة تؤثر على سلوك المجتمع الدولي نحو هذه الدول أو تلك.. بل إن بعض الدول العربية، ونخص بالذكر هنا دول الخليج كمثال، قد كان لها أو لأفرادها قصب السبق في تشكيل الصورة الغربية عن العرب ككل، ذلك أن بعض الدول التي تتميز بموقع جغرافي فريد أو أماكن جذب من نوع معين يلعب المواطنون فيها دوراً كبيراً في تقديم مجتمعهم إلى ممثلي الشعوب الأخرى من خلال تصرفاتهم وسلوكهم الخاص، وطريقة تعاملهم مع هؤلاء الأفراد، كما يلعب المظهر الشخصي والزي الوطني السائد وأنماط السلوك العام والعادات والتقاليد والقيم التي

تظهر من خلال الأعمال السابقة، أو من الاحتكاك المباشر دوراً كبيراً في تشكيل صور المجتمعات التي تعبر عنها»[1].

وقد أكدت تصرفات الأفراد في الخارج على سمات أساسية في الصورة الذهنية المكونة في الغرب عن العرب عبر التاريخ، من خلال «الليالي العربية» أو «ألف ليلة وليلة» وصورة شيخ الشيوخ الثري المحاط دائماً بالنساء، والمولع أبداً بالخمر والمقامرة.. حتى أن هذه الصورة الأسطورية قد غطت على صورة العرب الذين تضطرهم الحاجة أحياناً إلى السرقة من المحال التجارية، أو كسر صناديق الهواتف العمومية، وما إلى ذلك من جرائم ،كانت تصورها الصحف الغربية مصحوبة بالدهشة، التي توحي بأن العرب يعيشون بشخصيات مزدوجة، فكيف يسرقون أشياء تافهة وهم الأثرياء المترفين؟! وذلك التقديم في حد ذاته أكد التصور الغربي بأن الإنسان العربي شخصية مركبة، إن لم نقل مريضة.

ولعله من الضروري حينما نخطط لتحسين صورة العرب بوجه عام أن نقيس مدى ثبات الصورة السابقة في أذهان الغربيين!! وهل هي بالفعل صورة راسخة؟ لايمكن تغييرها إلى النقيض.. إلا بأحداث جسسسام، من شأنها إحداث هزة عنيفة وتبدل كبير في التفكير..أم أنها صورة باهتة ضعيفة يمكن تغييرها.. ولو إلى حد بسيط.

هذا وقد قمت بقياس ذلك من خلال الاستبيان، ولكن على صورة فرعية من الصور العربية، ألا وهي صورة الخليجيين بالذات ـ فوجدت أن إمكانات التغيير متاحة.. لو واكبها من الآن سلوك رشيد، ذلك أن الصورة التي تقدمها وسائل الإعلام الغربية أوضح لي الاستبيان اختلافها عن الصورة الذهنية المنطبعة لدى الأفراد.. فالإنسان الخليجي من أحب الشخصيات العربية لدى البريطانيين كمثال.. وسمات

---

(١) د. علي عجوة، مرجع سبق ذكره، ص ١٣٠ .

صورته الذهنية المنطبعة لديهم تضم بعض سمات جيدة، كما وأنه مقبول في معظم العلاقات الاجتماعية لدى البريطانيين، ومنها علاقة الصداقة، والجيرة، والزيارة، والزواج... إلى آخره.. الأمر الذي قد يعجب له بعضنا!!

والفضل في ذلك يرجع إلى أثر الاتصال الشخصي في تشكيل وتغيير الصورة الذهنية، وأيضاً لأن هذه الصورة لايمكن القول بأنها جديدة تماماً، فقد بدأت مع الطفرة النفطية، والثراء المفاجئ الذي عمّق الصورة التاريخية للعربي.. وأيضاً أكدته وعمقته الصورة التاريخية كخلفية أسطورية.. لكن بعض السمات الطيبة في شخصية العرب الخليجيين التي تلمّسها الغربيون الذين اتصلوا بهم شخصيًا.. وقد تركت انطباعاً متوازنًا إلى حد ما.

هذا وأريد أن أنوه إلى أني هنا أركز على محددات أربع فقط في سمات صورة الإنسان العربي كشخصية موحدة ـ وليس كصورة قومية لدول ـ أي أركز على المحددات التي رسمت سمات صورة الإنسان العربي، وليس الدول العربية، وهي المحددات الثقافية والاجتماعية، والنفسية، وكخلفية لها المحددات التاريخية، دون التركيز على المحددات الاقتصادية والسياسية التي لها تأثيرها ولاشك.. ولكن على صورة الدول، وليس الأفراد، خاصة لدى الصفوة المتعلمة.. في حين تنسحب السمات القومية على الأفراد في التعاملات اليومية، وفي توقع سلوكهم بناء على الصورة الذهنية المنطبعة عن دولهم، أو قوميتهم ككل.

وكمثال لذلك أن بعض العامة من بائعي المحال والعمال في أوربا، يرون أن الإنسان العربي بالضرورة ثري مترف، وأن كل العرب أمراء أسطوريون.. في حين أنه بتوجيه سؤال مباشر للبريطانيين حول هذا المعنى، وهل يتخيلون وجود فقراء في دول الخليج الثرية؟؟ أكدوا بإجماع وجود هذا التخيل لديهم!! رغم أني على المستوى الشخصي قد

لمست أن بائع أحد المحال التجارية في العاصمة البريطانية استنكر أن لايستطيع شخص عربي شراء سلعة لأن سعرها غال، وواجهه بسؤال مؤداه: كيف ذلك وأنتم تشترون فندق دورشستر بملايين الجنيهات؟! أي أن التفريق بين الصور العربية واضح فقط لدى الخاصة المثقفة، وغير واضح لدى العامة من الناس.

هذا وأرى أن أسلم الطرق لتغيير الصورة لايأتي باتباع طرق دفاعية تجعل الصورة تبدو مخالفة للحقيقة.. وإنما يتحقق بالجهود المستمرة لكسب الثقة من خلال الأعمال التي تحظى باحترام الآخرين بلا خداع ولا تزييف.. بل بالسعي إلى خلق وبلورة صورة تستند إلى الحقيقة، وتلتزم بالصدق والصراحة والوضوح، فإذا كان الواقع سيئاً، أو تشوبه بعض الشوائب والسلبيات، فينبغي في البداية تنقية هذا الواقع، وتدارك ما به من أخطاء، بدلاً من محاولة إخفائها أو تزييفها بكلام كاذب.. حتى وإن بدا براقاً فإنه سرعان ما يزول أثره، وينكشف زيفه.. لذا أرى أنه لابد من معرفة شوائب الشخصية العربية، وسلوكها في الواقع أولاً، والعمل على تنقيتها من هذه الشوائب بترشيد سلوك الأفراد، وتوعيتهم بضرورة أن يكون سلوكهم أمام الآخرين - أو حتى فيما بينهم - سلوكاً رشيداً ،ثم نحاول بعد ذلك نقل هذا الواقع، أو صورته للآخرين كصورة تطابق الواقع، أي تقديم صورة صادقة. وهنا تجدر الإشارة إلى ضرورة التركيز على النماذج الفردية الجيدة في الإعلام المحلي.. وأيضاً من خلال وسائل الإعلام الإقليمية، أو العربية الموحدة ومن خلال جميع الوسائط المستحدثة ووسائل تدفق المعلومات والأخبار التي تطالع عالميا.. وعدم التركيز على التحركات الرسمية للقيادات السياسية والوزارية؛ لأن مثل هذا التتبع الرسمي لايحسن الصورة، بقدر ما يحسنها كمثال نشر خبر عن بطل عربي في رياضة ما.. أو نبوغ عربي في مجال علمي ما، أو ابتكار أو اختراع أو إضافة عربية في أي

مضمار - حتى ولو كان ذلك له صفة الفردية - فإن هذه الأخبار على بساطتها وفرديتها، تحدث لدى القراء العاديين صوراً تراكمية جيدة، من شأنها تحسين الصورة، بالتكرار والإلحاح الذي لابد وأن يبدو غير متعمد.. والذي لابد وأن يؤتي ثماره في تحسين الصورة بسياسة النفس الطويل.. ذلك أن تحسين الصورة لايأتي بين يوم وليلة.. ولاتؤثر فيه الأخبار الرسمية بقدر ما تؤثر فيه الأخبار ذات الطابع الإنساني، التي تركز على جوانب إيجابية، دون اعتبار لأهمية الشخص موضوع الخبر، فقد يكون طالباً عادياً، أو فناناً مغموراً، وليس بالضرورة أن يكون حاكماً أو شخصية عامة، فقد تكون هذه الشخصيات الرسمية ليس لها قبول لدى الغربيين، أو لها سمعة غير طيبة لدى العامة من الناس.

هذا ولابد على الصعيد المحلي من استخدام شتى وسائل الإعلام، المسموعة والمرئية والمطبوعة.. بل وحتى الاتصال الشخصي والاتصال الجماهيري على الصعيد المحلي.. كالتجمعات في المدارس والجامعات، والمراكز الثقافية، ومن خلال السينما التسجيلية والإنتاج التلفزيوني، الذي يمكن أن يُسخَّر جزء منه للإسهام في تغيير الصورة المشوهة.. بدلاً من استخدام وسائل الإعلام المحلية في كل دولة عربية في تمجيد السلطة فقط، وإلقاء الضوء على منجزاتها وتحركاتها، فلا بأس من توجيه جزء من الإرسال اليومي الإذاعي والتلفزيوني لتغيير صورة المواطن العربي في أعين الأجانب المقيمين والوافدين على المنطقة العربية.. وأيضاً بث روح التغيير والإيحاء به في نفس المواطنين أنفسهم؛ ليسعوا إلى تغيير مسلكهم الشخصي.. كما وأنه بالإمكان الآن من خلال المواقع العربية والأجنبية المتاحة على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت) القيام بجهد فاعل في هذا الصدد.. ناهيك عن استغلال الفضائيات والسماوات المفتوحة في تصحيح الصورة الذهنية للعرب والمسلمين.. من خلال بعض القنوات الفضائية العربية الناطقة بلغة أجنبية أو ترجمة

بعض برامج الفضائيات العربية التي قد يتعرض لها الأجانب.

ذلك أن وسائل الإعلام المحلية الموجهة إلى الأجانب بلغتهم هي نافذتهم الحقيقية؛ لمعرفة وتفهم السلوك العربي بكل أشكاله وأنماطه.. شريطة أن يقدم هذا التوجيه بأسلوب غير مباشر.. وبتلقائية توحي بعدم التعمد.. مع تقديم الجوانب الإنسانية ـ كما سبق القول ـ على الجوانب الرسمية.. ذلك أنه بسؤال البريطانيين عن تلقيهم للرسائل الإعلامية الموجهة لهم، خاصة نشرات الأخبار والصحف التي تصدر باللغات الأجنبية في المنطقة العربية، أشار البعض إلى رفضهم لمحتواها؛ لأنها لاتقدم إلا الرسميين، ولاتقدم الحياة الحقيقية للمجتمع العربي.. وأن صياغتها تتضح منها الصيغة الحكومية.. والتوجيه المباشر بسذاجة.. فالنشرات المحلية باللغات الأجنبية غالباً ما تكون ترجمة حرفية للنشرات العربية.. في حين أن الجمهور الموجه إليه هذه الرسائل الإعلامية مختلف تمام الاختلاف في طباعه وميوله.. وحتى في المساحة الزمنية التي يمنحونها لتلقي مثل هذه الرسائل.

هذا ولابد من استخدام أساليب مختلفة لتغيير الصورة، ولو داخلياً بين جمهور الأجانب.. فلو افترضنا أن ما يتعرَّض له العرب هو بالفعل حرب نفسية تحاول تشويه صورتهم، وتكريس سمات هذه الصورة المشوهة من خلال الغزو الفكري للدول العربية بأفكار مريضة.. وبإغراق أسواقه بشتى السلع التي تدعوه دون أن يدري إلى سلوك استهلاكي غير رشيد.. وإلى الكثير من التصرفات التي تصمه بسمات ليست فيه أصلاً.. لوافترضنا قيام هذه الحرب الباردة على الأمة العربية.. فلابد من الرد عليها، ولن يتأتى ذلك بالضغط، أو بالرد بالمثل.. ولكن يمكن في مثل هذه الحالة استخدام التكتيكات المعنوية المستخدمة في الحرب الباردة، ومن هذه التكتيكات خلق مرحلة تمهيدية للاستعداد، وذلك بتنشيط الروح المعنوية داخلياً، وترشيد السلوك

العربي، ثم يلي ذلك مرحلة استمالة الرأي العام الأجنبي محلياً إلى الجانب العربي، تمهيداً لتقبل الصورة الجديدة التي نسعى لإحلالها مكان الأنماط السائدة عن العرب.

ونظراً لأن قوة الإقناع هي العامل الأساسي والرئيسي في عمليات تغيير الصورة.. وليس مجرد توجيه رسائل إعلامية تحمل كلمات براقة، فكما يقول د. أنور السباعي: «إن الكلمات في عالم الدعاية يمكن أن تتحلل، فتنساها الجماهير، ومرد هذا هو أن الانعكاسات العاطفية للجماهير، دون إقناع يؤثر فيها، لا يمكن أن تكون قوة متحكمة في هذه الجماهير»[1] ولذلك فإن قوة الإقناع قد ارتفع شأنها إلى حد أصبح معه من الممكن كشف الكذب المنتشر في بعض الدعايات... فحتى في حالة تقديم وسائل الإعلام لحدث ما سياسي محلي «ينبغي أن لاينفصل عن الإقناع الذي يفسر أصله وأسبابه على ضوء دراسات طباع وحياة الأشخاص الذين لهم صلة بهذا الحدث»[2]؛ ولذلك لابد من الدقة ومخاطبة العقل وليس العواطف.. واستخدام شتى وسائل الإقناع في كل رسالة إعلامية ترمي إلى تغيير الصورة.. من خلال النشرات والمقالات، والندوات الصحفية والمقابلات، وفن الكاريكاتير، وأيضاً الكتب.. بل وحتى التمثيليات والفكاهات البارعة الخفيفة التي يعتمد إعدادها لرسم الصورة الجديدة للعرب، أو لتغيير بعض ملامح وسمات صورتهم السائدة.

وبالطبع لابد أن ترتبط التنمية الداخلية بعملية تغيير الصورة العربية وذلك من خلال مساهمة وسائل الإعلام المحلية في التنمية، بحيث تتواكب العمليتان زمنياً.. لا بل من الأفضل أن تسبق عملية التنمية عملية السعي لتغيير الصورة؛ ذلك أن تحرير الإنسان العربي من المفاهيم الاجتماعية البالية التي تبرز سمات الاتكال، والتكاسل،

---

(١)، (٢) د. أنور السباعي، التخطيط الإعلامي السياسي، ص ١٥٦ .

والتمسك بالموروثات إلى حد التقديس، يعتبر خطوة أولى في سبيل تغيير الواقع المعاش، والتخلص من سمات تنعكس وتُضَخَّمُ في الصورة التي يرسمها لنا الغرب.

كما يجب أن يزود المواطن بالمعلومات التي يستطيع من خلالها تأدية دوره في عملية تطوير البنى الاجتماعية القديمة والموروثة، خاصة ما يتعلق منها بعاداتنا في الإنفاق والاستهلاك والإسراف، الذي يؤخذ علينا في الغرب، ويعتبر سمة أساسية سائدة عن سلوكنا.. وبذلك يتم التأثير في الأنماط الاجتماعية السائدة، وبقدر ما ينجح الإعلام في تغيير الواقع، وتنمية الأفراد، بقدر ما ينجح في تغيير الصورة.. ويقاس هذا النجاح ليس فقط بكثرة وسائل الإعلام.. ولكن بقيمة المضمون الذي تقدمه هذه الوسائل.

وعن أهم النقاط التي يمكن أن يمارس فيها الإعلام دوره في مجال التنمية بنجاح ـ رغم ما قد يواجهه من صعوبات في المجتمعات التقليدية، التي غالباً لا تستجيب بالقدر الكافي لما تتلقاه من رسائل، مما قد يضعف درجة تأثيره ـ أقول رغم هذه الصعوبات فإن على الإعلام العربي دور كبير في مجال التنمية، من خلال:

* مناقشته للمتطلبات التربوية.. ودعوته إلى توسيع مجالات المشاركة في الحياة، وإعداد المواطن للعمل والإنتاج، وخلق الوعي لدى الأفراد وتعبئتهم ضد التخلف.
* إلى جانب إسهامات الإعلام في مجالات محو الأمية الهجائية أو اللغوية؛ وأيضاً الأمية الوظيفية والثقافية والسياسية.
* دعم التعليم المدرسي النظامي؛ لتحسين مستواه باستخدام التكنولوجيا توطئة للتنمية الشاملة، وذلك عن طريق الملصقات والمعارض والاتصال الشخصي، والأفلام التثقيفية، ونوادي الاستماع والمشاهدة الجماعية.

* عمليات التثقيف النسائي من خلال برامج التوعية الصحية.. وذلك لما للمرأة من أهمية في عملية التنمية الشاملة.
* التوعية المستمرة والدائمة بالنسبة لمشكلات النمو الحضاري المتعلقة بأنماط الاستهلاك.. والرامية إلى توسيع الأفق، وخلق الشخصية التي يمكنها تفهم الغير، وذلك لنقل الناس من المجتمعات التقليدية إلى المجتمعات المتحضرة[1].

وبالإضافة إلى ذلك يمكن لوسائل الإعلام المحلية أن تقوم بدور فعال في خلق الرأي العام المستنير.. وتدعيم دور القيادات.

أما الاتصال الشخصي والجمعي فيقوم بدور أهم، لتحقيق الاستجابات المطلوبة من جانب قطاعات المجتمع، كما يمكن من خلاله إعادة الترتيب القيمي لدى الجماهير، ومتابعة كل انحراف ودعم الاتجاهات الجيدة وترسيخها، وإحداث تغييرات جديدة، والتبشير بالقيم الإنسانية الرفيعة، وتنمية الذوق العام.. وما أكثر أشكال هذا الاتصال الذي يمكن أن يحدث تأثيره على العامة والصفوة من خلال الندوات والمحاضرات والصالونات الثقافية التي انتشرت مؤخراً بشكل ملحوظ.. ويرتادها خليط من البشر.

وإجمالاً يمكن القول بأن وسائل الإعلام أو وسائل الاتصال الجماهيري يمكنها تصوير الشخصية الإنسانية بوصفها المحور الأساسي لعملية التنمية، فالإنسان دائماً هو هدف التنمية وصانع التنمية.

وكي ننجح في استخدام وسائل الإعلام لتحقيق كل ما سبق لابد من:

أولاً: أن يتم التخطيط الإعلامي بأسلوب علمي مدروس.

ثانياً: أن تحدد أهداف التنمية وتقسم مرحلياً.. مع الأخذ في الاعتبار أن تكون أهدافًا عملية قابلة للتطبيق.

---

(١) د. سمير محمد حسين، الإعلام والتنمية في الدول العربية، محاضرة عامة.

ثالثاً: أن تستخدم الحملات الإعلامية أحياناً لتحقيق الأهداف العاجلة.

رابعاً: الربط بذكاء بين السياسات التنموية بحيث تتواكب التنمية الاقتصادية مع التنمية الاجتماعية والسياسية.

خامساً: توفير الأجهزة والموارد اللازمة لتنفيذ الخطط الإعلامية.

سادساً: توفير الكوادر المتخصصة الوطنية اللازمة؛ لتحقيق كل ما سبق.

ولعل النقطة الأخيرة بالذات هي المشكلة الرئيسية التي قد تقف عائقاً بين الدول النامية، ومحاولاتها التنموية ومحاربتها من أجل تغيير صورتها في العالم.. مما يجعلنا نضع في مقدمة كل ذلك ضرورة الاهتمام بالتعليم الإعلامي، والتدريب الإعلامي لخلق كوادر إعلامية واعية، يُعتمد عليها في عملية التنمية، وأيضاً في عملية التخطيط الإعلامي لتحسين الصورة العربية.

وهنا أيضاً تظهر مشكلة أخرى، وهي دور اللغة والأسلوب في تغيير الصورة.. فالمفترض أننا سنخاطب الغرب بلغته؛ لذا لابد من الاهتمام أولاً بتخريج عدد من الإعلاميين القادرين على التعبير بلغات متعددة، وبمقدرة وإتقان يرقى إلى مستوى أهل هذه اللغة أنفسهم؛ حتى يستطيعوا التأثير عليهم وإقناعهم؛ لأن عملية التغيير والإبدال في الصور الذهنية الثابتة منذ فترة ليست بالهينة؛ نظراً لاختلاف طبيعة الجمهور المتلقي ورغباته في التعرض الانتقائي لما يقدم له، واختلاف أساليب إقناعه عما تعودناه في المنطقة العربية.

لذلك لابد من التأكيد على نقطة أخرى تتعلق بنفس الموضوع وهي أننا نخاطب الغرب وكأننا نتخاطب كعرب.. إذ تعتمد رسائلنا الإعلامية غالباً على التركيز على المشاعر دون تقديم أفكار.. فالغرب يعالج الفكرة بفكرة.. ولايعالجها بإحساس.. فمثلاً الحديث عن تخلفنا

لا يُرد عليه بأن ذلك كان نتيجة للاستعمار، ولميراث طويل من التخلف.. ولأسباب اجتماعية ونفسية.. ولكن الرد عليه يكون من خلال نشر الأرقام الخاصة بالتنمية، حتى نُشعر المواطن الغربي بأننا تطورنا وتغيرنا، فيقتنع بضرورة إبدال صورته الذهنية عنا.. وهنا يمكنني أن أؤكد أن وسائل الإعلام العربية مقصرة إلى حد ما من حيث قدرتها على أن تعكس النمو المذهل الذي تشهده بعض الدول العربية، وذلك يردني إلى الحديث عن أن هذه الوسائل تكرس جل جهدها في استعراض تحركات الرسميين، وتمجيد السلطات ودعمها ولاتهتم بالتنمية وبنشر معدلاتها بالقدر الكافي.

هذا ونجد أن فهم الإعلاميين والدبلوماسيين العرب لأساليب تغيير الصورة فهم قاصر في أغلب الأحيان، فهم يتصورون مثلاً أن إقامة الاحتفالات في الفنادق الكبرى، ودعوة الأجانب إليها يمكن من خلاله تحسين صورتنا.. رغم أن مثل هذه الاحتفاليات تعكس أحياناً صورة سيئة؛ إذ تعطي انطباعاً بأننا مسرفون إلى حد السفه.. فليس بالكرم وكثرة الطعام.. والابتسامات الدبلوماسية البلهاء.. وكلمات المجاملة الجوفاء.. والحديث في موضوعات عامة بنبرة المثقفين، وترديد مصطلحات وعبارات مكررة ومعادة، يمكن أن نغير صورتنا، أو نعطي انطباعاً جيداً.. ولكن مثل هذه المناسبات يجب أن ينظم لها، بحيث لاتقف عند حد الاستقبال والوداع.. ولكن يندس بين المدعوين صفوة من المتخصصين الذين يحسنون توجيه الحديث إلى الوجهة المرغوبة؛ لتحقيق بعض الأهداف من خلال مثل هذه اللقاءات.. على أن يكون المدعوون إليها أيضاً صفوة مختارة من الجانبين العربي والغربي..وإلا فلا فائدة منها سوى إهدار المال وتعميق الصورة السيئة.

وهنا تحضرني واقعة حقيقية شاهدتها بنفسي -بل وكنت طرفاً فيها- إذ دعيت في إحدى الليالي لحضور حفل استقبال وعشاء فاخر أقامته

إحدى شركات الطيران في دولة عربية خليجية. ودعي إلى هذا الحفل عدد كبير من الشخصيات العربية والأجنبية من تجار وأصحاب شركات سياحية ومؤسسات وبنوك.

وشاء الحظ أن تأتي جلستي إلى جوار رجل أعمال أمريكي يزور المنطقة العربية لأول مرة.. ولاحظت دهشته الشديدة لظهور النساء العربيات في مثل هذه الاحتفالات ولمظهرهن المتحضر من وجهة نظره لقربه من مظهر النساء الغربيات.. وظل محدثي يعرب عن دهشته لما يرى، قياساً بالصورة التي كان يتصور المرأة العربية عليها.. إذ إن صورة المرأة العربية في الغرب هي أنها مجرد حريم للشيخ، وأنها تسير كالخيمة لا يُرى منها شيء.. وأنها جاهلة.. ولا تلقى أى احترام من الرجل العربي.. وأنها في نظره مجرد جارية أو متاع... إلى آخر هذا التصور السائد عن نساء العرب.. ووجدتها فرصة لإفهام هذا الأمريكي الوضع الحقيقي للمرأة العربية في كل بلاد العرب التقدمي منها والتقليدي.. وشعرت أني نجحت إلى حد كبير في تصحيح صورة المرأة العربية، وصورة العلاقة بين المرأة والرجل في العالم العربي.. وأعرب محدثي عن اقتناعه بما أقول.. ويكفيه دليلاً على ذلك ما يراه ويسمعه بنفسه من حوار جاد من امرأة عربية متعلمة وواعية ومثقفة - على حد تعبيره - وما أن فرغت من حديثي، أو لم أكد أفرغ إلا وظهرت على المسرح راقصة شرقية.. ونجحت أيضاً في إفهامه أن هذه ليست نموذجاً للمرأة العربية.. لكنيا قلة نادرة في دولة واحدة أو عدد من الدول العربية، وليس كلها.. لكن ماحدث بعد ذلك محا كل ما قلته، إذ تكالب الحضور من الرجال على الراقصة، يحمل كل منهم مظروفًا به عملات نقدية كبيرة، وصعد كل منهم لينثرها على الراقصة.. وقال لي محدثي بشماتة شديدة: هـذه هي صورة العرب الحقيقية.. ليس ما حدثتيني عنه.. فلم أجد ما أعلق به؛ لأن ما حدث هدم كل ما قيل..

ولم يبق ما يقال!!!

وتعيدني هذه الواقعة على طرافتها وتفردها إلى الحديث عن أهمية التأثير في الوافدين الأجانب.. والمقيمين منهم في المنطقة العربية، وأهمية كسبهم، ليس من واقع التجربة الشخصية فحسب.. ولكن من واقع ما يقوله خبراء الإعلام ومُنظروه.. إذ يمكن أن يقوم الأجانب المقيمون في المنطقة العربية بدور فعال في تغيير الصورة، إذا ما استطعنا أن نكسبهم إلى جانبنا، فنظراً للنتائج التي توصل إليها «لازرسفليد» و«بيرلسون» و«جوديه» حول سريان مضمون الإعلام، والقول بأنه لايتجه إلى أفراد المجتمع كذوات منفصلة.. ولكن يصل إلى قادة الرأي في هذا المجتمع، وهم يقومون بنقل هذا المضمون إلى الآخرين، بعد إضافة فكرهم الخاص على الرسالة الإعلامية، وهو ما يسمونه بالانسياب الإعلامي على مرحلتين.. أو ما جاءت به نظرية الانسياب متعدد المراحل من أن هناك فئات أخرى غير فئة قادة الرأي تنقل المعلومات إلى الآخرين.. نظراً لذلك يمكننا استخدام الأجانب المقيمين في المنطقة العربية لفترة طويلة والذين كونوا انطباعاً طيباً عن العرب، أو على الأقل انطباعاً حقيقياً صادقاً يحمل بعضاً من الجوانب الطيبة؛ ليكونوا قادة رأي أو ناقلي معلومات عن العرب، علهم يقومون عنا بتغيير بعض الاتجاهات السائدة ضد العرب في مجتمعاتهم.. وهذه أيضاً نقطة قمت بقياسها من خلال الاستبيان.. بالسؤال عن مصدر معلومات المبحوث عن العرب.. فأكدت الغالبية العظمى أنهم استقوا معلوماتهم عن العرب من أصدقاء زاروا المنطقة العربية وأقاموا فيها.

هذا ويعتبر المراسلون الغربيون المقيمون، أو الوافدون إلى المنطقة العربية في المناسبات من أخطر من ينقل عنهم.. ويصدَّق ما يكتبونه؛ بوصفه رؤيا شاهد عيان؛ ولذا أرى أنه لابد إذا ما حرصنا على تغيير صورتنا، أن تشترط وزارات الإعلام التي ترخص لوجود هؤلاء المراسلين

على الصحف الغربية أن يكون مراسلوها الدائمون.. كذلك مراسلو وكالات الأنباء، والإذاعات العالمية وغيرها ملمين باللغة العربية، ولهم دراسات في الشؤون العربية؛ لأن ذلك في النهاية سيعود بالنفع الأكبر على الصحف نفسها، من حيث دقة التقارير التي يرسلونها؛ لأنهم يحسنون فهم الأمور، ويطلعون على كل الأحداث بفهم أكبر، ويتعرضون لوسائل الإعلام المحلية ـ وليسوا مجرد صُم يسيرون في مهرجان أو موكب لايسمعون منه إلا الأزيز والصدى ـ كما أن مثل هذا الشرط سيعود أيضاً بالنفع على الصورة العربية؛ لأن من يكتب بفهم، ويعرف كل وجهات النظر، ويلم بالأمور برمتها، أسبابها ودوافعها، لابد أنه سيُنصف العرب.. أو على الأقل سيكون رأيه موضوعياً له جوانبه الإيجابية والسلبية.. وليس سلبياً محضاً؛ لأن لديه القدرة على النقاش والجدال، وفهم الأمر من عدة أفراد، وسماع أكثر من تحليل وتعليل، وليس مجرد مسجل لأحداث لايحسن تحليلها، وفهم خلفياتها.

هذا ولابد عند التخطيط للصورة المرغوبة من القناعة بأنه لايمكن تغيير الصورة الراسخة تغييراً جذرياً.. ولكن علينا في البداية أن نبدأ بتحديد نقاط الضعف والقوة في الصورة الحالية، وذلك من خلال دراسة دقيقة للتعرف على المعالم الأساسية والهامشية لهذه الصورة.. وإدراك نواحي القبول والرفض، وتحديد الإجراءات التي ينبغي أن نقوم بها لإضعاف دوافع الرفض، وتحييدها.

ويقول د. علي عجوة عن خطوات وضع برنامج لتغيير الصورة، أو التخطيط للصورة المرغوبة: «أنه لابد من وضع تخطيط مكتوب لمعالم الصورة المرغوبة، وهنا يلزم معرفة حقيقة الأوضاع؛ لأن الصورة المرغوبة إذا كانت بعيدة عن الواقع فإن احتمال تحقيقها سوف تعترضه مصاعب.. وربما يكون بُعدها عن الواقع سبباً في تحول الجهود التي تبذل

في سبيل تكوينها إلى سلاح عكسي، يكشف عن التناقض بين الأقوال والواقع»[1] وهو ما سبق أن أكدنا عليه من ضرورة أن نبدأ بالتنمية وبتغيير أنفسنا.. وألا نحاول أن نخطط لتغيير صورتنا إلا على ضوء الواقع وعلى ضوء الصورة الحالية لنا، فنؤكد علي الجوانب الإيجابية، ونضعف الجوانب السلبية، وذلك يقتضي منا بداية أن نعرف من نحن أولاً؟ من خلال بحوث ودراسات.. ثم ما هي صورتنا لدى الآخرين؟ ولنبدأ في معرفة ذلك من خلال الاستبيان، والاتصال الشخصي بالأجانب المقيمين بيننا كعينة.. ثم في الخارج كمرحلة تالية. ويؤكد ذلك أيضاً د. على عجوة إذ يقول: «من الضروري أن نجيب على هذه التساؤلات بدقة كاملة:

- من نحن؟
- وماذا نريد؟
- وبماذا نتميز عن غيرنا؟
- وعلى أي نحو نود أن يفكر فينا الآخرون؟»[2].

أما المرحلة التالية لذلك فهي مرحلة اختيار الوسائل التي نوصل من خلالها صورتنا إلى الآخرين.. والأساليب التي ستتبع لذلك، والأفكار والموضوعات التي تمكننا من ذلك، من خلال كل وسائل الاتصال المتاحة لتكوين معالم الصورة.. القديم منها والمستحدث.. الشخصي والإلكتروني.

ويرى (كلود روبنسون)، و(والتر بارلو) أيضاً ضرورة استخدام كل وسائل الاتصال؛ لأن الصورة الطيبة هي نتاج طبيعي للاتصالات المستمرة بالجمهور المستهدف، على أن تستخدم الوسائل الجماهيرية جنباً إلى جنب مع الاتصال الشخصي.. بأسلوب متطور، وغير مباشر.. ولكن يعتمد على التأثير التراكمي لكل ما نبذل من جهد، وما

---

(١)، (٢) د. علي عجوة - العلاقات العامة والصورة الذهنية - ص ٨٥ - ٨٦.

ننفذ من برامج على المدى القريب، وعلى المدى البعيد.

هذا ولابد أن نأخذ في الاعتبار العقلية الغربية، ومحاولة ربط قضايانا وما نطرحة من أفكار باهتماماتها الذاتية.. فبقدر ما نجح الغربيون في تشويه الصورة العربية؛ بربط كل المشاكل العالمية والأزمات الاقتصادية التي يعتبر العرب طرفاً فيها بالاحتياجات اليومية للمواطن الغربي، بقدر ما يجب علينا أخذ ذلك في الاعتبار حينما نخطط لتغيير صورتنا، وهو ما عجزنا حتى الآن عن تحقيقه.. وهو ما يؤكد بعض كتابنا ممن يرون «أن الإعلام العربي بقي عاجزاً أن يخترق الجدار الأوربي والأمريكي؛ بسبب عجزه عن فهم العقلية الجماهيرية في المجتمع الأوربي، التي لاتهتم إلا بما يُفرض عليها فرضاً من رأي وفكر وقضايا إنسانية، وما له علاقة بمصالحها الذاتية»[1]، وهو بالفعل أمر لابد من الاعتراف بفشلنا في تحقيقه. فحتى حينما أصدرنا بعض الصحف والمجلات العربية بلغات أجنبية، وخصصنا مساحة من الإرسال التلفزيوني وفي المحطات الفضائية والإذاعات الموجهة بلغات أجنبية، لم نحج في ربط المتلقي الأجنبي باهتمامات تخدم قضايانا.. أوتحسّن تصوره لنا.. وظلت هذه الوسائل مجرد ترجمة لما يُكتب في مثيلاتها باللغة العربية.

وأمر آخر لابد أن نأخذه في الاعتبار حينما نخطط لبرامج تغيير الصورة؛ وهو الخصائص النفسية لأفراد الجمهور الذي نستهدف التأثير فيه ، وفي مقدمة هذه الخصائص العواطف أوالمشاعر، التي لاتعتمد على العقل، والتي تتحكم في كمية المعلومات التي تتدفق إلى شخص ما.. وقدرته على التخيل والتذكر، وقدرة عقله على استرجاع الصور، إذ يرجع ذلك كله إلى ميل الأفراد لتذكر الموضوعات التي تتفق مع

---

(١) عرفات حجازي، دور الإعلام الجماهيري في التعاون العربي الأوربي من أجل عدالة القضية الفلسطينية، شؤون عربية، العدد ١٧، يوليو ١٩٨٢، ص ١٥١ .

اتجاهاتهم وقيمهم.. وهو ما يُسمى بالتذكُّر الانتقائي، ومما يزيد من صعوبة التخطيط لتغيير صورة العرب تلك العوامل النفسية، التي تضعف إلى حد ما من الاستجابة المتوقعة لجهودنا.. فالغرب كان ومازال عدواً لنا.. ومن البديهي أن الغربيين بعواطفهم العدائية يتحينون لنا السقطات والأخطاء.

كذلك يدخل في العوامل النفسية المؤثرة في الجمهور العقائد الراسخة سواء الدينية أو السياسية.. وقد أوضح «الدوس هكسلي» Aldos Huxley أن الناس لايقدمون على عمل نتيجة لصفحات قرؤوها، أو خطب سمعوها، وإنما تكون تصرفاتهم نتيجة لتعرضهم منذ الطفولة لتربية معينة، وتوجيه سلوكي متراكم.. وهذا العامل بالذات يحضنا على الاهتمام بأدب الأطفال العالمي، ودوائر معارف الأطفال، والكتب المدرسية التي تدرس في المدارس الدولية، التي تعج بالإساءة إلى العرب وتشويه صورتهم، وضرورة التصدي لذلك، ومحاولة تغييره، قبل أن يرسخ كعقيدة ثابتة ضمن التراث الفكري للأطفال الغربيين، ومن ثم رجال الغد، وصناع قرار الغد والمستقبل.

هذا ولابد من الاعتراف بأننا نتعامل بحساسية شديدة مع المواد الإعلامية المسيئة إلينا، وبأسلوب يسيء إلينا أكثر، ويشوه صورتنا أكثر!! فغالباً ما تعمد الرقابة الإعلامية في أي بلد عربي إلى منع معظم الكتابات الغربية التي ترى أنها تسيء إلى العرب.. وذلك حتى لايطلع عليها المواطن العربي، فتؤثر فيه أو في نظرته لذاته!! وهذا المنع على ما له من إيجابيات يعد دفاعاً سلبياً، إذا مُنِعَ كل ما يصف العرب بسوء، في حين أنه من الأفضل تمرير جزء مما يُقال عنا؛ حتى يطَّلع عليه المواطن مشفوعاً بدفاع، أو مردوداً عليه بأسلوب علمي وموضوعي.. حتى يعلم المواطن العادي ما يقال عنه، فيسعي إلى تغييره إذا تضمن بعضاً من حقيقة، أو علي الأقل تستثار حفيظته ضد الغربيين، ويقف على

مدى الحقد الذي يكنونه له.. ويقدره حق قدره، فلا يمارس حيالهم التسامح العربي المستمد من البساطة والفطرة، ولذلك أهميته القصوى بالنسبة لأصحاب رؤوس الأموال الذين يستثمرونها في الغرب.. وأيضاً بالنسبة للشخصيات العامة التي تتباهى بنقد الذات العربية أمام الأجانب، وبالنسبة لصناع القرارات الاقتصادية والسياسية التي يستفيد منها الغرب.. فالغرب عدو لاشك في ذلك.. وواجبنا ليس مناصبته العداء.. ولكن فهم نواياه جيداً، والتصدي لها بذكاء، بحيث لانسمح له بالاستفادة منا، ثم لعننا وسبنا.. ويؤكد وجهة نظري هذه د. محمد الرميحي إذ يقول:

«إننا يجب أن نرحب بكل ما يكتب عنا.. ولا نعاديه كله.. ولانتعامل بسياسةإعلامية أقرب إلى سياسة النعامة في إخفاء رأسها.. وذلك يحتاج منا إلى تسامح كبير، وفهم كبير.. لأن فاقد الشيء لايعطيه.. فلابد أولاً أن نبدأ بعمل تنموي حقيقي.. حتى ننجح في نقل صورة طيبة عنا.. وذلك لن يتم إلا بكثرة من الإعلاميين الواعين. وعموماً، فإن الوضع النفطي الجديد بالتأكيد بعد ضغط الميزانيات سيغير أنماط الإنفاق، ويقلل كميات النقود المتداولة، ويقلل من السلوك الفردي الشاذ إلى جانب التعليم والتثقيف الذي سيلعب دوره في تطوير الإنسان»[1]. وقد بدأ ذلك بالفعل يتم بشكل ملحوظ.

هذا وقد كان لبعض الأحداث السياسية والعسكرية أثر في تغيير صورة العرب تغييراً ملموساً، فليس بالمعلومات فقط تتغير الصورة.. لكنها تتغير بالأحداث الجسام كالحروب.. وتغيير القيادات.. لكن هذا التغيير ليس جوهرياً بحيث يغير ملامح الصورة الراسخة إلى النقيض.. وإن كان قد أحدث هزة عنيفة بدلت بعض سمات الصورة.. وبذلك مهد لنا الطريق أمام تحسين السمات الأخرى السلبية.. وهو عامل

---

(١) د. محمد الرميحي، لقاء شخصي في أبوظبي، في ٢ / ٢ / ١٩٨٣.

مساعد لابد من استغلاله الاستغلال الأمثل.. وقد أشرت سلفاً إلى أن حرب أكتوبر قد حسنت إلى حد ما صورة الجندي العربي المصري، أو السوري، كجندي منتصر وشجاع.. وأشرت إلى الدراسات التي أثبتت ذلك.. وإلى أن هذه الحرب قد نحت عنا سمات جبان، وثرثار، ولايحفظ السر، إلى غير ذلك من سمات، وأحلت محلها سمات طيبة.. وإن كانت هذه الحرب نفسها قد كان من نتاجها أن تصاعد العمل الفدائي فكثر وصف الفلسطينيين «بالإرهابيين».. وقد كان من نتاجها أن اتخذت دول الخليج قرار الحظر النفطي، الذي استغله الغرب لتشويه صورة العربي الخليجي، ووصفه «بالابتزاز» و «التخلف» و«الإحداث».. بدلاً من التأكيد علي أنه «قومي متعاون».. وأن ما مارسه هو حقه في دعم أشقائه العرب بسلاح سياسي هو يملكه.. ذلك إلى جانب ما أحدثه الاجتياح العراقي للكويت وحرب تحريرها، ثم مؤخراً أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ في أمريكا من تركيز علي سمات إرهابي ليس بالنسبة للعرب وحسب ولكن بانسبة للمسلمين أيضاً.

وإلى جانب الأحداث الكبرى، ومحاولة استقطاب الأجانب المقيمين في بلاد العرب.. أرى أنه لابد من الاهتمام بحركة الترجمة للآداب العربية إلى لغات أجنبية متعددة ؛ لما لذلك من أهمية في إعطاء تصور جيد لأية أمة في ذهن الآخرين.. ومنح حضارتهم أبعاداً مجهولة للآخرين.. والحقيقة أن حركة الترجمة التي بدأت منذ فترة غير قصيرة قد آتت بعض ثمارها.. لكنها حركة عشوائية تترجم فيها الكتب التي يضمن مترجمها وناشرها أنها ستلقي رواجاً وقبولاً يحقق له الربح المأمول.. لكنني هنا أقصد أن تنشط حركة ترجمة موجهة تختار فيها الكتب بعناية شديدة، وفي الاتجاه المطلوب الذي من شأنه تحسين صورتنا.. وليكن ذلك محلياً وبالاعتماد على مترجمين عرب في البداية.. ومن خلال دور نشر عربية.. إلى أن يجد الكتاب العربي سوقاً

له في الخارج تطلبه.. وتتهافت عليه دور النشر الغربية.. إذا ما استشعرت رواجه.. ولعل ما حدث مؤخراً من رواج للكتب التي تشرح الإسلام وتعاليمه بعد أحداث ١١ من سبتمبر ٢٠٠١ خير دليل على أن بالإمكان استغلال الأحداث لمصالحنا من خلال منشورات وكتب تقدم صورة صحيحة عنا كعرب ومسلمين.

وبالإضافة لكل ما سبق أرى ضرورة حث كل دولة عربية، أو كل تجمع عربي إقليمي علي ضرورة إقامة مراكز معلومات متخصصة ومستقلة أو شبكة إنترنت عربية، توثق لديها المعلومات القومية في شتى المجالات بحيث يسهل الوصول إليها؛ لتصحيح أية أفكار مغلوطة، تمس العرب عن جهل.. فالإساءة إلينا ـ كما سبقت الإشارة ـ لاتأتي دائماً عن عمد.. ولكن تأتي أحياناً عن جهل وقلة معلومات، أو لاعتماد الكتاب على مصادر معلومات جزئية أو ناقصة.. وكمثال لذلك فإن معظم دوائر المعارف تعتمد في استقائها لمعلوماتها عن الإسلام على دائرة المعارف الشيعية، وتقدم مادتها على أنها المعلومات الدقيقة الموثقة عن الإسلام كله.. كما تعتمد معظم الصحف في استقاء معلوماتها على ما تنشره الصحف العربية من مهاترات وحملات متبادلة غير موضوعية.. في حين أنه من الضروري وجود مراكز المعلومات الإقليمية أو «مركز المعلومات العربي» الذي لا يضم إلا المعلومات الموثقة والدقيقة، التي يوافق العرب جميعاً عليها، أو يرتضون إلى حد ما ما تضمه من معلومات كحد أدنى للاتفاق العربي، وتكون هي الجهة الوحيدة ذات الاختصاص التي تتصل بمراكز المعلومات العالمية لتغذيها، وتمدها بالصادق والموثق والدقيق فقط؛ عبر شبكة الإنترنت العالمية.

هذا ولابد أيضاً في إطار وضع خطة داخلية لتحسين الصورة من وضع فلسفة إعلامية عربية واضحة المعالم، بهدف التصدي للهجمات الإعلامية المعادية.. فقد يختلف العرب في مرحلة ما على مصالح

سياسية أو عسكرية أو اقتصادية.. لكنهم ولاشك متفقون تماماً على أن صورتهم ككل مشوهة في الغرب... وأنه يجب الاتفاق، ووضع الخطوط اللازمة لتحسين هذه الصورة.. خاصة بعد الهجمة الغربية والأمريكية عليهم بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١.

وهنا لابد أن نشير إلى ضرورة الاهتمام بالبحوث الإعلامية المتعلقة بدراسة الصورة الذهنية، ودراسات تحليل مضمون وسائل الإعلام الغربية، بما يكفل كشف كل الأهداف الظاهرة والباطنة، الرامية لتشويه صورة العرب(١).

وحتى يتحقق كل ما سبق لابد من التأكيد على ضرورة تكوين كوادر إعلامية واعية، وقادرة على البحث والتخطيط الإعلامي السليم، المبني على أسس علمية.. ليس هذا فقط، بل أيضاً تكوين رجل الإعلام القادر على القيام بالوساطة اللبقة بين الأفراد والجماعات؛ ليجعل من الإعلام ممارسة يومية لكل مواطن، وعنصراً حيوياً فعالاً في بناء التنمية، وأيضاً في مجال تحسين الصورة من خلال الاتصال الشخصي والجمعي.. وهنا لابد من خلق تعاون حقيقي بين كليات ومعاهد وأقسام الإعلام والصحافة في كل البلدان العربية.. بل وأيضاً الإسلامية للتنسيق فيما بينها، وخلق تعاون حقيقي وعملي في مجال التكوين الإعلامي، وتبادل الخبرات العملية والأكاديمية.

ذلك أن ندرة الخبرات الإعلامية العلمية الجادة تعد معوقاً حقيقياً في سبيل نجاح أي تخطيط إعلامي، سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي.. بل هو عامل من عوامل ترك الأمر على ما هو عليه بالنسبة لصورة العرب في الخارج؛ ولذا تجد أن الخبرات غير الواعية تساهم أحيانًا في الإساءة إلى الصورة أكثر، وتشويهها بمحاولات التصدي للتشويه الغربي بعصبية، أو بتشنج غير واع، وبرد غير مدروس.

---

(١) محمد أحمد زمزم، البحوث الإعلامية في الوطن العربي، ص ١٤٣.

وقد يقول البعض بأن عدد خريجي كليات الإعلام والصحافة في الوطن العربي لا يُستهان به.. لكن الحقيقة تقول إن هؤلاء الخريجين ليسوا جميعاً على المستوى المطلوب من الوعي.. ولم يتلقوا التدريب العملي الكافي، والممارسة الفعلية، والقدرة على البحث والتخطيط، وأبسط ما يقال عنهم أنهم مجرد طلاب حصلوا على مجموع يؤهلهم لدخول كليات الإعلام فدخلوها لهذا السبب - أو لما لها من بريق - دون أن يكون لدى الكثير منهم القدرة على التصدي للعمل الإعلامي، المتمثلة في ثقافة واسعة ووعي بمجريات الأمور.. وحماس للعمل الإعلامي، وتبني لقضية ما - أيا كانت هذه القضية - سياسية، أو اجتماعية، أو دينية، والحق يقال إن معظم خريجي هذه الكليات شخصيات باهتة، وغير مؤثرة.. ولا تملك من قوة الشخصية، واللباقة، والقدرة على الإقناع ما يؤهلها للتصدي لقضية كبيرة، كقضية الإساءة إلى صورة العرب والمسلمين في الغرب، داخلياً أو خارجياً.. بل إنهم لم يتلقوا مادة حقيقية تجعلهم يتبنون قضية الإساءة الغربية للعرب كقضية يسعون في سبيل العمل على تغيرها.

ولعل ذلك ما يجعل معظم هؤلاء الخريجين يهربون من الاضطلاع بمثل هذه المهام الصعبة والهامة، إلى العمل في أي مجال آخر أكثر ربحاً.. أو يحقق لهم منصباً إدارياً أو أعمالاً حرة، أبعد ما تكون عن تخصصهم.. والبعض يعمل في التلفزيون أو الإذاعة ليقدم برامج منوعات، وطرائف، ولقاءات تافهة أحياناً.. وذلك لأن هؤلاء جميعاً، لم يلقنوا، ويدرسوا كيف تكون لهم قضية إعلامية من واجبهم تبنيها.. واستخدام قدراتهم الشخصية، وما تعلموه في الدفاع عنها.. وبالتالي لم يظهر وعي حقيقي بين هؤلاء الخريجين بجدوى تبني قضايا عامة، والعمل على التوعية بها، أو تصحيح بعض المفاهيم حولها، خاصة قضية الإساءة إلى العرب في الغرب.. بل وحتى القضايا المحلية؛ كتنظيم

الأسرة، ومحو الأمية، وقضية التنمية الاجتماعية، والوعي الثقافي، وترشيد الإنفاق.... وما إليها من قضايا.. لم تخرِّج كليات الإعلام جيلاً من شباب الإعلاميين الذين يتخذون من مثل هذه القضايا حافزاً ودافعاً للعمل الإعلامي، بحيث يكرسون جهدهم لها، ويبتكرون الأفكار والوسائل التي يمكن أن تخدم فيها.. ولكن الغالبية تتعلم أو تلقن؛ لتمتحن، ثم تعين في وظيفة من أجل الاسترزاق.. وإذا كان هذا الأمر مقبولاً بالنسبة لخريجي أية كليات جامعية.. فهو غير مقبول على الإطلاق بالنسبة لخريجي كليات الإعلام.. الذين يجب أن يربوا على أن كل فرد فيهم لابد وأن تكون له قضية ما، يتحمس لها. ويقوم بدور فيها.

ولذلك يجب أن يتواكب تخريج دفعات من الإعلاميين الواعين، وبداية التخطيط الإعلامي الشامل من أجل تغيير صورة العرب في الغرب.. بل يكون هذا الموضوع هو منهاج أو مساق يُدرَّس لكل طلاب الإعلام في العالم العربي، إلي جانب تدريس طرق البحث الميداني، وتحليل المضمون الإعلامي.. ودراسات الصورة الذهنية.. والتخطيط الإعلامي.. وأي مواد تخدم في هذا المجال.

ذلك مع الأخذ في الاعتبار ضرورة التخلص من التبعية الحضارية والتكنولوجية التي تطبع التكوين الإعلامي، ومحاولة خلق فكر إعلامي عربي لاينقل عن الغرب دون وعي، وذلك يتحقق بخلق مؤسسات عربية لتكوين الأطر العليا من باحثين وأساتذة مرتبطين بالمعطيات العربية، وملزمين بتطوير التكنولوجيا الغربية في مجال الإعلام للتخفيف من التبعية للغرب في هذا المجال[1].. وإن كان من الضروري

---

(١) د. محمد الإدريسي العلمي، بحث عن التعاون العربي الإفريقي في ميدان التكوين الإعلامي، مقدم لندوة البحوث والدراسات الإعلامية في الوطن العربي، دمشق، ١ - ٦/ ٩/ ١٩٨١، ص ص ٩٢ - ٩٤.

أيضاً الاطلاع على التجارب الغربية في مجال دراسات الصورة الذهنية، وبرامج تغييرها، ومحاولة تعريب هذه التجارب، والأخذ منها بما يناسب واقع قضيتنا الإعلامية مع الغرب.. مع تحميس الخبراء في هذا المجال على الاستمرار في وطنهم. وذلك أن الغالبية من الإعلاميين العرب الذين سافروا إلى أوربا وأمريكا لاستكمال دراستهم العليا، لم يعودوا إلى أوطانهم فيما يمكن أن نسميه هروب الخبرات الإعلامية من الوطن العربي؛ لأن العمل الإعلامي كمهنة لم يتمتع القائمون به حتى الآن بما يستحقون، بوصفهم خبراء في أهم وأخطر علوم العصر.

ذلك عن الأسس التي يجب أخذها في الاعتبار حينما نفكر في وضع خطة محلية أو إقليمية عربية لتحسين الصورة، تناولنا فيها أفكاراً تعتبر أساساً مبدئياً يخدم في وضع هذا الشق من الخطة العامة الرامية إلى تحسين صورتنا في الغرب داخلياً.

ويمكن إيجاز ما سبق في نقاط محددة هي:

* ترشيد سلوك الأفراد العرب في الداخل والخارج.

* كسب الأجانب المقيمين في المنطقة العربية كقادة رأي في جانب العرب.

* عمل دراسات تتبعية وبحوث ميدانية لقياس سمات الصورة العربية الحالية.

* العمل على تقديم صورة صادقة ومطابقة للواقع بعد تنقيته.

* التركيز على النماذج الفردية الجيدة في وسائل الإعلام.

* استخدام كل وسائل الاتصال الجماهيرية والاتصال الشخصي والجمعي.

* اتباع أساليب إقناع متطورة وغير مباشرة في الرسائل الإعلامية.

* إشراك وسائل الإعلام في عملية التنمية الداخلية، وأيضاً نشر معدلات هذه التنمية.

* العمل على خلق كوادر إعلامية واعية، من خلال تطوير التعليم الإعلامي والتنسيق بين كليات الإعلام.

* الاهتمام بتعلم اللغات الأجنبية إلى حد الإجادة؛ للتمكن من مخاطبة الغرب بلغته وأسلوبه.

* تفهم العقلية والنفسية الغربية وربط قضايانا باهتماماتها واحتياجاتها.

* إطلاع المواطن العربي على جزء مما يقال عنه في الغرب مشفوعاً برد.

* استغلال التغيير الذي تحدثه الحروب والأحداث الجسام وتغير القيادات في تحسين وتصحيح الصورة العربية.

* الاهتمام بحركة الترجمة للآداب العربية إلى لغات أجنبية، كذلك الدراسات التي تناولت الصورة العربية في الغرب.

* إقامة مراكز معلومات عربية على مستوى الدول، وعلى المستوى القومي.

* وضع فلسفة إعلامية عربية واضحة المعالم تهدف لتغيير الصورة.

الخطة الخارجية:

يقول د. أنور السباعي إن «أي تغيير يراد إدخاله على الرأي العام العالمي لايمكن أن يحدث تلقائياً.. بل يحتاج إلى تكوين المواقف المقنعة إلى حد يكفي لتحريك الجماهير في كل مكان على أساس المعلومات التي ترد»[1].

فكيف يمكننا التحكم في إحداث هذا التغيير في الرأي العام العالمي تجاهنا من خلال كم من المعلومات الموثقة الدقيقة؟

قد يكون كل ما سبق ذكره من نقاط مفيداً على المدى الطويل، في

(١) التخطيط الإعلامي السياسي، ١٩٧٤، ص ١٤٤.

إحداث تغيير تلقائي في التصور الذهني المكون لدى الغربيين عن العرب والمسلمين، من خلال التنمية البشرية في الداخل، وتكوين قادة رأي غربيين، يمكن التأثير عليهم وتزويدهم بالمعلومات الدقيقة، نظراً لوجودهم في المنطقة العربية، وإطلاعهم على مجريات الأمور فيها.. لكن الحملة الشرسة على العرب في وسائل الإعلام الخارجية لابد من التصدي لها بأسلوب منظم، وبخطة شاملة.. وبخبرات ودراسات مستمرة ودائمة، وبقدر من التدفق الإعلامي، الذي يرد علي الافتراءات الغربية، ويُظهر للعالم الحقائق من خلال معلومات دقيقة.. ولابد أن يكون كل ذلك بمخاطبة وسائل الإعلام المختلفة، وشبكات ومراكز المعلومات. وكل ذلك لن يتأتى إلا من خلال إنشاء هيئة إقليمية عربية مستقلة ذات مهمة محددة هي: تصحيح صورة العرب والمسلمين في الغرب... بل وفي العالم بأسره، الصديق قبل العدو.

فإلى جانب توجيه سلوك الأفراد والجماعات وترشيده، لابد من وجود تخطيط إعلامي خارجي جيد بعيداً عن الارتجال، يتواكب مع التنمية البشرية، والإعلام المحلي والإقليمي الرامي لتغيير الصورة.. على أن يتم هذا التخطيط في ضوء المعلومات التي تقدمها البحوث الخاصة بتحليل المضمون.. والاستبيانات والدراسات التتبعية لقياس اتجاهات الرأي العام العالمي أو الغربي نحو الشخصية العربية.. على أن تسخّر كل الوسائل الممكنة؛ لتنفيذ فكر هذا التخطيط العلمي الدقيق.. فمن يقوم بذلك إلا هيئة علمية إعلامية لها استقلالها المادي والمعنوي.. ولها قدرتها العلمية والمعلوماتية، التي تمكنها من تحقيق ذلك.

قد يرد البعض بأن هناك عدة جهات إعلامية رسمية تتولى الدفاع عن العرب، وتحسين صورتهم، أو التصدي للحملات الإعلامية الشرسة الموجهة إليهم، ومنها على سبيل المثال لا الحصر.. «دائرة الإعلام التابعة لجامعة الدول العربية»، و«لجنة التنسيق والتخطيط للإعلام البترولي»،

و«لجنة العلاقات الإعلامية الدولية لدول الخليج»، و«اللجنة المتحركة للشؤون الإسلامية في بريطانيا»، وجمعيات الصداقة العربية في عدة دول أوربية، وولايات أمريكية.. ناهيك عن وزارات الإعلام في كل الدول العربية، ووزارات الخارجية، وإدارات الإعلام الخارجي، وإدارات الرقابة الإعلامية.. وكل هذه يقوم بعضها بجهد مشكور على أية حال.. ولكن يغلب على أعمالها الحماس والعصبية، أكثر من العلمية والتعقل، فليس بالحماس وحده يمكن أن نصحح صورتنا في الغرب، أو نحمي سمعتنا كعرب أو كمسلمين.

فالحقيقة التي لامراء فيها أننا في حاجة ماسة إلى هيئة مستقلة تتولى الدفاع عنا، والرد علمياً على المفترين.. هذه الهيئة يجب أولاً أن يقوم عليها أو يساهم في أعمالها أناس يفترض أن يكونوا رجال إعلام متخصصين، ذلك أن لكل جمهور الأسلوب الذي يناسبه في الإقناع.. والجمهور الغربي المستهدف بما تبثه هذه الهيئة، لن يؤثر فيه كثيراً أو قليلاً الدفاع العاطفي عن العروبة كقومية، أو عن الإسلام كعقيدة.. بالاستشهاد بأقوال الزعماء أو الأنبياء والكتب السماوية؛ لأنهم أصلاً لايؤمنون بأصحاب هذه المقولات.. بل ويشككون فيهم.. ويعادون العرب كأمة والإسلام كدين.. كما أن أسلوب الدعاه التقليديين وطرائقهم في الإقناع المعتمدة على «قال الله»، و «قال الرسول»، وقائمة المأثورات المحفوظة من القصص المليئة بالعبر والحكم، يتناسب أكثر مع الجمهور العربي المسلم.. وجمهور العالم الشرقي.. الذي يعتبر الكلام لعبته الأولى.. وهذا الأسلوب لايناسب مطلقاً نمط التفكير المادي الغربي، المتشكك في كل شيء، والمتحلل من كل قيمة.

والمفترض أيضاً بعد توفير عدد من الإعلاميين والدعاة المستنيرين، توفير خبراء في شتى المجالات العربية الثقافية، والتاريخية، والتراثية، ينضم إليهم فريق آخر من المترجمين ودارسي الإعلام، ممن يجيدون عدة

لغات أجنبية إجادة تامة كأهلها ؛ كي يستطيعوا التعبير بكل دقة، وبقدرة على الإقناع، وسلاسة في الأسلوب ويردون على كل ما يفترى به علينا.. ذلك أن أولى خطوات النجاح في مجال الاتصال الجماهيري هو معرفة الأرضية أو الجمهور الذي نوجه إليه الحديث معرفة تامة ؛ لأن الجهل بطبيعة ونفسية من نخاطبهم يضيِّع الهدف المرجو من أية رسالة إعلامية.. كما أن الأسلوب المصاغة به هذه الرسالة قد ينفر الجمهور منها، ويُضعف استجابته لها.. فهناك عناصر كثيرة على الإعلامي أن يضعها نصب عينيه ؛ كي يحقق عملاً إعلامياً ناجحاً.. وكي تعينه في تحقيق هدفه، وهي التعرُف على التباين النوعي للجمهور المستهدف، فالجمهور الغربي ليس كله مثقفًا وواعيًا، كما يتصور البعض.. كما أن العرب وصورتهم وقضاياهم ليسوا محوراً أساسياً في حياة الغربيين كلهم.. بل إن هناك جهلاً كبيراً لدى قطاع من الجمهور الغربي بالعرب، وحياتهم وعاداتهم ؛ ولذلك فعلى المسؤول عن الإعلام الخارجي أن يُلم بكل شيء عن جمهوره، وأن يخاطبه بالعقل قبل العاطفة.. وأن يورد الحجج القوية، التي تتناسب مع طبيعة وتركيبة المخاطب.. بل إن الواجب المنوط بالإعلامي يقتضي بأن يُلم بأدق التفاصيل عن جمهوره «ومن ثم يوسع دائرة تأثيره مستعيناً في ذلك برفد الإعلام بالدعاية.. ونقل قضيته من الدائرة المحلية إلى الإقليمية، فالدولية.. ويجب أن يضع في اعتباره أن لكل دائرة من هذه الدوائر الثلاث توجهاً مختلفاً» (١).

والأهم من ذلك أن يُرصد للهيئة المنوطة بالدفاع عن العرب، وتغيير صورتهم ميزانية مستقلة، تساهم فيها كل الدول العربية، ويتاح فيها

---

(١) عبدالسلام الطروانة (مدير تحرير الدستور الأردنية)، تصورات حول الإعلام العربي ودوره في خدمة القضايا العربية، شؤون عربية، العدد ١٧، يوليو ١٩٨٢، ص ١٣٧.

مجال للتبرع بالمال لكل عربي يغار على سمعة أمته، ويغار على دينه الحنيف من التشويه.. ويُتاح فيها مجال للتطوع العلمي، بمعنى المساهمة العلمية في دحض الافتراءات في شكل مقالات أو تقارير، وأبحاث علمية مهمتها الأولى والأخيرة الرد على ما يُشاع، أو يُذاع، أو يُنشر بأية وسيلة نشر، أو إعلام، في شكل مكتوب، أو مرئي، أو مسموع.. سواء جاء ذلك في دوريات، أو مؤلفات إبداعية، أو فكرية، أو أفلام سينمائية أو تلفزيونية، روائية أو تسجيلية.. أو في مراجع علمية، أو دوائر معارف أو رسالات جامعية، أو بحوث والأهم ما يتأتي عبر شبكة الإنترنت.. كما يتاح فيها مجال للمشاركة الشعبية من جموع العرب والمسلمين.. بمعنى أن كل فرد عليه أن يرسل ما يقع بين يديه من مثل هذه المواد المسيئة، مما لايعرفون السبيل إلى دحضه، والرد عليه إلى الهيئة المنوطة بذلك.. لتتولى الرد عليه وتفنيده.. أو على الأقل لفت نظرها إلى مصدر الإساءة.. وذلك على عنوان يجب أن يكون معروفاً لكل عربي أو مسلم.. أو من خلال مكاتب إعلامية منتشرة في كل قطر عربي، تتولى تلقي مثل هذه الرسائل، وتكون بمثابة همزة وصل بين الأفراد والهيئة العليا المنوطة بتحسين الصورة.

هذا ويجب أن يتوافر لهذه الهيئة كل وسائل الاتصال الجماهيرية، بداية من الاتصال الشخصي والجمعي؛ متمثلاً في جولات الدعاة ورجال الإعلام.. والخطب والندوات، والمناظرات واللقاءات العامة والجماهيرية.. وانتهاءً بشراء مساحات من الإرسال الإذاعي والتلفزيوني في القنوات الفضائية العالمية بالإضافة إلى إنشاء قنوات فضائية بلغة أو لغات أجنبية، وتوفير إمكانيات إنتاج المواد الإعلامية.. وشراء مساحات من الدوريات والصحف العالمية مهما تكلف ذلك.. دون أن يعوق هذا العمل روتين أو بيروقراطية أو جدل عقيم.. مع الحفاظ على روح الفريق، وعدم افتعال خلاف بين القائمين على هذا

العمل العظيم حول نقاط غير جوهرية، ولا طائل من ورائها، غير إثبات الذات.. ذلك أنه في هذا العمل لامجال لأي باحث أو داعية لإثبات ذاته، بقدر أهمية أن يصل الرد والتصحيح في الوقت المناسب إلى الجهة المعنية به.. وبأنسب أسلوب يتفق وطبيعة وسيلة الإعلام، وطبيعة الجمهور الموجهة إليه الرسالة الإعلامية.. دون تشنج أو عصبية.

وذلك يمكن أن يتحقق، إذا ما أُحسن اختيار العناصر القائمة على هذا العمل الجليل، بحيث يوضع الشخص المناسب في المكان المناسب له تماماً، وفقاً لقدراته ولتخصصه الدقيق، ولا يُترك الأمر للمجاملات والمحسوبيات والشللية، والعلاقات الشخصية.. ذلك أن هذا العمل يفترض فيه أنه رسالة للدفاع عن الوجه الإنساني للعروبة، والدفاع عن الدين الإسلامي السمح بسلاح الكلمة.

فإذا ما أحسن اختيار العناصر القائمة على هذا العمل منذ البداية، نجحت هذه الهيئة في القيام بمهمتها الجليلة على الوجه الأكمل.. وإذا ما تدخلت الأغراض الشخصية فقولوا على هذه الفكرة السلام، ولتلحق بمثيلاتها من اللجان والجمعيات الإعلامية الرامية لتحسين الصورة، والتي أثبتت حتى الآن عجزها عن التصدي للفكر الغربي المعادي.. والتي أبقت على صورتنا مشوهة، على مدى عقود وقرون خلت، ولنترك صورتنا كعرب وكمسلمين نهباً للمغرضين والتافهين، ولنستحق بالفعل كل ما يقال وينشر عنا، ما دمنا أننا غير قادرين على التصدي له.

تلك باختصار شديد تصوراتي المبدئية لإنشاء هيئة مستقلة ذات مهمة واحدة، ومحددة، تساهم فيها وتصب فيها كل الجهود العلمية والمادية والمعنوية.. وتسعى لإنجاحها.. وتسير جهودها جنباً إلى جنب مع التخطيط الإعلامي الداخلي والخارجي.. ذلك أن ظروف الدعاية تختلف إلى حد كبير من فترة لأخرى، وفقاً للأحداث الإقليمية والعالمية ومصداق ذلك استغلال أمريكا للأحداث الإرهابية التي حدثت في ١١

سبتمبر واستثمارها لصالح سياساتها في المنطقة العربية والعالم الإسلامي وضربها لأفغانستان ثم إطلاقها ليد شارون لضرب المقاومة العربية الإسلامية المشروعة في فلسطين.. ثم التهديد بضرب العراق وإحكام الحصار عليه.. لذا نقول إن الخطة المشتركة للعمل تتطلب لتحقيق الأهداف المنشودة خطة طويلة المدى ذات استراتيجية واضحة، وخطط تكتيكية قصيرة، وفقاً لمقتضيات الأمور، وكأننا في حالة حرب ـ بل نحن بالفعل ـ طرف في حرب لم تعد باردة مع وسائل الإعلام الغربية.. وذلك يتطلب منا تحديد خطوط نظرية وتحليلية، وبرامج عمل تدل على إمكانية مخاطبة العالم من منطلق واحد.. مخاطبة العقول والعواطف في ظل الأحداث التي يمكن استغلالها لصالحنا.. حتى ولو كانت غير ذلك.. ولنأخذ مما يفعلون عبرة.. لنأخذ مثلاً كيف استغلت الصهيونية والعالم الغربي من ورائها قرار الحظر البترولي عام ١٩٧٣ وربطته باحتياجات المواطن الغربي العادي، واستثارت من خلال هذا الحدث ـ وربطه بالحاجات الشخصية ـ حفيظة الناس، واستعدتهم على العرب، وشوهت صورتهم.. ثم كيف استغلت أمريكا أحداث سبتمبر لنفس الغرض.

هذا ولابد أن يتوافر لمثل هذه الهيئة الصلاحيات اللازمة التي تمكنها من أداء مهمتها، بحيث تملك كمثال الاتصال بكل وسائل الإعلام الخارجية، كما تملك وسائل التأثير، والتوصية لكل وزارات الخارجية والإعلام العربية، فيما يختص بما يناط بهم من مسؤوليات وطنية أو قومية، أو دولية في العمل على درء الأخطاء بشتى الوسائل الممكنة.. ليس فقط بتوقيف نشر أو إذاعة أية مواد إعلامية يستفيد منها الغرب في الإساءة إلينا.. ولكن أيضاً بالاعتماد على حملات الإقناع المستندة إلى سياسة قومية عامة لتحسين الصورة.. وأيضاً التبادل فيما بينها، والتداول فيما يفيد الخطة الإعلامية الخارجية، والتعاون في درء الادعاءات التي تطلقها بعض الدول الغربية ضدنا من خلال وزارات خارجيتها، أو

مكاتبها الإعلامية في الخارج، ولعل سرعة الاتصال وتطور خدماته الآن ومستقبلاً سيساعد كثيراً في تحقيق تدفق إعلامي سريع ودقيق ومؤثر، في صالح الصورة العربية وتصحيح المعلومات الخاطئة المنشورة عنها.

ولعل العنصر المشترك، والأكثر إلحاحاً في هذا التعاون هو دعوة رؤساء الدول، ورؤساء مجالس الوزراء، ووزراء الخارجية، والإعلام، والمراسلين الصحفيين الأجانب لزيارة البلاد العربية، والاطلاع على ما حدث فيها من تطور وتنمية اجتماعية واقتصادية وثقافية.. واستخدام ذلك في خلق الصورة الطيبة للعرب، من خلال اللقاءات بالعناصر الحقيقية للتطور.. وإنجاح السياسة الإعلامية المرسومة لتحسين الصورة.. وتحقيق الصورة المرغوبة.. فمن المستحب إعلامياً، أن يستمع العالم إلى نتائج هذه الزيارات الرسمية، وإلى تعليقات الصحفيين والمراسلين على زياراتهم للبلاد العربية، في نفس الوقت الذي يضطلع فيه واضعو التخطيط الإعلامي بمهمة رسم الصورة المرغوبة[1].

هذا ولابد أن تتعاون هذه الهيئة مع وكالات الأنباء المحلية، والإقليمية العربية، على بث نوعية معينة من الأخبار والتحقيقات التي تخدم في مجال تحسين الصورة.. خاصة ما يتعلق منها بتنمية الإنسان العربي، ومعدلات هذه التنمية، كذلك الحال بالنسبة لدور الوكالات العالمية الغربية في نقل الأخبار، وإعادة توزيعها من الدول النامية إلى العالم.. فالملاحظ أن هذه الوكالات العالمية «تركز فقط على الانقلابات، والأحداث المخلة بالأمن، والاضطرابات الطائفية والعشائرية، مهملة ما يتعلق بعمليات التنمية.. وهذا ما يزيد من إحباط الإنسان الذي ينتمي إلى هذا العالم المتخلف»[2].

---

(١) د. أنور الساعي، التخطيط الإعلامي السياسي، ١٩٧١، ص ١٨٧ ـ ١٨٨.

(٢) قاسم باغي، دور الخبر الصحفي في عملية التنمية، بحث قدم لندوة البحوث والدراسات الإعلامية في الوطن العربي ص ١٣١ ، ١٣٣ .

وهنا يبرز دور هذه الهيئة الإعلامية.. إذ إن عليها أن توجه هذه الوكالات إلى ضرورة توخي الصدق والأمانة في نقل الخبر، من خلال أو عن طريق مدها بالمعلومات السليمة، وتوجيه الوكالات المحلية إلى التركيز على الأخبار ذات الصفة الإيجابية عامة، وما يتعلق منها بالعمليات التنموية بشكل خاص.. وأن تتكاتف وتنسق فيما بينها لتبادل المعلومات والأخبار، حول المسائل التنموية لدى كل منها.

كما يجب على هذه الهيئة أن تنسق الجهود مع البعثات الدبلوماسية العربية في شتى أنحاء العالم، من خلال سفاراتها ومراكزها الثقافية، والإعلامية، والمكاتب والمكتبات الملحقة بها؛ لتسخر جزءاً من جهدها لتحسين الصورة.. وتزودها بالمعلومات اللازمة؛ للرد على أية مادة إعلامية معادية.. كما تعمل في الوقت نفسه على الاتصال بالجهات الأجنبية المماثلة الموجودة في العالم العربي.. للعمل على تقليل آثار الغزو الثقافي الغربي، وتحويله من مجرد غزو ثقافي إلى تفاعل ثقافي متبادل، بين الدول الغربية والعربية.. فالمعروف أن المراكز الثقافية الغربية وما يلحق بها من مدارس خاصة ومكتبات، وما توزعه من نشرات ومؤلفات في العالم العربي، وما تقدمه من منح دراسية، من شأنها التأثير على المتعاملين معها من العرب، ويمكن لو أن الهيئة تدخلت للتحصين ضد غزوها الثقافي، والحد منه، وتحويله إلى تفاعل ثقافي مفيد، أن يُحسِّن صورتنا بشكل جيد، إذا ما أحسن استغلاله.

هذا وتستطيع الهيئة التي ندعو إلى إقامتها، أن تنظم ندوات علمية عالمية؛ لمناقشة ما يلحق بصورة العرب من تشويه في أذهان الغربيين.. تدعو إليها المختصين من كل أنحاء العالم؛ لتدارس هذه الظاهره، والاحتكاك بالإعلاميين العرب الأكفاء.. ومن مثل هذه الندوات نستطيع أن نعرف ونفرز العدو من الصديق.. كما تستطيع هذه الندوات أن تفرز عناصر غربية، ممكن استغلالها وتجنيدها للدفاع عنا

في الغرب، من الغربيين أنفسهم... وهذه ليست بدعة.. فقد نجحت وزارة الإعلام والثقافة في دولة الإمارات العربية المتحدة في عقد ندوة الصحافة الدولية في لندن في سبتمبر ١٩٧٩، التي ناقش فيها المجتمعون صورة العرب في الإعلام الغربي، وخرجت بتوصية تقدم بها عدد من الصحفيين الأوربيين المشاركين فيها، تدعو إلى إنشاء رابطة أو جمعية للصحفين الغربيين والعرب، يكون من أهدافها تشجيع التفاهم والتعاون العربي الأوربي في مجال الإعلام، ومواجهة التشويه الذي تحفل به وسائل الإعلام الغربية ضد العرب، سواء كان هذا نتيجة نقص في المعلومات، أو تحيز.. وكذلك زيادة فهم وسائل الإعلام الغربية لوجهة النظر العربية، وللقيم العربية دون انحياز لأية وجهة نظر خاصة أو إقليمية.. ولا يخفي ما في هذه التوصية من اعتراف غربي بتشويه الصورة العربية.. لكن مثل هذه الندوة لم تتكرر كثيراً.. ولم تتبن أية جهة إعلامية أخرى إقامة ندوات مماثلة لها، في أية دولة أوربية أخرى.. رغم أن مثل هذه الندوات لها أهميتها القصوى، وأثرها الفعال في خلق نوع من التفهم لشخصتنا العربية.. على أن تتم في إطار من الوعي الإعلامي والدعائي.. وأن تغطي أخبارها بشكل جيد، وتصدر بحوثها في كتب، وتترجم لعدة لغات، ويُستفاد من خبرات المشاركين فيها.. دون أن تحاط بأي من مظاهر البذخ والإسراف العربي المعتاد.. ولكن يكون هدفها الأساسي الوصول إلى الرأي العام العالمي بقطاعاته المختلفة؛ لتوضيح وجهة النظر العربية فيما يتعلق بشتى الشؤون والقضايا العربية.. وما أحوجنا إليها الآن.. وليس غداً؛ نظراً لكم التشويه الواقع على صورة العرب والمسلمين منذ سبتمبر ٢٠٠١.

هذا ويتعين على الهيئة الإعلامية المستقلة تجميع المادة المسيئة إلى العرب، من خلال الاشتراك في كل دوائر المعارف والدوريات، والصحف، والاتصال بشتى مراكز المعلومات، وإيفاد باحثيها للمطالعة

في المكتبات العامة ومراكز المعلومات، لكل ما يندرج تحت مادة عرب أو شرق أوسط، أو ما يمكن أن يأتي على ذكر العروبة أو الإسلام.. والاطلاع على الكشافات التحليلية؛ لمراجعة المواد التي يحتمل أن تكون غير دقيقة أو مغلوطة، تحت كل العناوين الأرشيفية أو التوثيقية التي يتوقع أن تضم مادة يمكن تصحيحها.. كما يجب أن تخصص مندوبين لها في معظم الدول الغربية التي تزداد فيها الإساءة للعرب، بناء على ما تسفر عنه بحوث استطلاع الرأي، والاستبيانات، والدراسات التتبعية؛ لتغير الاتجاهات وقياس الرأي العام.. كما عليها أن تنسق العمل مع الملحقين الإعلاميين العرب في السفارات بالخارج، من أجل تنشيط العمل الإعلامي والدعائي العربي، من خلال إقامة أسابيع الصداقة بين الشباب العرب والشباب الغربي.. ناهيك عن المهرجانات الشبابية والفنية والرياضية، التي من شأنها أن تعطي انطباعاً طيباً عن الأمة العربية ككل... وليس كدول منفردة.. بحيث تأتي مثل هذه النشاطات غير متسمة بالأسلوب الدعائي السافر المنفر.. وإنما بالأسلوب المعتمد على التأثير الإعلامي التراكمي طويل المدى، بشرط الحرص على التنظيم الدقيق والبعد عن الارتجال.. والبعد عن الروتين، والوظيفية القاتلة لأي عمل إعلامي.. مع ضرورة متابعة مثل هذه الأنشطة بصفة دورية؛ للوقوف على النتائج والآثار التي نجمت عنها، وقياس جدواها.. وتجنب سلبياتها.. واستبعاد العناصر التي تهدر جدواها.

هذا ولا يجب أن يقف نشاط هذه الهيئة على العمل في الدول الأوربية والأمريكية الغربية فحسب.. ولكن يجب أن يوجه جزء من عملها الإعلامي الخارجي إلى الدول الإفريقية، والآسيوية ودول العالم الثالث جميعاً، وبعض دول أمريكا اللاتينية.. التي يغلب على علاقاتها بنا الصداقة وليس العداء؛ إذ إن إعلامهم يسيء إلينا أحياناً ـ مما

يستدعي بذل الجهد لكسب أنصار في هذه الدول، كجزء من تحسين صورتنا في كل أنحاء العالم.. ولابد أن هذه الصورة ستنعكس إلى حد ما على مثيلاتها في الدول الأخرى، ولو كظلال إيجابية؛ نظراً لصغر العالم بعد الثورة الإعلامية والاتصالية العالمية، وثورة المعلومات الإلكترونية التي يشهدها عصرنا الحالي.. ذلك أنه أولى بنا البدء بالدول الصديقة، قبل أن نطمح إلى رسم صورة عربية جيدة في دول بعيدة، ومعادية لنا، ولها تاريخ استعماري في المنطقة العربية.. في حين أن الصورة في بعض الدول المجاورة لنا، والتي يفترض أنها صديقة - صورة سيئة.. وكمثال على ذلك دول كإيران، والهند، وباكستان، وبعض دول إفريقيا.. وهذا المنهج أيضاً ليس بدعة، فإن الصهيونية في دعايتها لكسب الرأي العام العالمي بذلت جهوداً متوازية في الدول التي تعاديها، وفي الدول التي تضمن صداقتها وتأييدها.. فلم تترك لنا المجال حتى لتحييد مثل هذه الدول.. وجعل صورتنا في هذه الدول متوازنة، إن لم نقل إيجابية.

هذا وتقع على الهيئة الإعلامية المستقلة أيضاً مهمة خلق مستشرقين جدد؛ باتباع سياسة النفس الطويل لتحقيق ذلك.. فمن المهم بمكان التنبه إلى خطورة الغزو الثقافي الغربي، ومواجهته بغزو ثقافي عربي، يمجد الحضارة العربية والثقافة واللغة العربية، ويرحب بالدارسين المبتدئين للتاريخ والأدب، واللغة العربية، لتربية أجيال جديدة من المستشرقين، نضمن ولاءهم النفسي والروحي للعرب، وتهيئة المناخ المحلي لذلك؛ بإعطائهم منحاً دراسية، وإقامة مجانية تحت إشراف وتوجيه علمي عربي.. وباتباع سياسة النفس الطويل، والصبر في هذا المجال بالذات، متأسين بما مارسته البعثات التبشيرية الغربية، وما اتبعته الدعاية الصهيونية كنظم دعائية معادية.. لكنها ناجحة - ولابد من الاعتراف بنجاحها ولو نسبياً - وقد يقول البعض بأن البعثات التبشيرية

ومدارسها في المنطقة العربية، والجامعات الأمريكية في القاهرة وبيروت لم تنجح نجاحاً مطلقاً، إذ لم يحدث أن تحول مسلم عن الإسلام... ولم يحدث أن تحول إنسان عربي عن وطنيته وولائه لوطنه لحساب الصهيونية.. لكن المسلم المحايد أو المذبذب في ولائه وإيمانه، غير المتعصب لقضاياه الوطنية أو الدينية.. وذلك في حد ذاته نجاح كبير.. حبذا لو استطاع العرب أن يحققوا مثله؛ بأن يصلوا إلي خلق جمهور غربي غير متعصب ضد العروبة أو الإسلام، وغير معاد لهما.. بل يراهم بموضوعية بمحاسنهم ومساوئهم.

ويقول د. محمد علي العويني عن الاستشراق وأثره، وعن الدعوات التبشيرية:

«لاشك أن مجال الاستشراق من المجالات الهامة، التي ترتع فيها الدعاية المضادة، وفي هذا نذكر أسماء مثل جيب، وبيرك، وإدوارد سعيد، وغيرهم»[1].

كما يشير إلى «مؤتمر الدعاية التبشيرية الذي عقد بالقاهرة في ٤ أبريل ١٩٠٦، وكان على رأسه القس زويمر، الذي بين أهمية التظاهر بود المسلمين والتعاطف مع أمانيهم؛ لكسب ثقتهم.. ثم ينقضون عليهم، وإقناع المسلمين بعدم عداوة النصارى لهم، وتبشير المسلمين بواسطة رجال دعاية ينتمون إليهم.. لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها، مع التحلي بالنفس الطويل والصبر».

وكما قال المستشرق الفرنسي شاتيليه:

«ينبغي أن يكون عملنا مبنياً على أساس التأثير العقلي والروحي، ولايقتصر هذا العمل على المبشرين.. ولكن عليه أن يمتد إلى أعمال أخرى كالتعليم واستخدامه في التأثير»[2].

---

(١)، (٢) د. محمد علي العويني، التفاعل وليس الغزو الثقافي، مقال بجريدة الاتحاد الظبيانية، العدد ٣٢٥٨، في ١٢ / ٤ / ١٩٨٢، ص١٨.

هذا ولابد أن تكون لهيئتنا التي ندعو لإنشائها علاقات تعاون وتنسيق مع كل إدارات الرقابة الإعلامية في كل بلد عربي؛ ذلك أن هذه الإدارات لها رقباؤها الذين ينقبون عن كل ما يُسيء لدولهم لمنعه من التداول.. ولها قوانينها وتوجيهاتها، التي أحياناً ما تكون في غير صالح العمل الإعلامي الرامي لتحسين الصورة العربية.. فقد تصدر قرارات المنع العصبية لما لايستحق المنع.. ولما يمكن أن يُناقش ويرد عليه؛ لأن المنع المجرد يعتبر دفاعاً سلبياً.. ومجرد تعتيم إعلامي داخلي، يقع أثره على المواطنين العرب فقط، في حين أن هذه المادة الممنوعة تتداول في الخارج، وتحدث آثارها المرجوة دون أن تجد من يتصدى لها، ناهيك عن أن أسلوب المنع من التداول أو العرض لم يعد له جدوى؛ في ظل السماوات المفتوحة وما تبثه القنوات الفضائية.

وعموماً فإن التعتيم الإعلامي المحلي، سواء كان على مادة أجنبية، أو تعتيم على أحداث آنية يراد عدم إعلانها، كله في النهاية لايخدم الإعلام الخارجي الرامي إلى تحسين الصورة.. ذلك أنه إذا كان الحدث المراد التعتيم عليه له أبعاده الدولية.. فإن الضغط المحلي للتعتيم عليه، يشكل تقييداً لحرية أجهزة الإعلام الأجنبية، تحاول بدورها أن تتخطاه وتحطم جدار الصمت المضروب حول هذا الحدث، وقد تشاركها في ذلك أجهزة الإعلام المحلية أيضاً، ويحاول الجميع أن ينشطوا للوصول إلى التفاصيل.. ويوقفوا كل نشاطهم على محاولة الوصول إلى الحقيقة.. مما يخلق تكتلاً إعلامياً مضاداً لمحاولات التعتيم الإعلامي، ولأساليب الرقابة، في حين أنه بالإمكان أن يشار إلى أية أحداث محلية، والتعريف بوقائعها، وتحديد مضمونها بكلمات مقنعة، تجعلها جزءاً من الدعاية أو الإعلام الخارجي المقنن، والموجه بدلاً من إثارة وسائل الإعلام الأجنبية، وجعلها تستنتج، وتلجأ إلى استنطاق جهات غير مسؤولة بحثاً عن الحقائق.

أما المهمة الأساسية للهيئة الإعلامية المنوطة بتحسين صورة العرب فهي النفاذ إلى الغرب، ومخاطبته بالأسلوب الذي يقنعه ويناسبه، والرد على الافتراءات، وإظهار الحقائق، وتقديم المعلومات.. من خلال مخاطبة الأجهزة الإعلامية الغربية مباشرة، سواء كانت صحيفة أو مجلة، أو دائرة معارف، والرد على ما يُنشر لايكون إلا بمقارعة الحجة بالحجة، والفكرة بالفكرة.. والأسلوب المتطور بأسلوب أكثر تطوراً وأكثر جذاباً.. فالمعروف غالباً أن التهكم على العرب الذي يحدث صدى كبيراً، يأتي عادة في شكل برنامج فكاهي.. أو رسم كاريكاتيري، أو خبر طريف يطالعه الجميع من خلال مادة إعلامية مقروءة أو مسموعة، واسعة الانتشار.. ولنأخذ مثالاً على ذلك كاريكاتير جريدة «الصن» البريطانية الشعبية الأكثر توزيعاً في بريطانيا (٧ مليون نسخة)، ذلك الكاريكاتير الذي وصفت فيه العرب بأنهم خنازير، أو أن الخنزير يأنف أن يوصف بالعربي.. كيف رددنا عليه؟؟ رددنا بعصبية شديدة، وبتدبيج مقالات طوال، لم يقرأها أحد سوانا، في حين قرأ الجميع الكاريكاتير الساخر، وضحكوا منه وضحكوا علينا.. وفي هذه الحالة كان الواجب أن يكون الرد بنفس الروح، وبنفس الأسلوب الساخر، وبذكاء.. ودون تشنج.. ولكن كيف يأتي ذلك؟ ونحن لم نكن نملك وسائل إعلام، صحفاً ومحطات إذاعية وتلفزيونية في الغرب؟؟! وكان أثرياؤنا يستثمرون أموالهم في السياحة وشراء الفنادق والضياع والقصور!! وحتى الصحف الصادرة في الخارج كانت تركز جل اهتمامها على موضوعات رسمية سخيفة لايقرؤها أحد!! ولم يحدث أن غامر ثري عربي، أو دولة عربية بشراء صحيفة لها جمهور عريض، وبعث فيها الحياة كما فعل اليهودي مردوخ كمثال، حينما اشترى صحف «التايمز» اللندنية الشهيرة.. لكن الأمر قد اختلف الآن تماماً في عصر الفضائيات وتحول العالم إلى قرية صغيرة.

هذا ولابد من محاولة استغلال الشخصيات العربية ذات القبول في الغرب.. حتى ولو كنا كعرب لنا بعض التحفظات عليها.. فالغربيون لهم رؤياهم الخاصة.. ويتقبلون في العادة الشخصيات العربية ذات الثقافة الغربية، والمنفتحة على الغرب... ويثقون كثيراً في أحكام هذه الشخصيات، ويتقبلون ما يصدر عنها من أقوال.. في حين نرى نحن هذه الشخصيات على أنهم متفرنجون أو غير متدينين.. لا بل أحياناً نبالغ فنصمهم بالخيانة.. ولكن بغض النظر عن رؤيانا هذه، أو عدم تقبلنا لمثل هذه النماذج العربية، أرى أنه من الواجب استغلال هذه الشخصيات بشكل إيجابي في مجال تحسين الصورة العربية.

كما يجب التنبه إلى أن الشخصيات القيادية وما يصدر عنها من أفعال وتصرفات له تأثيره الكبير في تشكيل أو تغيير الصورة؛ ولذلك يجب أن يراعى كل ما يصدر عن مثل هذه الشخصيات، ويؤخذ في الاعتبار أن يكون مما يحسن الصورة ولايسيء إليها، وقد أشرت سلفاً إلى أن معظم من دبجوا المؤلفات عن العرب من الغربيين كانوا يستشهدون بممارسات غير رشيدة أو غير مسؤولة من حكام ومسؤولين كبار، استقبلوهم واستضافوهم في قصورهم ومجالسهم، وقربوهم منهم.. دون تحسّب لما يدور في هذه المجالس من عفويات غير محسوبة.

هذا ولابد أن تقوم هيئتنا أو منظمتنا الإعلامية المنشودة بتحديد أهدافها الآنية والمرحلية.. فمن غير المعقول مثلاً أن تضع هدفاً واحداً لها، وهو تغيير الصورة السائدة عن العرب بكل سماتها؛ لأن ذلك يعد ضرباً من المستحيل.. ولايمكن تحقيقه إلا عبر عقود من الزمان، ومن خلال وقوع أحداث جسام، وتغيير في القيادات، وفي الأوضاع الدولية.. وبجهد مضن من التخطيط الإعلامي، ومتابعة تنفيذه بسياسة النفس الطويل.. ولكن الممكن والمتاح هو وضع خطط مرحلية، تبدأ

أولاً: بدراسة الصورة الحالية وجوانب السلب والإيجاب فيها، ثم يستتبع ذلك **كمرحلة ثانية**: محاولة إضافة بعض المعلومات الجديدة إلى التصور الحالي.. ومحاولة تدعيم بعض الجوانب الإيجابية للتصور الحالي.. ثم **كمرحلة ثالثة**: محاولة إحداث بعض المراجعات أو التغييرات على الجوانب السلبية من الصورة.. **وأخيراً**: الطموح إلى إحداث إعادة بناء كاملة للصورة الحالية؛ من خلال كل ما سبق ذكره، وبتضافر كل الجهود في الاتجاه الموحد والمرغوب.

ذلك أن عنصر المفاجأة والإصرار مرفوض في مجال تغيير الصورة؛ لأن الإنسان غالباً ما يتمسك بما لديه من صور، ويرفض أية محاولة لتغيير الصورة التي تكونت لديه.. بل ويتعصب أحياناً لصوره الذهنية، ويرفض التعرض أو الاستجابة لأية رسالة لاتتفق وتصوراته، كما أنه يدرك محتوى الرسائل الإعلامية التي يتعرض لها على نحو يتفق مع الصورة المكونة والمستقرة في ذهنه.. ويتذكر المواقف والتفاصيل التي تدعم صوره الذهنية؛ لذلك يجب أن تكون رسائلنا الإعلامية الرامية لتغيير الصورة غاية في الذكاء.. ومبنية على أسس علمية مدروسة؛ حتى تؤتي المرجو منها.. فالصورة الذهنية لاتتصف بالثبات والجمود المطلق.. ولكن «تتسم بالمرونة والتفاعل المستمر، فتتطور، وتنمو، وتتسع وتتعدد، وتتعمق، وتقبل التغيير طوال الحياة» [1].

هذا ولابد أن تعمد هيئتنا الإعلامية العلمية إلى تبني مواقف، وتحيُّن فرص، واستغلال أحداث جارية؛ لتعميق بعض سمات الصورة المرغوبة، وتغيير السمات السلبية، وألا تعتمد على اللغة والألفاظ والكلام فقط في محاولاتها لتغيير الصورة.. ذلك أن عدم الدقة في التعبير وحاجز اللغة، والإطار الدلالي للألفاظ، واختلافه من بين بيئة إلى أخرى قد يؤدي

---

(١) د. راجية قنديل، رسالة الدكتوراه، صورة إسرائيل في الصحافة المصرية، ص٣٨.

إلى عكس المطلوب ، لذلك يجب تبني المواقف أكثر من الاعتماد على المعاني والألفاظ خاصة الألفاظ ذات المعاني المجردة ، التي تختلف دلالتها أحياناً من فرد لآخر ، اعتماداً على خبراته وتجاربه الشخصية ، ناهيك عن اختلافها من مجتمع لآخر غريب عنه ، ومختلف تماماً . . ومعاد له .

هذا وسنجد بدراسة واقع الصورة العربية في كل مجتمع غربي أن لكل بلد الأسلوب الذي يناسبه لتغيير صورتنا هناك . . فبعض الدول يناسبها مثلاً إصدار صحف دولية تصدر باللغة الإنجليزية ومن قلب العالم الغربي ؛ لتعكس صورة متوازنة للعرب . . في حين أن بعض الدول الأخرى يناسبها أن نحاول خلق جماعات ضغط داخلها ، والبعض الآخر يناسبه الأعمال الروائية والدرامية والسينمائية والتلفزيونية . . ولكن في النهاية لابد وأن تتبع عدة أساليب لضمان حدوث النتائج المرجوة ، وأن تدرس آثار كل أسلوب بصفة دائمة ؛ حتى يمكن إحداث تبديل وإحلال لاستخدام إحدى الوسائل أو الإبقاء عليها ، أو تغييرها وفقاً لتحديد نوع المجتمع وميوله وثقافته ، ومدى تقبله لوسيلة إعلامية معينة ، والأسلوب الذي يتقبله ، والفترة الزمنية المناسبة لتلقي الرسالة الإعلامية ، مع مراعاة التجريب ؛ لأن المجتمعات الغربية ليس من السهل إخضاعها للدراسة ، وتحديد ما يمكن تقبله . . إلا من خلال التجربة ؛ لأن صورها الذهنية عن العرب تكونت أصلاً وثبتت من خلال شتى وسائل الإعلام ، وعبر حقب طويلة .

ومما يسهِّل عملية تغيير الصورة العربية وتحسينها أنها أصلاً صورة مكونة عن بعد . . فالعرب ليسوا محوراً أساسياً في الحياة اليومية للإنسان الغربي - وإن حاول الإعلام الغربي ربط العرب بحياة الإنسان واحتياجاته - وما دامت الصورة التي تتكون عن أشياء وأشخاص بعيدة تكون غالباً قابلة للتغيير ، فإن صورة العرب لدى الغربيين ممن لم يتصلوا بهم اتصالاً مباشراً في مواقف شخصية ، ستكون صورة ضعيفة وقابلة

للتغير، وهنا يمكن للهيئة المنوطة بتغيير الصورة التخطيط لذلك.. ولكن مع الأخذ في الاعتبار أن التغيير لن يحدث بين يوم وليلة... وأنه يتطلب بذل جهد متواصل ودائم؛ لأن الصورة الغربية عن العرب ـ رغم تكونها عن بعد ـ إلا أنها أيضاً لم تتكون بين يوم وليلة.. ولكنها تكونت نتيجة تراكم دائم لسنوات.

ومما يسهل مهمة تغيير صورة العرب في العالم، أن هذه الصورة هي جزء من التجني العالمي حتى على غير العرب، من شعوب مستهدفة بالإساءة والتشويه.. منذ عقود مضت وما زالت تشوه صورتها. ويرى د. أنور السباعي أنه «من محكمة العدل الدولية في لاهاي إلى هيئة الأمم المتحدة في نيويورك برزت نهضة سياسية نفخ فيها الرأي العام العالمي من روحه لتدعيم السلام بين الشعوب، وكانت النتيجة أن ازداد الإنسان المعاصر فهماً لتجنيات بعض الدول على بعض الشعوب، وأصبح من اليسير التداول في أمر الدفاع عن هذه الشعوب»[1] ومنها بالطبع الشعب العربي.. الذي بدأ الغربيون أنفسهم يعترفون بتحيزهم وتشويههم لصورته في كل وسائل الإعلام كما سبق بيانه.

ومن كل ما سبق يمكن أن نخلص إلى عناصر محددة للعملية الإعلامية التي نريد بها تغيير الوجه العربي في تصور الغربيين.. وهو ما لخصه عرفات حجازي في نقاط محددة هي: «وجهة نظر، وحجة تؤيد وجهة النظر، ولغة تستخدم لعرض وجهة النظر، وشخص نتجه إليه بعرض وجهة النظر، وأداة صالحة لنقل وجهة النظر».

«وهذه العناصر الخمسة للعملية الدعائية الجماهيرية يجب أن ترتبط بأبعاد خمسة في عملية الإقناع؛ بمعنى أن لاتكون العملية موجهة بطريقة إغراقية تضيع معها التفاصيل، وعملية متابعة لتحليل ردود الفعل، وأخيراً التمييز في الدعاية، كحجة ولغة بين عنصرين أساسيين:

---

(١) أنور السباعي، التخطيط الإعلامي السياسي، ١٩٧٤، ص ١٥٢.

عنصر عام يتجه لجميع الفئات، وعنصر خاص يتجه إلى فئات محددة لها تأثيرها في العمل الدعائي»[1].

تلك باختصار عناصر العملية، وقد استعرضنا في هذا الفصل كيف يمكن أن تتم من خلال مؤسسة واحدة تمتاز بالقدرة على التغيير، بالعلم، والعمل الدؤوب، وبتضافر الجهود ـ كل الجهود ـ وتوافر الإمكانات ـ كل الإمكانات ـ عوضاً عن الجهود المبعثرة، والإمكانات المهدرة، التي أثبتت الأيام عدم جدواها. وهو أمر واقع يتفق عليه غالبية الباحثين.. ويقول عنه رضوان مولوى: «الواقع أنه ليس هناك إعلام عربي موحد، يمتلك الأجهزة والوسائل الإعلامية المختلفة، التي تحمل الرسالة الإعلامية العربية وتنطلق بها في أرجاء العالم.. فإنه ليس ثمة إعلام عربي يعمل مثلاً من خلال وكالة أنباء عربية موحدة، على مستوى الوكالات العالمية، أو مؤسسة تلفزيونية وإذاعية عربية موحدة بحيث يتأتى عن ذلك تأثير فعال في إطار العمل الإعلامي الموضوعي، أي نقل الخبر على حقيقته، وإعطاء صورة حقيقية وواقعية عن مجرى الأحداث في العالم العربي، فكيف به على الصعيد الدعائي في مواجهة الإعلام الإسرائيلي الذكي والمقتدر. صحيح أن هناك الاتحادات المهنية الممارسة لمهام إعلامية عربية، كاتحاد الإذاعات العربية، أو اتحاد وكالات الأنباء العربية تعمل في إطار جامعة الدول العربية.. ولكن عملها لايخرج عن نطاق التنسيق وتبادل الخبرات وما إلى ذلك»[2]، وهو أمر محمود على أية حال أن تستمر مثل هذه الاتجاهات في التنسيق والتعاون.. لكنه قد ثبت عدم قدرته في التصدي

---

(١) عرفات حجازي، دور الإعلام الجماهيري في التعاون العربي / الأوربي من أجل عدالة القضية الفلسطينية، مجلة شؤون عربية، العدد ١٧، يوليو ١٩٨٢، ص ١٥٣، ١٥٤.

(٢) رضوان مولوي، الإعلام العربي والاجتياح الإسرائيلي للبنان، مجلة شؤون عربية، العدد ١٧، يوليو ١٩٨٢، ص ٩٠.

للقضية الإعلامية الأساسية، ألا وهي صورة العرب المشوهة في الغرب.. والتي مازالت مشوهة حتى الآن.. رغم مرور عقود على إنشاء جامعة الدول العربية، وما انبثق عنها من اتحادات ولجان، وهيئات متخصصة.

ولعلنا نتساءل عن أسباب عجز الإعلام العربي المنبثق عن جامعة الدول العربية ،ومحدودية فاعليته وتأثيره!! وهي كثيرة ومتعددة ـ لسنا هنا بصدد تفنيدها ـ فما بُذل من جهد ـ في رأيي ـ مشكور على أية حال.. لكنه لم يصل إلى المأمول منه، ولم يصل إلى مستوى تحسين صورتنا، ربما بسبب أسلوب العمل نفسه، أو قلة الإمكانات.. أو الخلافات المستمرة حول الطروحات الإعلامية، حيث تتسبب الأهداف السياسية القطرية لكل دولة عربية بنظرتها المحلية المحضة في شل كل تحرك إعلامي قومي.. وعرقلة مسيرته.. فضلاً عن أن «مكاتب الإعلام العربي لا تملك الإمكانات، ولا الوسائل والأجهزة الإعلامية بصورة آنية، فضلاً عن افتقار معظمها إلى العناصر البشرية ذات الكفاءة العالية في شتى ميادين العمل الإعلامي»[١] وهو ما اقترحناه في إطار الخطة الإقليمية الداخلية لتحسين الصورة، من وجوب الاهتمام بخلق الكوادر الإعلامية اللازمة؛ للتصدي لعمل إعلامي عالمي بهذا الحجم.

وقبل الختام لابد من التنويه إلى أننا في هذا الفصل لم نضع خطة فعلية لتحسين صورتنا.. ولكنها مؤشرات وأفكار تخدم في سبيل تحقيق ذلك أوجزناها في فصل واحد.. في حين أنها تحتمل أكثر من ذلك بكثير.. ولابد أن يشارك في وضعها عدد من الباحثين في عدة تخصصات إعلامية، كدراسة للصورة الذهنية الحالية.. ودراسة للجمهور المستهدف، وتخصص في التخطيط الإعلامي، والإعلام الخارجي.. على أن يساهم في ذلك ليس فقط أكاديميون، ولكن أيضاً ذوو الخبرة العملية في مجال الإعلام بكل فروعه.

---

(١) المرجع السابق، ص ٩٢.

الخاتمة

ليس هناك من شك في أن للإعلام دوراً خطيراً في تدعيم وتثبيت قيم معينة، وهجر قيم أخرى بين المجتمعات على اختلافها.. وهو الدور الذي نطمح إلى استخدامه، في تغيير صورتنا في الخارج بين العدو والصديق.. كصورة إنسانية وليس كصورة دول؛ لأن تصحيح ملامح وسمات الصورة الإنسانية - في رأيي - هو المدخل الصحيح والأساسي للنجاح في تحسين صورتنا كأمة.. وتقبل الغرب لقضايانا السياسية.. فلو أننا نجحنا في استغلال صراع الدول الكبرى استغلالاً جيداً، كما نجحت هذه الدول في استغلال الخلافات العربية، والصراع والتنافس بينها في تشويه صورتنا.. لو تحقق ذلك لتغيرت بالفعل الصورة العربية في الخارج.. لا بل والأوضاع العربية في الداخل تغييراً جذرياً.. ولو تضافرت كافة الجهود المخلصة؛ لتحقيق هدف محدد ومتفق عليه.. دون أن تتشتت فتقدم للعدو تسهيلات سخية، يمكنه من خلالها تشويهنا أمام الرأي العام العالمي.. ولو استطعنا أن نصل فيما بيننا إلى لغة واحدة للتفاهم والحوار،فسنصل بالضرورة إلى القدرة على التفاهم مع غيرنا.. ولو نجحنا في تغيير نظرتنا نحن كعرب إلى أنفسنا، وأن نصحح ونعدل في ملامح وسمات شخصيتنا، وبالتالي صورتنا في الداخل، لاستطعنا أن نصحح للآخرين صورتهم عنا..

أقول لو تواكبت أيضاً التنمية البشرية للمواطن العربي، وصورته المقدمة من خلال وسائل الإعلام الداخلية والخارجية.. بحيث تسير التنمية مع محاولات تحسين الصورة، لنجح الإعلام العربي الخارجي في مسعاه.. فمن غير المعقول أن نصور أن كل شيء يسير على الوجه الأكمل، وأن المواطنين العرب على أعلى درجات الوعي والتحضر،

ولاتشوب سلوكهم أية شائبة.. ونمنحهم الثقة بالنفس، وبسلامة كل تصرفاتهم.. ونربط ذلك بتاريخهم التليد، فنجعلهم يعيشون فقط على أمجاد الماضي.. دون محاولة استلهام هذا الماضي؛ لتكريس سمات جيدة للشخصية العربية، ومن ثم الصورة المنطبعة لدى الآخرين عن العرب.. فمن غير المعقول أن تختلف الشخصية عن الصورة المرغوبة؛ لأنها لايمكن أن تنشأ من فراغ، وألا تستند على واقع فعلي؛ ولذلك أقول حسماً للأمور بضرورة ترشيد سلوك المواطن العربي؛ من خلال وسائل الإعلام الصادرة محلياً؛ سعياً وراء تغيير هذا السلوك إلى الأنبل والأفضل والأنقى؛ كي نستطيع النجاح في تغيير الصورة خارجياً، من خلال وسائل الإعلام، ومن خلال الاتصال الشخصي، الذي يعد بحق مرآة صادقة تعكس صورة حقيقية، ولا نملك في النهاية إلا ترديد قول الله عز وجل:

«إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»

صدق الله العظيم

المراجع العربية

الكتب:

- الإعلام الغربي والعرب، منشورات وزارة الإعلام والثقافة بدولة الإمارات العربية المتحدة، الأبحاث المقدمة لندوة الصحافة الدولية، لندن، ١٩٧٩ م.
- البحوث الإعلامية في الوطن العربي، أعمال ندوة البحوث والدراسات الإعلامية في الوطن العربي، دمشق ١ ـ ٦ / ٩ / ١٩٨١، مطبوعات المركز العربي للدراسات الإعلامية، ١٩٨١، إعداد الزبير سيف الإسلام.
- أحمد رأفت بهجت، الشخصية العربية في السينما العالمية، مطبوعات نادي القاهرة للسينما (٣)، الطبعة الأولى ١٩٨٨ .
- د. أنور السباعي، التخطيط الإعلامي السياسي.
- ت. أ. لورانس، أعمدة الحكمة السبعة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٠م.
- تحطمت الطائرات عند الفجر، بيروت، مجهول الناشر والمترجم.
- د. حلمي خضر ساري، صورة العرب في الصحافة البريطانية، دراسة اجتماعية للثبات والتغيير في مجمل الصورة، سلسلة أطروحات الدكتوراه رقم (١١)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، يناير ١٩٨٨م.
- د. خليل صابات، وسائل الاتصال ـ نشأتها وتطورها، مكتبة الأنجلو، الطبعة الثانية، ١٩٧٩م، والطبعة الخامسة ١٩٨٧ م.
- د. سامي مسلم، صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية، سلسلة أطروحات للدكتوراه، رقم (٨)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، فبراير ١٩٨٥م.
- د. علي عجوة، العلاقات العامة والصورة الذهنية، الطبعة الأولى، ١٩٧٣، عالم الكتب.
- د. محمد محمود ربيع، الأيديولوجيات السياسية المعاصرة، قضايا ونماذج، الكويت.

- ميشال كليرك، فتران الأنابيب، ترجمة القصة الفرنسية «بقشيش».
- د. نادية سالم، صورة العرب والإسرائليين في الولايات المتحدة الأمريكية، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٩٧٨م.

البحوث غير المنشورة:

- د. عزة علي عزت، صورة عرب مجلس التعاون الخليجي في الصحافة البريطانية في الفترة من ١٩٧٣ ـ ١٩٨٧ م، رسالة دكتوراه من كلية الإعلام ـ جامعة القاهرة، أكتوبر ,١٩٨٨
- د. راجية قنديل، رسالة الدكتوراه «صورة إسرائيل في الصحافة المصرية أعوام ٧٢، ٧٤، ٧٦، ٧٨»

المقالات:

- جاك شاهين، أسباب الصورة العربية المشوهة، ترجمة د. جاسم محمد جرجيس، مجلة التوثيق الإعلامي، المجلد الثاني، العدد الأول، ١٩٨٢، بغداد، مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي.
- د. جيهان رشتي، الصحافة وحرية النقل المسؤول، جريدة الاتحاد الظبيانية، العدد ٣٤٧٩، في ٢٨ / ١١ / ١٩٨٢م.
- د. سهير بركات، الإعلام وظاهرة الصورة المنطبعة، مجلة الثقافة، وزارة الإعلام والثقافة الجزائرية.
- عبدالسلام الطراونة، تصورات حول الإعلام العربي ودوره في خدمة القضايا العربية، مجلة شؤون عربية، العدد ١٧، يوليو ١٩٨٢م.
- عرفات حجازي، دور الإعلام الجماهيري في التعاون العربي الأوروبي من أجل عدالة القضية الفلسطينية، مجلة شؤون عربية، العدد ١٧، يوليو ١٩٨٢ م.
- د. محمد علي العويني، التفاعل وليس الغزو الثقافي، جريدة الاتحاد الظبيانية، العدد ٣٢٥٨، في ١٢ / ٤ / ١٩٨٢م.

صحف ومجلات عربية

- أخبار اليوم .... العدد ١٨٦٩ ، ٣٠/٨/١٩٨٠ .

.... العدد ١٨٥٨ ، ١٤/٦/١٩٨٠ .

.... العدد ١٨٣٥ ، ٥/١/١٩٨٠ .

- الأخبار .... العدد ٨٦٥٢ ، ٦/٣/١٩٨٠ .

.... العدد ٨٨١٦ ، ١٢/٩/١٩٨٠ .

- الأهرام .... العدد ٣٤١٠٢ ، ٢٥/٤/١٩٨٠ .

- الأهرام الاقتصادي .... في٢٢/٨/١٩٨٠ .

- آخر ساعة .... العدد ٢٣٧٦ ، ٧/٥/١٩٨٠ .

- الجمهورية .... العدد ٩٦٤١ ، ٢١/٥/١٩٨٠ .

.... العدد ٩٥٥٣ ، ٢٣/٢/١٩٨٠ .

- المصور .... العدد ٢٨٨٦ ، ١/٢/١٩٨٠ .

- روزاليوسف .... العدد ٢٦٩٨ ، ٢٥/٢/١٩٨٠ .

.... العدد ٢٦٩٧ ، ١٨/٢/١٩٨٠ .

.... العدد ٢٧٢٨ ، ٢٢/٩/١٩٨٠ .

- النهار العربي والدولي .... ٤ - ١٠/٨/١٩٨٠ ، ٨/٦/١٩٨٠ .

- الحوادث .... العدد ٢٤٠ ، ٨/٨/١٩٨٠ .

- المستقبل .... العدد ١٨٧ ، ١٩/٩/١٩٨٠ .

.... العدد ١٨٨ ، ٢٧/٩/١٩٨٠ .

- الوطن .... العدد ٢٠٩٤ ، ٢٠/٩/١٩٨٠ .

- القبس .... العدد ٢٨٣٤ ، ٦/٤/١٩٨٠ .

- المستقبل العربي ٧/٦/١٩٨٠

- الكفاح العربي .... العدد ٩٥ - ٧٧٨ ، ٧ - ١٣/٤/١٩٨٠

.... العدد ٩٦ - ٧٧٩ ، ٢٠/٤/١٩٨٠

.... العدد ٩٨ - ٧٨١ ، ٢٨/٤/١٩٨٠

.... العدد ١٠٥ - ٧٨٨ ، ٢٢/٦/١٩٨٠ .

.... العدد ١١٠ - ٧٩٣ ، ٢٠/٧/١٩٨٠ .

.... العدد ١١٦ - ٧٩٩ ، ٧/٩/١٩٨٠ .

- السفير .... العدد ٢١١٣، ٩/٣/١٩٨٠.
.... العدد ٢١٦٧ ، ٤/٥/١٩٨٠.
.... العدد ٢٢٨٣، ١/٩/١٩٨٠.
- الموقف .... ١٠/٣/١٩٨٠.
- الهدف .... ٢٧/٤/١٩٨٠.
.... ٢٠/٤/١٩٨٠.
- المجلة .... العدد ٣، ١ - ٧/٣/١٩٨٠ .
- العصر .... العدد ١٩ ، ٣٠/١٠/١٩٨٠ .

محاضرات عامة:

- د. سمير محمد حسين، الإعلام والتنمية في الدول العربية، محاضرة في إطار الموسم الثقافي بدولة الإمارات العربية المتحدة، ١٩٨٦.
- د. كورت فالدهايم، أزمة الثقة في الشؤون الدولية، ضمن محاضرات الندوة الدبلوماسية لوزارة الخارجية بدولة الإمارات العربية المتحدة لعام ١٩٨٤، المجلد ١٢.

أحاديث شخصية:

- د. محمد الرميحي، حديث خاص، ٢/٢/١٩٨٣، أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة.

موسوعات:

- الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب، إشراف د.شفيق غربال.

المراجع الأجنبية

Books :

- Elli Caidory, Arabic Political; Memores and other Studies, Frank Cassett Co.Ltd.
- Esther Wilikin, The Golden Treasury of Prayers for boys and girls.
- Hamond Annes, The Doosned Oasis.
- I. Sserl Harel, Jehad, Cargi Books.
- John Piller, The Control of Oil, Bension Book, New York,1977.
- John Lavien, The Arab's Mined Need to Understand, Cassell & CoLtd.,1975.
- Josette Bros, Coup de Barse a, Bahrain.
- Kongan Irving smith, public Relations, Second Edition, New York, Alexander Hamilton,1973.
- Lucy Diamond, The Story of Joseph.
- Marvin perry, Man's Unfinished Journey.
-Nicolas Lord, Travelling Horsmen, Saffeer Books Ltd.
- Partricia M. St. Jhon, Story of Light.
- People & Cultures. (كتاب مدرسي)
- Richard Sapper & Rayan Morvy, The Destroyer.
- Richard Hooker & William Patros, M.A.S.H. goes to texes.
- Richard Saper & Owen Morvy, Oil slick, (Series of the Destriyer).
- Loe olden Bouruing, The Hems of the Kingdom

Encyclopedias:

- Black Children Encyclopedia, W. Worthy, R.J.Unstead.
- Charlis Brown's cyclopedia, Vol 12, Junk & Wajnalls Inc.
- Disney's Woderful World of Knowledge, Guido Morlino.
- Encyclopedia of Social Sciences, Harding John, New York,1958, Vol.15.

The Children's picture Atlas, Hamlyr.

Films :

- Robin and Seven Hood. ....
- Aladdin's Lamp. ....
- Death of princess. ....
- The pirate. ....

Newspapers:

Trance Sair	11/7/1978
	27/11/1981
- Demain L'Afrique	21/2/1979
- Les Adventures de tin tin(Tintin Au pays delor Noir)	مجلة أطفال
- Un Canny, Comic Album	مجلة تلوين وقراءة
-Bugs Bunny, Comic Album	
- June Afrique	19/11/1976
	10/6/1977
	N0.994 , 23/1/1980
	19/3/1980
- Journal Afrique	24/10/1979
- Le Poine	No.389, 3 - 9/3/1980
- Le Monde	13/11/1976
	20/11/1976
- Le Figaro	4/10/1976.
	7/2/1977
	29/2/1980
- Paris Match	7/3/1980
- Le Novel observateur	No.28, 19/7/1979
	No.45, 5/11/1979
	No.34, 20/8/1979
- The Daily Mirror	12/1/1980
- Daily Expriss	15/1/1980
	1/4/1980
- Woman's Own	16 - 23/2/1980

- Expot International .... Feb., 1980
- Daily Mail .... 19/4/1980.
- Now 18/4/1980
.... 2 - 8/5/1980
- The Economist .... 19 - 25/4/1980.
- Financial Times .... 17/11/1976.
.... 28/3/1980.
- Middle East .... Jan. 1980
- The times 17/12/1979
- Events .... 15/10/1976.
- Herald Tribune .... 22/12/1979.
- world of Knowledge .... No. 13, 19/4/1880
.... ـ هنا لندن، فبراير ١٩٨٠
- News Week 3/3/1980
.... 10/3/1980
.... 19/5/1980
- Time 19/5/1980
- Reader Digest .... May 1980
- News of the World 6/1/1980
- Punch 16/1/1980
- Der Spiegle .... No.37, 10/9/1979.
.... No.38, 17/9/1979
.... 12/2/1980.
- Stern .... 12/3/1979.
.... 13/3/1979.
.... No.12, 15/3/1979
.... 2/8/1979
.... No.36, 30/8/1979
.... No.51, 13/2/1980.
- Deie Zeit .... 20/7/1979.
- Pointi .... 16/8/1979.
.... N0.5, 24/1/1980.

صحف ومجلات هندية :

- Goytoday .... May 1980.
- Sunday .... 10/8/1980.
- كارفان .... 25/6/1980.
- مليالاناادوا .... 22/6/1980.
- Probe India .... 10/6/1980.
- Bombay .... 22/5/1980.
- Gulf Malayalee .... June 1980.
- India Express .... 17/3/1980.
- Film Fare .... I - 15/9/1980.
- India Today .... 15/4/1980.
- Society .... Julay 1980.
- Onlooker .... I - 15/7/1980.
- Flash .... 4/6/1980.
- Yowa Darsham .... 12/9/1980.
- This Fort Night 1- 15/6/1980
- (أوردية) بلتز .... 7/6/1980.
- (أوردية) انقلاب .... 17/9/1980.
- (أوردية) جترلكا .... 29/7/1980.

صحف إيرانية (بالعربية والفارسية) :

- الجهاد ٣/٣/١٩٨٠.
  ٢٥/٦/١٩٨٠.
- صوت الأمة ١٨/٣/١٩٨٠.
  ١٢/٧/١٩٨٠.
- الشهيد العدد٣٢، ٢/١/١٩٨٠.
- إطلاعات هفتكي العدد ١٩٩٤، ٦/٧/١٩٨٠

الفهرس

الباب الثانى

من قائمة الإصدارات

موسوعة تاريخ حضارات العالم ترجمة: زينات الصباغ
تكنولوجيا الحضارات القديمة هشام كمال عبد الحميد
اللاتينية العربية (دراسة لغوية مقارنة/...) د. علي فهمي خشيم
رحلة الكلمات د. علي فهمي خشيم
بحثا عن فرعون العربي د. علي فهمي خشيم
هل في القرآن أعجمي؟ د. علي فهمي خشيم
نظرة الغرب إلى الإسلام ترجمة: د. علي فهمي خشيم
تطور العقائد ترجمة: د. محمد محمد حسانين
قادة الفكر العربي صلاح زكي
أعلام النهضة العربية الإسلامية صلاح زكي
رسالة إلى العقل العربي د. عبد الحكيم بدران
خيانة المثقفين د. عبد الحكيم بدران
عالم المعلومات الجديد ترجمة: بهاء شاهين
صراع الحضارات (إثبات الأنا ونفي الآخر) شعيب عبد الفتاح
الإسلام والغرب الأمريكي محمد إبراهيم مبروك
الجات والتبعية الثقافية د. مصطفى عبد الغني
حقيقة الغرب د. مصطفى عبد الغني
صورة العرب والمسلمين في العالم د. عزة علي عزت
خفايا المستقبل: إلى أين تمضي البشرية .. محمد الحديدي
شخصيات ومذاهب فكرية .. د. محمد عبد الشفيع عيسى
المياه العربية بين خطر العجز .... عبد الله المثالي
المياه في الوطن العربي (الندرة .. التلوث) عبد الحكيم بدران
العدل والحرية سالم التمودي
عبد الرحمن بدوي فيلسوف الوجودية .. د. سعيد اللاوندي
سيناريوهات المستقبل .. د. محمد عبد الشفيع عيسى
العرب وإسرائيل (ميزان القوى ....). محمد عبد الشفيع عيسى
حماس .. حركة المقاومة الإسلامية خالد أبو العمرين
المجد للمقاومة د. محسن خضر
عندما يصفر التاريخ (الخطاب القومي .. محمد سعيد ريان
المبني والمعرب في دنيا السياسة... محمد سعيد ريان
المخططات اليهودية للسيطرة على العالم أحمد أنور
السوق الشرق أوسطية (من هرتزل إلى ..) إكرام عبد الرحيم
مشروع للانتحار القومي! مصباح قطب
السلام القتال (سلام أشد هولا من الحروب) محمد خليفة
أوهام السلام عبد الخالق فاروق
في جنازة المقاطعة العربية لإسرائيل شفيق أحمد علي

عبادة الشيطان على ضفاف النيل حسين عبد الواحد
الماسونية خليل إبراهيم حسونة
الحركات الهدامة خليل إبراهيم حسونة
الصهيونية السياسية خليل إبراهيم حسونة
العنصرية والإرهاب في الأدب الصهيوني خليل إبراهيم حسونة
الاستيطان الصهيوني خليل إبراهيم حسونة
الإرهاب الأمريكي خليل إبراهيم حسونة
القدس خليل إبراهيم حسونة
يهود ضد إسرائيل ياسر حسين
حلف الضحية والجلاد ترجمة: زينات الصباغ
غزة أريحا - المأزق والخلاص عبد القادر ياسين
غزة أريحا - التسوية المستحيلة جورج المصري
صفقة التسوية الأردنية الإسرائيلية د. السيد عوض
أساطير التوراة عاطف عبد الغني
التناقض في تواريخ وأحداث التوراة محمد قاسم
التربية السياسية في أدب الأطفال .. د. أسماء غريب بيومي
القوة العسكرية الإسرائيلية جمال الدين حسين
سقوط نجم مخابرات إسرائيل جمال الدين حسين
عملية السرب الأحمر جمال الدين حسين
الاختراق الإسرائيلي للزراعة في مصر صلاح بديوي
اختراق الأمن الوطني المصري عبد الخالق فاروق
الهجرة وتهديد الأمن القومي العربي. عبد اللطيف محمود
أسرار الجاسوسية ولعبة المخابرات يوسف هلال
دموع الجواسيس أحمد فؤاد
إسرائيل والفن العربي من أم كلثوم إلى .... أحمد فؤاد
أسامة بن لادن (رجل ضد الغرب) شهاب نصار
الحرب العالمية الرابعة ياسر حسين
عصر المسيح الدجال هشام كمال عبد الحميد
عين المسيح الدجال بين اللغز والحقيقة أسامة خيري
أمريكا تدمر نفسها محمود قاسم
الشخصية المصرية في الأمثال الشعبية د. عزة عزت
مستقبل الجامعة في مصر د. مصطفى عبد الغني
أزمة الانتماء في مصر عبد الخالق فاروق
استرداد مصر (هل هناك مخرج مما نحن فيه) محمد الحديدي
التطرف الديني ومستقبل التغيير في مصر عبد الخالق فاروق
الجريمة السياسية د. أحمد عبد الوهاب

محاضرات فى القانون الدولى العام — د. ميلود المهذبي
قضية لوكيربي وأحكام القانون الدولى — د. ميلود المهذبي
أزمة لوكيربي والخروج من بيت الطاعة الأمريكية — السيد عوض
العلاقات الليبية - الأمريكية — د. السيد عوض
بان أمريكان ١٠٣ (اتهام ليبيا أم اتهام امريكا) — مجموعة باحثين
حلايب .. نزاع الحدود بين مصر والسودان — أحمد محجوب
الاخوان والعسكر — حيدر طه
التعريب فى الجزائر (كفاح شعب .. — د. عثمان سعدى
البربر الأمازيغ عرب عاربة — د. عثمان سعدى
أيام الفزع في الجزائر — خالد عمر بن ققه
من يحمي عروش الخليج (النفط والتبعية) — د. أحمد ثابت
إعدام صحفى — سعيد حبيب
الكرامة الضائعة — حمادة إمام
الاخوان والأمريكان من المنشية إلى المنصة — حمادة إمام
الصحافة المشبوهة — سيد محمود
عمرو موسى (الملفات السرية) — شهاب نصار
افغانستان (التدخلات الاقليمية والتسوية ..) — د. السيد عوض
تتمة البيان فى تاريخ الأفغان — جمال الدين الأفغانى
عبد الناصر واليمن — د. عبد العزيز المقالح
الوحدة اليمنية — حسين كروم
عبد الناصر والذين كانوا معه — حسين قدرى
جمال عبد الناصر — صبرى غنيم
جمال عبد الناصر (الجزء الأول من ٥٢ إلى ٦٢) — صبرى غنيم
جمال عبد الناصر (الجزء الثانى من ٦٢ إلى ٧٠) — صبرى غنيم
جمال عبد الناصر .. لقطات وطرائف من حياته — صبرى غنيم
مذكرات محمود الجيار — سليمان الحكيم
عبد الناصر .. هذا المواطن (مذكرات محمود فهيم) — سليمان الحكيم
حوارات عن عبد الناصر — سليمان الحكيم
عبد الناصر .. والإخوان (أسرار العلاقة الخاصة) — سليمان الحكيم
المرأة التي أحبها عبد الناصر — شفيق أحمد على
ظل الرئيس (مذكرات محمود الجيار ..) — عزازى على عزازى
عبد الناصر وعبد الحليم والزمن الجميل — حسن صابر
البديل الناصري (قراءة في أوراق التنظيم الناصرى) — سيد زهران
عن الناصرية والناصريين (حوار مع د. جمال الأتاسى) — مجدى رياض
الأقليات التاريخية فى الوطن العربى — د. أحمد الصاوي
الناصرية والتاريخ — سيد حسان

الناصرية .. الأيديولوجيا والمنهج — سيد زهران
التنمية المستقلة في النموذج الناصرى — جورج المصري
فلسطين الانتفاضة .. جدل الوطن والأمة — د. أحمد ثابت
كاريزما الزعامة الناصرية — د. السيد الزيات
الناصرية والتجديد — مجدي رياض
ناصرية جمال عبد الناصر — جورج المصرى
ناصرية الناصرية الغائبة — جورج المصري
ناصر وعامر .. الصداقة القاتلة — محمد متولى
برلنتى والمشير (القصة الحقيقية) — محمد متولى/ سيد زهران
براءة سياسية — أحمد شرف
النبى الخاتم، هل وُجد ؟ ومن ..؟ — د. جمال الحسينى أبو فرحة
إشكالية ترجمة معانى القرآن الكريم — د. سعيد اللاوندى
هل فى القرآن أعجمى ؟ — د. على فهمى خشيم
الهندسة الوراثية فى القرآن .. أسرار البعث — هشام كمال
الحركة الإسلامية في مصر — صالح الورداني
الكلمة والسيف "محنة الرأى فى تاريخ المسلمين" — صالح الورداني
عبود الزمر .. حوارات ووثائق — أحمد رجب
عيسى المسيح والتوحيد — ترجمة: عادل حامد
الحكومة والسياسة في الإسلام — ترجمة : سيد حسان
الوجيز في بداية التكوين — عبد العزيز محمد، ...
رسالة التوحيد للإمام محمد عبده — تحقيق د. محمد عمارة
الإسلام والعروبة — مجدي رياض
علمني يا أبي (حوار حول رسالة الصلاة) — حسن سليمان
قيثارة السماء "الشيخ محمد رفعت" — محمود توفيق
حروب المشايخ — أحمد الدسوقي
الناس والجن/ السحر فى القرآن/ العلاج بالقرآن — سمير فراج
كشف المستور من قبائح ولاة الأمور — د. أحمد الصاوي
رمضان .. زمان — د. أحمد الصاوي
النقود المتداولة في مصر العثمانية — د. أحمد الصاوي
النقود الإسلامية في مصر — د. رأفت النبراوي
التجارة الإلكترونية وعليارات العولمة — إيهاب أحمد عبد الرحمن
"Word 2000" — م . أحمد ظريف المعانى
"Excel 2000" — م . أحمد ظريف المعانى
"Visual basic 6" — م . أحمد ظريف المعانى
أمن وحماية البيئة — خالد القاسمي / وجيه البعيني
الجريمة البيئية — خالد شوكات

جماليات التصوير والإضاءة ... ترجمة: فيصل الياسري
الفيلم والعمل — د. عفت عبد العزيز
التشريح الجمالي أساسيات ... — د. محمد محمد المفتي
أنت وقواك الخفية — د. محمد لطفي حسن
الإبر الصينية في العلاج والتخدير — د. لطفي سليمان
الصوت والضوضاء — د. مصطفى عبد المطلب
المواد شبه الموصلة ودورها — د. مصطفى عبد المطلب
الأعشاب الطبية — د. موسى الخطيب
طعامك طريقك إلى صحتك — د. مجدي إبراهيم
تعليم الموسيقى والعزف على آلة الأورج — محمد كريم
ما هي السينما — صلاح أبو سيف
كتاب الأسئلة (التنزه في عقول الناس) ترجمة: فيصل الياسري
أنت وقواك الخفية — د. محمد لطفي حسن
الجنس والشباب الذكي — ترجمة أحمد عمر شاهين
تجارة الجنس — ترجمة زينات الصباغ
الحضارة العربية .. إصدار علمي محكم
فكر وإبداع .. إصدار علمي محكم — د. حسن البنداري
هاجس الكتابة — د. أحمد إبراهيم الفقيه
تحديات عصر جديد — د. أحمد إبراهيم الفقيه
حصاد الذاكرة — د. أحمد إبراهيم الفقيه
الخطابة عند الخوارج — أحمد بدران
التوجهات النقدية في رواية عودة الروح — أحمد بدران
الوقوف على الأمية عند عرب الجاهلية — أحمد الأحمدين
عبد الله البردوني .. حياته وشعره — د. أحمد عبد الحميد
الإنسان والفكرة — أحمد المينا
قراءة المعاني في بحر التحولات — أحمد عزت سليم
ضد هدم التاريخ وموت الكتابة — أحمد عزت سليم
المشهد القصصي — إدوار الخراط
القصة والحداثة — إدوار الخراط
مغامر حتى النهاية — إدوار الخراط وآخرون
التربية السياسية في أدب الأطفال — د. أسماء غريب بيومي

اللغة والشكل — أمجد ريان
تاريخ وأدب ومجتمع ترجمة د. باهرة محمد عبد اللطيف
مناظرات في اللغة والنحو — د. جميل علوش
من حديث الشعر والشعراء — د. جميل علوش
المثقفون العرب والتراث — جورج طرابيشي
ثقافة البادية — حاتم عبد الهادي
الخطاب والقارئ — د. حامد أبو أحمد
أثر الإسلام في الأدب الإسباني ت: د. حامد أبو أحمد وآخر
الصنعة الفنية في التراث النقدي — د. حسن البنداري
جدلية الأداء التبادلي — د. حسن البنداري
سيميولوجيا العمل الدرامي ترجمة: د. خالد إبراهيم سالم
بيلانكيث وروح الحداثة ترجمة: خالد حسين كاكي
المثل الشعبي بين ليبيا وفلسطين — خليل إبراهيم حسونة
أدب الشباب في ليبيا — خليل إبراهيم حسونة
العنصرية والإرهاب في الأدب الصهيوني — خليل إبراهيم حسونة
تقاسيم نقدية — زينب العسال
أنثى النص (مقاربات في الأدب النسوي) — سعد الدين خضر
أباطيل الفرعونية — سليمان الحكيم
مصر الفرعونية — سليمان الحكيم
البعد الغائب: نظرات في القصة والرواية — سمير عبد الفتاح
المشهد الإبداعي (قراءات نقدية في الشعر و... — السيد رشاد بري
رواد الأدب العربي في السعودية — شعيب عبد الفتاح
البواكير في القصة القصيرة — شوقي عبد الحميد
الثقافة الشعبية وأوهام الصفوة — د. صلاح الراوي
تحولات الشعرية العربية — د. صلاح فضل
إنتاج الدلالة الأدبية — د. صلاح فضل
منهج الواقعية في الإبداع الأدبي — د. صلاح فضل
تأثير الثقافة الإسلامية في الكوميديا الإلهية — د. صلاح فضل
تجليات في الحب الإلهي — د. عادل الألوسي
الحياة الصوفية وتقاليدها في الموروث .. د. عادل الألوسي
الجواهر والأحجار الكريمة في التراث والحضارة د. عادل الألوسي

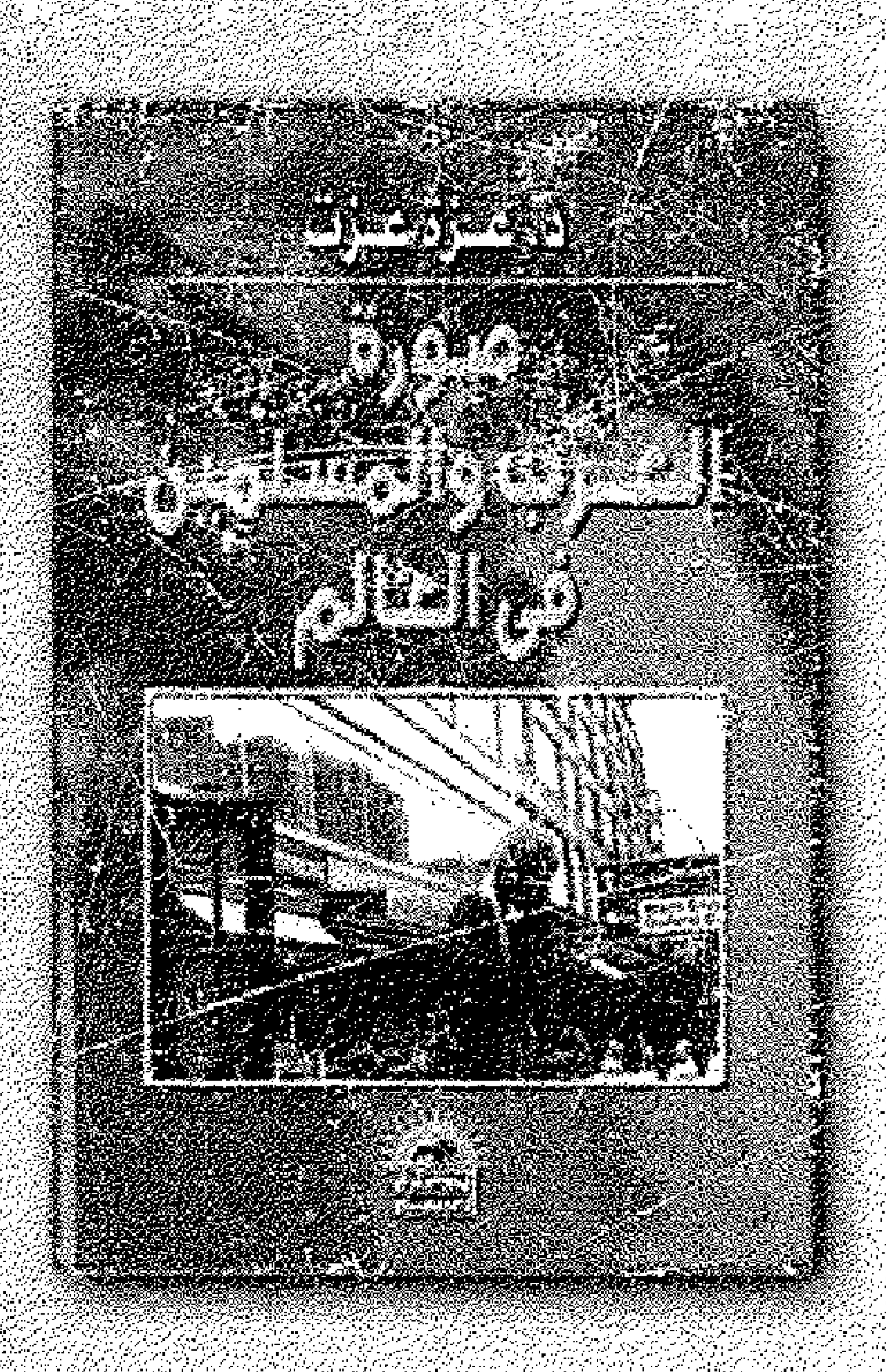
بالإضافة إلى العديد من الكتب الأدبية ؛ رواية .. قصة .. شعر .. دراسات ونقد وكتب متنوعة : سياسية ، قومية ، دينية ، معارف عامة ، تراث ، وأطفال .
خدمات إعلامية وثقافية

الآراء الواردة في الإصدارات لا تعبر بالضرورة عن آراء يتبناها المركز

المؤلف

- د. عزة علي عزت .
- مدرس التحرير الصحفي - جامعة القاهرة .
- كاتبة صحفية في عدد من الصحف العربية .
- من مؤلفاتها :

* الصحافة في دول الخليج العربية .
* لغة الشارع : الشخصية المصرية في الأمثال الشعبية .
* بقعة الدم الهاربة (مجموعة قصصية) .
* صعيدي صُح (مجموعة قصصية) .
* صورة العرب والمسلمين في العالم .
* التحولات في الشخصية المصرية .





الغرب «الصليبى» الذى انطوت صفحته منذ «حطين» صلاح الدين الأيوبى ظهر بصورة جديدة أكثر همجية وشراسة بعد أحداث الحادى عشر من سبتمبر ٢٠٠١ وما يعرف الآن فى الأدبيات السياسية بـ «روما الجديدة» وهيمنتها عبر صيغة الأحادية القطبية.

وما تفوه به چورج بوش بقوله : إنها حرب «صليبية» جديدة لم يكن زلة لسان أو حماقة سياسية عابرة انفلتت من بين شفتيه بقدر ما كان اعترافاً فضائحياً بإستراتيچية الفك الأمريكى المفترس الذى يقوم بدوره رامبو الأخرق الخارق..!!

والتهديد الأمريكى بالحرب ضد شعبنا العربى فى العراق يمثل حلقة متصلة من حلقات الصراع الحضارى الضارى بين العرب والغرب الإمبريالى فى صورته وقناعه الجديد «العولمة الأمريكية المتوحشة».

ومهما واصلت أمريكا حربها وحصارها الجائر ضد الشعب العربى فى العراق بأساليبها الهمجية والوحش
أن تفرض جواسيسها عبر لجنة التفتيش الدولية
على شعب العراق.. فسوف تفشل كل هذه المخط
الرياح، وحتماً سوف ينتصر شعبنا العربى فى ال
وضد العدوان. وإن غداً لناظره قريب.

